

# أدب الكتاب الصولي

To PDF: [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)

## الجزء الأول

### فضل الكتابة

قال الله تعالى - وهو أول ما أنزل من القرآن: "اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم". فجعل تبارك اسمه أول ما أنزل من القرآن ذكر التفضيل على عباده بخلقه لهم، وما ندبهم له بذلك، من البقاء الدائم والنعيم المتصل، لمن آمن به ووحده وصدق بنبيه صلى الله عليه وسلم. ثم أتبع ذلك بذكر الأنعام عليهم بما علمهم من الكتاب الذي به قوام أمر دينهم ودنياهم، واستقامة معاشهم وحفظها. ولولا أن من لا يحسن الكتابة يجد ممن يحسنها معونة وإبانة عنه، لما استقام له أمر، ولا تم له عزم، ولحل محل الصور المثلثة، والبهايم المهملة. ومعنى قوله الذي علم بالقلم: الذي علم الكتابة بالقلم.

وقال عز وجل: "ن والقلم وما يسطرون، ما أنت بنعمة ربك بمجنون" فأقسم في القرآن بما خلق من ذلك أعني القرآن وما يكتب به من حبر ومداد وما يكتب فيه من سفر وقرطاس وأشباههما. على أن نون ههنا، عند بعضهم، السمكة التي تحمل الأرضين. وقال بعضهم: يريد الحرف. وكذلك عند هؤلاء يس وطس وكل ما في القرآن من ذلك. وإنما هو افتتاح السور بهذه الأحرف التي السور منها غير خارجة عنها. يقول عز وجل هذا القرآن بهذه الحرف العربية، ليس فيها لسان أعجمي ولا حرف من حروف العجم ليبطل بهذا ما زعمه الكفار أن النبي صلى الله عليه وسلم يتعلم القرآن من يهود ونصارى يقرأون بالعبراني وغير ذلك من الألسن. ألا تراه جل وعلا كيف بين ذلك فقال: "ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين".

وسأل رجل أحمد بن يحيى ثعلب، وأنا حاضر، عن قسم الله عز وجل بالأشياء التي خلقها مثل قوله تعالى: "والتين والزيتون، وطور سينين، وهذا البلد الأمين، لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم" فوقع القسم على الآية الأخيرة. فقال أحمد بن يحيى: رأيت الرؤساء من العلماء يقولون معناه: وخلقني الذي لا يقدر أحد أن يخلق مثله لقد كان كذا وكذا.

وقال جل وعلا: "وإن عليكم لحافظين، كراماً كاتبين، يعلمون ما تفعلون" وقال: "بأيدي سفرة كرام بررة". فالسفرة الكتبة، الواحد سافر والجمع سفرة، مثل كافر وكفرة. ومعنى سافر كاتب يكتب في

الأسفار، واحدها سفر، وهي الصحف وسفر إذا كتب من سفر فهو سافر. وكان المأمون وجد على بعض كتابه في شيء، فكتب إليه:

### ونحن الكاتبون وقد أسأنا فهبنا للكرام الكاتبينا

فعفا عنه. وبالكتابة جمع القرآن، وحفظت الألسن والآثار، ووكدت العهود، وأثبتت الحقوق، وسيقت التواريخ، وبقيت الصكوك، وأمن الإنسان النسيان، وقيدت الشهادات، وأنزل الله في ذلك آية الدين وهي أطول آية في القرآن.

وقد سمعت بعض من حرم فضيلة الكتابة يقول: لو كانت الكتابة فضيلة، لكانت في رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهو لا يدري أن في ذلك فضلاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ونقصاً لغيره، لأن الكفار إدعوا عليه أنه يحسن الكتابة، وأنه يتعلم ما يأتي به في القرآن من أهل الكتاب، وكتبه فهو يقرأه، ويأتي بتفسير شيء منه، ويشرحه بلسانه، وهو صلى الله عليه وسلم ما قرأ ولا كتب قط، ولا هياً الله له طلب ذلك، ولا عرف بتعلمه لما أراده جل وعز من الاختصاص بالرسالة، وإيضاح الحجة، على من زعم أنه يكتب. ألا ترى إلى حكاية الله عز وجل لقول الكفار: "اكتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً"، ما كذبهم عز وجل وجعل من أفضل صفاته عليه الصلاة والسلام قوله: "النبى الأمي"، فقال: "فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمي". وقال: "الذين يتبعون الرسول النبى الأمي".

وليس هذا الكتاب والفوائد فيه معمولاً لتابع دون متبوع، ولا حامل دون نبيه، ولا محروم دون محظوظ. ولا ينبغي لمن رفعته حال، وساعده جد، وهو يؤنس من نفسه تقصيراً في الأدب، وتخلقاً عن صناعة الكتابة، أن يغتر بحظه، وإقبال الأيام عليه في وقت، فإنها دول منقلبة وأحوال متصرفة، وليتلاف ما ضيع، ويستدرك ما فرط، ولا يتكل على كفاءته، مشتغلاً ببلذته، ومريحاً قلبه وجسمه، مستعيراً في كل وقت عليهم، ومتكلاً على كفاءتهم، ينام ويسهرهم، ويفرغ ويشغلهم.

فإن هذا الفعل إنما يحسن بالرؤساء إذا أشرفوا على العلم، واستفلوا بالصناعة، وعرفوا ما يحتاجون إليه من أمر الكتبة وحفظوه. فعند ذلك تشرف عندهم أنفسهم، ويحسن بمن عندهم استقامتهم، حتى تحملوا عنه ما هو أعلم به منهم، ولا يكونوا أسراء في أيديهم، ولا مضطرين إلى ما عندهم. وقد قال بعض الحكماء: "كل شيء يمكن أن يستعار إلا اللسان" وقال: من خدم السلطان بلا علم واستقلال، وتجربة وكمال، كان بمتزلة راكب فيل صعب، وسابح في بحر قد جف". ومع ذلك فإن الأتباع إذا أحسوا من الرؤساء بتفويض إليهم، على قلة علم منهم، واضطرار إلى كفاءتهم، ولم يحس الأتباع منهم حسن مجازاة على

جميل إفادتهم، سوء مكافأة على قبيح أفعالهم، حتى يستوي عندهم محسنهم، ومسيئهم وخائنهم وأمنهم، وكافتهم وعاجزهم؛ انتقل الأمين عن مر الوفاء إلى حلاوة الخيانة، وازداد الخائن بصيرة فأثر الإضرار، وقصر الكافي عن إتعاب النفس وكد الانتصاح؛ فقد يرى الأمين صنيعه فيخون، ويرى الخائن جرماً فيعف، فيضطرب عند ذلك الحبل، وينشر الأمر، وتنعكس مساوئ قوم محاسن آخرين. قال أبو بكر: وإنما ذكرت هذا الفصل، لأرغب أهل هذه الصناعة الشريفة، في الإقبال عليها، وإنفاق بعض العمر في طلبها، فإنها من أجل ما كد فيه الفكر، وقطعت به الأيام. وقد استعمل اللفظة التي حكيته - أعني إنفاق بعض العمر - شاعر من الأزد فقال:

هزئت عميرة إذ رأيت ظهري انحنى      وذؤابي علت بماء خضاب

لا تهزئي مني عمير فإنني      أنفقت فيكم شرطي وشبابي

وفيه غناء في طريق الثقليل الثاني. وليس يجب لمن صفر من هذه العلوم أن يدع التعلم آيساً من الاستفادة، مولياً عن الاستزادة. فرمما كان الإنسان مهياً الذهن لحمل العلم، قريب الخاطر، متقد الذكاء، فيضيع نفسه فيهماها ويميت حواطره بترك استعمالها، فيكون كما قال علي بن الجهم:

والنار في أحجارها مخبوءة      ليست ترى إن لم يثرها إلا زند

وإنما أخذه من قول الأول:

أنا النار في أحجارها مستكنة      متى ما يهيجها قاذح تتوقد

ومثل قوله:

أنفقت فيكم شرطي وشبابي

ما أنشدناه ابن ذكوان القاسم بن إسماعيل قال: أنشدنا أبو مجلي السعدي لحضرمي بن عامر يعاتب عوف بن عبد الله في أبيات:

تجود أسباب المودة بيننا      حديثاً وأسباب المودة تخلق

لعلك يوماً أن يسؤك أنني      قريب ودوني من حصي الأرض مخفق

وتتظر في أسرار كفيك هل ترى      لها خلفاً مما يفيد وينفق

هذا مثل يضرب للنادم قال الأعشى:

فانظر إلى كف وأسرارها      هل أنت إن أوعدتني ضائري

ومنه قول الله عز وجل: "فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها". وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "قريش أهل الله وهم الكتبة الحسبة". وروي عن كعب الأحبار، أنه قال: "إنا لنجد قريشاً في الكتاب الكتبة الحسبة ملح الأرض". وروي في تفسير قوله تعالى: "ويعلمهم الكتاب والحكمة" قال: يعني القرآن لا الخط قال الشاعر:

إن الكتابة رأس كل صناعة وبها تتم جوامع الأعمال

### ما روي في أول من كتب الكتاب بالعربي

قد ذكرت أن اختصر جميع ما أذكره، وألقي أسانيده ليقترب على طالبه ومستفيده، إلا ما لا بد منه، من ذكر نسبه وإسناده، وإنما أجري إلى ما ذكرته.

روي عن كعب الأحبار، أنه قال: "أول من كتب الكتاب العبري والسرياني وسائر الكتب آدم صلى الله عليه وسلم، قبل موته بثلاثمائة سنة، كتبها في طين ثم طبخه، فلما غرق الله جل وعز الأرض، أيام نوح، بقي ذلك فأصاب كل منهم كتابهم. وبقي الكتاب العبري إلى أن خص الله به إسماعيل فأصابها وتعلمها". وروي عن ابن عباس "أن أول من وضع الكتابة العربية إسماعيل على لفظه ومنطقه، فعلمه موصولاً حتى فرق بينه ولده".

وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص وعروة بن الزبير أنهما قالوا: "أول من وضع الكتاب العبري قوم من الأوائل، نزلوا في عدنان بن أد بن أدد، أسماؤهم أبجد وهوز وحطي وكلمن وسعفص قرشت، فوضعوا الكتاب العبري على أسمائهم ووجدوا حروفاً ليست من أسمائهم وهي الثاء والحاء والذال والطاء والضاد والطاء والغين قسموا بالروادف". وقد روي أنهم كانوا ملوك مدين، وأن رئيسهم كلمن وأنهم هلكوا يوم الظلة مع قوم شعيب عليه السلام فقالت أخت كلمن ترثيه:

هلكه وسط المحله

كلمون هد ركني

حتف ناراً وسط ظله

سيد القوم أتاه آل

دار قومي مضمحلته

كونت ناراً فأضخت

وقيل: إن هؤلاء أخذوا كتاب إسماعيل عليه السلام، فعملوا منه كتاباً يتعلم منه، لأن الأحاديث عنهم أنهم استعربوا وضعوا الكتاب العبري والله أعلم.

وروي عن ابن جعدة "أن أول من كتب العربية مرامر بن مرة. وأسلم بن الدرة، اجتمعا حتى وضعوا

مقطعه وموصله، وهما من أهل الأنبار". قال: وسئل المهاجرون من أين تعلموا الكتاب فقالوا: من أهل الحيرة. فسئل أهل الحيرة من أين تعلموا، فقالوا: من أهل الأنبار. وقد أعرب الناس أبا جاد وسعفصاً، فقال معاذ الهراء يخاطب رجلاً عاب النحو والعربية:

عالجتها أمرد حتى إذا      شبت ولم تعرف أبا جادها  
سميت من يعلمها جاهلاً      يصدرها من بعد إيرادها

وقال آخر:

وخطوا لي أبا جاد وقالوا      تعلم سعفصاً وقريشات

حدثنا الحسين بن مرثد، قال: حدثنا محمد بن سلام، قال: أخبرنا يونس، قال: سمعت أبا عمرو يقول: العرب كلها أولاد إسماعيل فأصهر إليهم، والعربية التي روى محمد بن علي بن الحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليهم، أن أول من تكلم بالعربية إسماعيل عليه السلام وإنما يعني اللسان الفصيح الذي نزل به القرآن وعربية حمير وبقايا جرهم، غير هذه ليست بفصيحة.

### أصل كتاب بسم الله الرحمن الرحيم وابتدأه

قال الصولي: سألت أبا خليفة بن حباب الجمحي عن ابتداء الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم، فقال: سألت ابن عائشة عبيد الله بن محمد بن حفص عن ذلك، فقال: حدثني أبي أن قريشاً كانت تكتب في جاهليتها "باسمك اللهم"، وكان النبي صلى الله عليه وسلم كذلك، ثم نزلت سورة هود وفيها "بسم الله مجراها ومرساها" فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يكتب في صدر كتبه: "بسم الله"، ثم نزلت في سورة بني إسرائيل "قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى"، فكتب: "بسم الله الرحمن"، ثم نزلت في سورة النمل: "إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم". فجعل ذلك في صدر الكتب إلى الساعة. وكتب "بسم الله الرحمن الرحيم" في أول كل سورة من القرآن، إلا في أول سورة التوبة، فإنه يروى عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال: لم يكتب بين الأنفال بسم الله الرحمن الرحيم والأنفال من أول ما أنزل الله في المدينة، وبراءة من آخره، إلا أنها تشبهها، وقصتها كقصتها. وكان النبي صلى الله عليه وسلم ربما تلا الآيات فيقول: "هذه مكاتها في سورة كذا، فاجعلها تليها". وهذا بفضل من الله عز وجل عليهم.

كيف يفتتحون كلامهم ليبارك لهم فيما يحاولون ويؤجروا عليه

والمعنى: اقرأ يا محمد بسم الله وقل بسم الله، ثم حذفت قل ليعلم المخاطب أن معناه الأمر. والباء صلة فعل محذوف حذف لعلم القارئ به وهو: أبدأ بسم الله وأقرأ بسم الله، لأن جبريل كان إذا نزل بالوحي قال: "اقرأ يا محمد، قال: وما أقرأ؟ قال: اقرأ بسم الله". والمعنى في الابتداء بها، في غير القرآن، بدأت بسم الله. ثم كثر ذلك وعلم حتى أسقطوا بدأت. وقال سيويه: معنى الباء الإلصاق تقول: كتبت بالقلم، فالمعنى أن الكتابة ملصقة بالقلم. وهي مكسورة أبداً لأنه لا معنى لها إلا الخفض، فوجب أن يكون لفظها مكسوراً.

والله تبارك اسمه، اسم خاص للمعبود جل وعلا، لا يسمى به سواه. قال الله تعالى: "هل تعلم له سميّاً". قال المفسرون: لا يعلم من تسمى الله إلا الله عز وجل، ولا يعرف لهذا الإسم اشتقاق من فعل. ولا أحب ذكر ما قاله النحويون فيه لأنه يكلف لا يضر تركه.

وأسماء الله عز وجل، بعد هذا، صفات: فالرحمن الرحيم ذو الرحمة، ولا يقال رحمن إلا الله تعالى. ويقال: فلان رحيم لأن رحمن في وزنه فعلان، من أسماء المبالغة في الرحمة وغيرها، والله تعالى نهاية في الرحمة وليس شيء كذلك، فلهذا لم يسم به غير الله.

والرحمة من الله تجاوز عن ذنب، وإحسان عن حسنة، وإيصال الخير إلى عباده. والرحمة من العباد إشفاق ورقة، تحدث فيهم.

وليس في الأفعال ما يبنى عليه ثلاثة أسماء مثل رحم فهو راحم، ورحيم ورحمان إلا سلم وسليم وسليمان، وندم فهو نادم ونديم وندمان، ولا يقال من الندمان: نادم إنما يقال: نادمته.

والألف في بسم الله وصل لأن غيره تصغيره سمي. وحكى أبو زيد أن العرب تقول: هذا اسم وهذا سم وسم وأنشد:

### بسم الذي في كل سورة سمه

ويروى سمه، وإنما ضموا السين وكسروها، لأنه سموت وسميت بمعنى ارتفعت وعلوت، فمن قال: سم فكسر فمن سميت ومن قال سم فهو من سموت. ومعنى قولك: أسميت لفلان فلاناً، وإنما هو رفعت له صفته وما يعرفه به حتى عرفه. والاسم مأخوذ من السمو وهو الارتفاع، وأصله سمو والجميع أسماء مثل حنوا وأحناء وقتو وأقناء.

ومن قال الاسم مأخوذ من السمة، كأنك إذا قلت: أسميته لفلان، كان المعنى وسمته له بشيء عرفه به، حذفت منه فاء الفعل ودخلته ألف الوصل ألا ترى أن عدة وزنة أصلهما وعدة ووزنة، فإذا صغرتما

رجعت الواو، فقلت: وعيدة ووزينة.

وكذلك تصغير صلة وصيلة، فلو كان اسم من سمة لكان تصغيره وسيمة، ولكن تصغيره سمي، فبطل أن يكون من السمة، فكان يجب أن يكون وسم وسمة، ووزن وزنة، كما قالوا صل صلة، ولكن وقعت الواو، ولذلك كان يجب أن يقال وزن يوزن، مثل عدل يعدل، فوقعت الواو بين ياء وكسرة، فحذفت فقييل وزن يزن، وإنما كرهت العرب أن تتكلم بضممة بعد كسرة، وكسرة بعد ضمة في الواو والياء، لأنه يصعب في اللفظ قليلاً. وإنما يتكلمون بما خف على ألسنتهم، ولذلك صحت لهم الأسماء في الثلاثي كله، إلا في صنفين.

والثلاثي قولهم فعييل وقد سموا على فعل، فقالوا: عضد وسموا فعل فقالوا: عنب، وسموا بفعل فقالوا: إبل، وسموا بفعل فقالوا: طنّب، وسموا بفعل فقالوا: حرد، ولم يسموا بفعل ولا بفعل كراهة لثقل ذلك ليس في أسمائهم دتل ولا شيء على وزنه، ولا مثل دول ولا شيء على وزنه.

### حذف الألف من بسم الله وما ذكر من حذف السين

أجمع القراء وكتاب المصاحف على حذف الألف من بسم الله الرحمن الرحيم في فواتح السور والكتب وعلى كتبهم إياها في قول: "فسبح باسم ربك العظيم"، لأنها وقعت موقعاً معروفاً لا يجهل القارئ معناه وكثرت فاستحق طرحها. إذ كان من شأن العرب التخفيف إذا عرف المعنى ولم يكثر ككثرت مع الله عز وجل، فحملهم كثرة الاستعمال ومعرفة المعنى لأنه يقال بدأت بسم الله فحذفت بدأت ثم حذفت الألف في الخط.

وحذف قوم السين وذلك مكروه لأن حروف الزيادة والنقصان الألف والواو والياء فحذفت الألف وليست السين كذلك.

روي أن كاتب عمرو بن العاص، كتب إلى عمر بن الخطاب، رضي الله عنه "بسم الله" بَاءً وميماً وحذف السين. فأمر عمر بضربه فضرب، فقييل: في أي شيء ضرب؟ فقييل: في سين. فضربت مثلاً. ويصير إذا حذفت السين كأنه "بسم الله" وبم ولم يستفهم بهما.

وألف اسم لا يحذف إذا أضيفت إلى غير الله، ولا تحذف في غير الله من الصفات مثل اللام في قولك: "لاسم الله حلاوة في القلوب" و"ليس اسم كاسم الله" لا بد من إثباتها.

وأجاز الكسائي طرح الألف في قولهم: باسم الخالق وباسم الرحمن، وغيره يأبى ذلك، ولا يجيزه إلا في بسم الله وحده. وعلى هذا العمل وهو الصواب.

وكتبوا: الرحمن، بغير ألف لكثرة الاستعمال وإن المعنى لا يخل.



## رسوم الكتاب في كتابتهم بسم الله الرحمن الرحيم

يختار الكاتب أن يبدأ بكتاب بسم الله الرحمن الرحيم، من حاشية القرطاس، ثم يكتبون الدعاء من تحته مساوياً، ويستقبحون أن يخرج الكلام عن بسم الله الرحمن الرحيم، فاضلاً بقليل، ولا يكتبوها وسطاً، ويكون الدعاء فاضلاً، وإنما يفعل ذلك بالتراجع. ومن الكتاب من يرى أن يجعله وسطاً، في أسفل الكتاب، بعد انقضاء الدعاء الثاني والتاريخ، إذا احتاج إلى تبيين نسخة كتاب متقدم، أو حساب، ليفرق بين مترلته من صدر الكتاب وبين عجزه. وقد ذهب إليه قوم.

ولا يفسح ما بين بسم الله الرحمن الرحيم وبين السطر الذي يتلوه من الدعاء ولكن يفسح ما بين الدعاء، إذا استتم، وبين سائر المخاطبة. ولا يتجاوز بالدعاء ثلاثة أسطر، ولا يستتم السطر الثالث، على المشهور من مذاهب أجراء الكتاب.

## "أما بعد" وما جاء فيها

قال الصولي: حدثنا زياد بن الخليل التستري، قال: حدثنا إبراهيم بن المنذر قال: حدثني عبد العزيز بن عمران، عن محمد بن عبد العزيز، عن عمر، عن أبيه، عن أبي سلمة، قال: "أول من قال أما بعد كعب بن لؤي. وكان أول من سمى الجمعة وكانت تسمى العروبة". ويروى أن أول من قال: أما بعد، داود النبي عليه السلام وأن ذلك فصل الخطاب، الذي قال الله عز وجل: "وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب".

حدثنا زياد بن الخليل قال: حدثنا إبراهيم بن المنذر الحارثي، قال: حدثني عبد العزيز بن عمران، عن أبي الزناد، عن أبيه، عن بلال بن أبي بردة، عن أمه، عن جده أبي موسى، أنه قال ذلك. وقال الشعبي: فصل الخطاب الذي أعطيه داود عليه السلام: أما بعد. فمعنى فصل الخطاب، على هذا، أنه إنما يكون بعد حمد الله، أو بعد الدعاء، أو بعد قولهم: من فلان إلى فلان، فينفصل بها بين الخطاب المتقدم وبين الخطاب الذي يجيء بعد. ولا تقع إلا ما ذكرناه. ألا ترى قول سابق البربري لعمر بن عبد العزيز:

الحمد لله أما بعد يا عمر

باسم الذي أنزلت من عنده السور

فكن على حذر قد ينفع الحذر

فإن رضيت بما تأتي وما تذر

والمعنى في أنها لا تقع مبتدأة، أن المراد بها أما بعد هذا الكلام، يعني الذي تقدم فإن الخبر كذا وكذا. وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كتب إلى بني أسد: "بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى بني أسد. سلام عليكم، فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو. أما بعد فلا تقرين مياه طي ولا أرضهم فإنه لا يجلب لكم".

فإذا كتب كاتب: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد كان كذا وكذا، فمعناه: أما بعد قولنا بسم الله، فقد كان كذا وكذا وأنه قد كان. فإنها لا تقع إلا بعد ما ذكرناه.

ولابد من مجيء الفاء بعد أما لأن أما لا عمل لها إلا اقتضاء الفاء واكتسابها، فإن الفاء تصل بعض الكلام ببعض، وصلاً لا انفصال بينه ولا مهلة فيه. ولما كانت أما فاصلة، أتيت بالفاء لترد الكلام على أوله. وليست تدل الفاء على تأخير متقدم، ولا تقديم مؤخر، ولا يستوي معناهما فيها ولا معها.

ومما أجمع أهل اللغة، على أن حالفاً لو قال: والله لآتين الكوفة والبصرة، فبدأ بالكوفة في لفظه، ثم أتى البصرة قبل الكوفة ثم أتى الكوفة، إنه غير حائث لأن الواو عندهم أتم حروف النسق، وإنها للإشراك تدخل الآخر فيما أدخلت فيه الأول لا فرق.

وأجمعوا على أنه إذا قال: لآتين الكوفة فالبصرة أنه إن لم يأت الكوفة التي بدأ بها في لفظه، ثم يخرج منها إلى البصرة مسرعاً مزعجاً، غير متلبث إلا لفكر في خروجه، أو إصلاح لطريقه، أنه فائت، لأن الفاء حرف إزعاج وإسراع. فإذا قال: لآتين الكوفة ثم البصرة، بدأ بالكوفة وأقام ما شاء بعد، لا ينقص عزمه في إتيانها، ولا تتغير نيته إلى وقت قصده إياها، لأن ثم عندهم حرف إمهال وتنفيس.

والذي عليه أكثر الفقهاء، في فصل الخطاب، أنه فصل الحكم والقضاء. وقال الضحاك بن مزاحم: فصل الخطاب العلم بالقضاء. وروى عن شريح والحسن البصري، أنهما قالوا: فصل الخطاب الشهود والأيمان، ذهب إلى أنه يجب بهما الحكم وتنفصل الأشياء.

حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: حدثنا سفيان، عن الأسود، عن قيس، عن ثعلبة، عن عباد، عن سمرة أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب حين كسفت الشمس فقال: "أما بعد".

### تصدير الكتب وما يقع فيها

فقد استعمل الناس قريباً من ترتيب الدعاء، وتكثيره وتقليله، أشياء كلفوا أنفسهم فيها، مؤونة المخاضة فيها والتحفظ فيها منها. وقد كان المتقدمون يسمحون في ذلك، ولا يتشاحون عليه إلى الرسوم في الكتب عن الأئمة فإنها على الأمثلة التي كانت تجري عليها الكتب، وتصدر بها في أيام النبي صلى الله عليه

وسلم كثيراً، لم تغير عما كانت تصدر به عن النبي صلى الله عليه وسلم: يبدأ باسمه ويختم الكتاب باسم كاتبه. وكذلك هي عن الأئمة بإمرة المؤمنين والإمامة، والتصدير في أول الكتاب، والدعاء في آخره للإمام وولي العهد والوزير واحد. إلا أنهم قالوا: سلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، وكذلك لولي العهد في التصدير والدعاء الأخير. ولم يقولوا للوزير وبركاته ليفرقوا بين المحليين. وقد كتب بعضهم في عجز الكتاب إلى الوزير وبركاته. فأما في التصدير فلا وذلك للفرق بين المحليين.

وكان التصدير ينتهي إلى قوله: "فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. إلى أن أفضت الخلافة إلى الرشيد، فأمر أن يزداد فيه وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم". فكتب بذلك إلى هذا الوقت. فكانت هذه من أفضل مناقب الرشيد.

وكان الرشيد، قال ليحيى بن خالد: قد عزمت على أن يكون في كتي من عبد الله هارون الإمام أمير المؤمنين عبد محمد رسول الله. فقال له يحيى: قد عرف الله نيتك في هذا يا أمير المؤمنين، وحن لك أجره، والتعبد إنما هو لله وحده لا لغيره. قال: فاكتب: "من هارون مولى محمد". فقال: إن المولى عند العرب ربما كان ابن العم وجزى الله أمير المؤمنين خيراً وهداه إليه.

وقد يزيد في الكتب، ذكر الصفات، التي اختص الله تعالى بها كالمصور والمهدي والهادي والرشيد. والعجب أن قوماً يسمونها ألقاباً والألقاب مكروهة وإنما هي نعوت وصفات. وجعلوا مثل ذلك لولاة العهود، وخطوب بها الخلفاء، قال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر، يخاطب المعتضد بالله، في قصيدة ذكر فيها ابنه علياً المكتفي بالله.

### المكتفي بالله صاحب عهدنا فاجعله نحلته من الأسماء

فلما ولي المكتفي بالله الخلافة قال: قد سماي عبد الله باسم لا أريد غيره. ولم يكن يدعى للخلفاء على المنابر بالنعوت، فيقال: اللهم أصلح عبدك وخليفتك عبد الله المنصور أمير المؤمنين ولا المهدي. وكان أول من دعي له بذلك محمد الأمين أمير المؤمنين، وجرى على ذلك إلى اليوم. ولا يكاتب بالتصدير الإمام ولا ولي عهده ولا وزيره. فأما الإمام فيكتب بالتصدير إلى كل من خاطبهن من عامل حرب وخراج وقضاء، في الكتب المدونة المنعوتة، بالعهود والعقود وجباية الفيء، والحمول والنفقات والإقطاعات والإمارات والفتوح، وما جرى هذا المجرى، ويبدأ بنفسه. ولا يخاطب الإمام أحداً من هذه الطبقات بدعاء له في التصدير إلا ولي عهده، فإنه يدعي له بعد التصدير بالحفظ والحياطة.

### مقال الخط

قال يحيى بن خالد البرمكي: "الخط صورة روحها البيان، ويدها السرعة، وقدمها التسوية، وجوارحها معرفة الفصول".

وقال أبو دلف: "القلم صائغ الكلام، مفرغ ما يجمعه العلم".

وقال اقليدس: "الخط هندسة روحانية وإن ظهرت بألة جسمانية. أخذته النظام"، فقال: "الخط أصل في الروح وإن ظهر بألة الجسد".

ومن فضل حسن الخط، أن يدعوا الناظر إليه إلى أن يقرأه وإن اشتمل على لفظ مرذول ومعنى مجهول. وربما اشتمل الخط القبيح، على بلاغة وبيان، وفوائد مستظرفة، فيرغب الناظر عن الفائدة التي هو محتاج إليها لوحشة الخط وقبحه.

حدثنا أحمد بن إسماعيل، قال: كان مشايخ الكتاب وزهاد العمال يختارون أن يكون ما يرفعونه عن جماعاتهم، إلى دواوين السلطان بخط غير جيد، ومداد غير حالك، في صحف مظلمة، ليثقل على من يرد عليه من المتصفح فيعدل عنها إلى غيرها مما لا يتعبه. وزعم صاحب المنطق أن الأشياء مجودة في أربعة مواضع:

في الأشياء ذوات المعاني في أنفسها، وفي العقول، والقول، والخط. وإن الحظ دليل على ما في النفوس، وما في دليل على ما في الأشياء ذوات المعاني، وما في الأشياء ذوات المعاني مدلول عليه. وإن اثنين من هذه الأربعة طبيعيان، وهما الأشياء ذوات المعاني وما في النفوس لا يتغيران. واثنان وضعيان، يتغيران بتغير اللغات والبلدان، وهما القول والخط. ومثال ذلك أن الذي في الجسمين، من التدوير والتربيع، موجود فيهما إذا نظر إليهما ناظر، انطبعت صورتهم في نفسهما، فصارا موجودين في موضعين، وإذا أراد أن يخبر غيره عما وجدته، احتاج إلى التعبير عما في نفسه باللفظ، فيكون اللفظ دالاً على ما في النفس، وإن كان المخبر حاضراً شافهه، وإن كان غائباً أداه إليه بالخط.

واللفظ والخط من هذا الوجه ضروريان، لا بد منهما في العبارة. ولو شاء قائل أن يفضل الخط على اللفظ، في هذه الحال، من قول صاحب المنطق، لقال: فالخط أتم من اللفظ فائدة، لأنه قد بلغ مبلغ المنطق، إذ كنا قد نتاجي الحاضر بما جميعاً، فنفهمه بكل واحد منهما، مثل ما نفهمه بالآخر، ولا نستطيع إفهام الغائب إلا بالخط، فللخط فائدتان من هذه الجهة، وليس للفظ إلا فائدة واحدة.

فإن قال معترض: فكيف يتهيأ أن يفهم الأعمى والأمي الخط؟ قيل له: ذلك من نقصان آلة، لا من نقصان آلتها، الخط، وإنما قولنا على تمام الآلة وأصل البنية الصحيحة، والعنى عرض دخل على الطبيعة وليس بأصل فيها، والأمي ممكن أن يتعلم الخط، فالنقيصة فيه عن علمه من ميله. وقد رأينا الشديد الصمم لا يفهم إلا بالخط.

ومن أحسن ما فضل به كلام المخاطب على الخط قول جالينوس "الكتاب كلام ميت، يتناوله قارئه كيف شاء، وكلام المخاطب حي، يمكن صاحبه أن يبصره حتى يبلغ به غرضه".  
ومن الأعجوبة في الخطوط كثرة اختلافها والأصول واحدة كاختلاف شخوص الناس مع اجتماعهم في الصنعة، حتى إن خط الإنسان يصير كحليته ونعته في الدلالة عليه، وال لزوم له والإضافة إليه، حتى يقضي به الكاتب له وعليه.

وقد عجبت من بعض الكتاب قال: ادعى رجل من إلحاق الأنساب بالآثار والأشباه، فقال له القائف: أعجب والله من هذا ما يبلغنا من تمييزهم الخطوط وإلحاق كل خط بصاحبه أو ما ترى العازم على خيانة أو دفع حق، بغير خطه حتى إذا جحد لم ينسب عليه.

وحدثني الحسين بن يحيى الكاتب، قال: ادعى رجل على رجل مالا، وأن معه به رقعة بخطه، فجدد الرجل الخط، وجعل يكتب بين يدي الناس فيحكمون أن الخط ليس خطه. ثم تراضيا بسليمان بن وهب، وما يحكم به في ذلك، فأحضر الخط والرجل، فقال: اكتب فأملني عليه كتاباً طويلاً، ردد فيه مثل الحروف التي في رقعته، فتبين سليمان أن الخط خطه، وأنه صنع في كتاب الرقعة، ولم يكتب على طبعه، بحروف دلته على ذلك، فحكم عليه سليمان، فاعترف الرجل بالخط، وأدى المال وعجب من ذلك. فقيل لسليمان: كيف وقفت على ذلك؟ فقال: إنه يصنع في الرقعة كلها إلا في أحرف قذفها سجيته، ولم يجترس منها طبعه. ثم أنشد سليمان:

ولما أبت عيناى أن تطعم الكرى      وأن يمنعا ذر الدموع السواكب

تتاءبت كي أبغى لدمعي علة      وكم مع لوعاتي بقاء التثاؤب

ومن مליح التعلل في الدم ما حدثنا به محمد بن دينار قال: حدثنا مهدي البهدي، قال: قال يسار لأبي العتاهية: يا عتي أنا والله أستحسن اعتذارك في دمعك حيث تقول:

كم من صديق لي أسا      رقه البكاء من الحياء

فإذا تأمل لامني      فأقول ما بي من بكاء

لكن ذهبت لأرتدي      فطرفت عيني بالرداء

فقال أبو العتاهية: والله يا أبا معاذ ما لذت في هذا إلا بمعناك، ولا اجتنيتيه إلا من غرسك في قولك:

فقالوا: لم بكيت فقلت: كلا      وهل يبكي من الطرب الجليد

ولكني أصاب سواء عيني      عويد بدا له طرف حديد

فقالوا: ما لدمعها سواد      أكلتا مقلتيك أصاب عود

والتشبيه يقع كثيراً بالخط الجيد الحسن، أما الخط الرديء فحكايته صعبة ممتعة.

وحدثني يحيى بن البحتري قال: حدثنا أبي عن ابن الترحمان - وكان الواثق أنفذه إلى ملك الروم بمدايا - قال: وافقت لهم عيداً فرأيتهم قد علقوا على باب بيعتهم كتباً بالعربية منشورة، فسألت عنها، فقيل: هذه كتب المأمون بخط أحمد بن أبي خالد الأحوال استحسنوا صورته وتقديره فجعلوا هكذا. فحدثت أنا بهذا الحديث، أبا عبيد الله محمد بن داود بن الجراح، فقال لي: هذا حق قد كتب سليمان بن وهب كتاباً إلى ملك الروم، في أيام المعتمد، فقال: ما رأيت للعرب شيئاً أحسن من هذا الشكل! وما أحسدهم على شيء حسدي إياهم عليه. والطاغية لا يقرأ الخط العربي، وإنما راقه باعتداله وهندسته وحسن موقعه ومراتبه.

ووصف أحمد بن إسماعيل خطأً حسناً فقال: "لو كان نباتاً لكان زهراً. ولو كان معدناً لكان تبراً. أو مذاقاً لكان حلواً. أو شراباً لكان صفواً". وقالوا: "القلم قسيم الحكمة".

وقال أفلاطون: "الخط عقال العقل". وقال أرسطاطاليس: "القلم العلة الفاعلة. والمداد العلة الهيولانية. والخط العلة الصورية. والبلاغة العلة النامية". وقال بعض الملوك اليونانية "أمر الدين والدنيا تحت شيعين: قلم وسيف، والسيف تحت القلم".

### ما قيل في حسن الخط من المنظوم

فمن مليح ما قيل في ذلك، قول أبي تمام للحسن بن وهب، وقد قرأ كتاباً له فاستحسن خطه ولفظه من كلمه:

لقد جلى كتابك كل بث	جو وأصاب شاكلة الرمي
فضضت ختامه فتبلجت لي	غرائب عن الخبر الجلي
وكان أغض في عيني وأندى	على كبدي من الزهر الجني
وأحسن موقعاً عندي ومني	من البشري أتت بعد النعي
وضمن صدره ما لم تضمن	صدور الغانيات من الحلي
فكائن فيه من معنى بديع	وكائن فيه من لفظ بهي
وكم أنجزت من بر جليل	به ووعدت من وعد سني
كتبت به بلا لفظ كريبه	على أذن ولا خط قمي

## فأطلق من عقل في الأمانى

## ومن عقل القوافى والمطى

وأهدي بعض الكتاب غلاماً كاتباً، إلى رئيس له، وكتب إليه بصفة الخط وغيره - وسمعت من يحكي أن فاعل ذلك عيسى بن فرخان شاه بإبراهيم بن العباسي الصولي، وكان عيسى يكتب له ولا أدري كيف صحته، لأني لم أعتد بما لم أسمع من أفواه الرجال:

تجزيه بالنزر الجليلا

اقبل هدية شاكر

ه لم يألّف أفولا

بدراً يضيء إذا نظرت إلي

ت بحسن موقعه كفيلا

إني بعثت به وكن

حسناً يصيد به العقولا

لما رأيت بخطه

سحب القيان به الذيولا

كمنمنم الموشي قد

فيها فاوسعها همولا

أو كالرياض بكى الحيا

إذا أشرت به قبولا

وتراه للمعنى اللطيف

تملي عليه ولا ملولا

لا مستعيداً منك إذ

من الحكاية والفصولا

عرف المبادئ والوصول

وإن يقصر أو يطبلا

وصنوف ترنيب الدعاء

قصور والمثل المقولا

والهمز والممدود والم

مصروف منها والتقبلا

والفعل والأسماء وال

أن لا تريد به البديلا

فاستكفه وأضمر له

وبيانه عنك التقبلا

يحمل بفضل لسانه

وأنشد أحمد بن إسماعيل نطاحة لنفسه:

أضحكت قرطاسك عن جنة أشجارها من حكم مثمره

أيضاً كمثل الليلة المقمره

مسودة سطحاً ومبيضة

ولي من قصيدة مدحت بها الوزير أبا القاسم عبد الله بن محمد بن عبيد الله بن يحيى:

أفدي أبا العباس من ناظم

ينظم دراً في قرطيسه

بوابل من نقشه واسم

يطلع أنواراً بها غضة

بنفسجاً أو مشبهاً لونه  
كالدرد في اللفظ وكالوش

فقال أحمد بن إسماعيل:

وإذا نممت بناتك خطأً  
معرباً عن إصابة وسداد

عجب الناس من بياض معان  
تجتتى من سواد ذلك المداد

حدثنا محمد بن إبراهيم الأنصاري أبو الحسن، قال: وصف أحمد بن صالح جارية كاتبة فقال: "كأن خطها أشكال صورتها. وكأن مدادها سواد شعرها. وكأن قرطاسها أديم وجهها. وكأن قلمها بعض أناملها. وكأن بيانها سحر مقلتها، وكأن سكينها سيف لحاظها. وكان مقطها قلب عاشقها". وأنشدنا عبد الله بن المعتز لنفسه يصف خطأً:

فدونكه موسى نممته  
وحاكنه الأنامل أي حوك

بشكل يؤمن الإشكال فيه  
كأن سطوره أغصان شوك

ومثل هذا لأحمد بن إسماعيل نطاحة:

مستودع قرطاسه حكما  
كالروض ميز بينه زهره

وكان أحرف خطه شجر  
والشكل في أضعافها ثمره

أنشد محمد بن يزيد المبرد، قال: استعار محمد بن عبد الملك الزيات من الحسن بن وهب دفترًا فيه شعر أبي يعقوب الخريمي، وكان معجباً به، فوجه الحسن به إليه، وكان بخط حسن، ثم وجه الحسن يطلبه منه، فوجه إليه محمد بالنسخة التي كانت عنده واحتبس نسخة الحسن وكتب إليه:

إني نظرت ولا صواب لناظر  
فيما يهيم به إذا لم ينظر

فإذا كتابك قد تخير خطه  
وإذا وسوم في كتابك لم تدع

تنبيك عن رفع الكلام وخفضه  
شكاً لمعتسف ولا لمفكر

وإذا كتاب أخيك من ذا كله  
والنصب فيه لحاله والمصدر

فاقبل كتاب أخيك غير منافس  
خلو فبئس لبائع أو مشتري

واعلم بأنك لا تزال مؤخرًا  
فيه واخل له كتابك واعذر

في العلم عند الناس ما لم تكسر



إني أرى حبس السماع على الذي  
شاركته فيه وكسر الدفتر  
واستهدى أحمد بن إسماعيل دفترًا فيه حدود الفراء، فأهداه إلى مستهديه وكتب على ظهره:

خذه فقد سوغت فيه مشبهًا  
بالروض أو بالبرد في تفويفه  
نظمت كما نظم السحاب سطوره  
وتأنق الفراء في تأليفه  
وشكلته ونقطته فأمنت من  
تصنيفه ونجوت من تحريفه  
بستان خط غير أن ثماره  
لا تجتنى إلا بشكل حروفه

وللخط صفات وتركيبات وأسماء مختلفات، تحد وتصنف ما يقال ذلك في النغم واللحن. فمنه الرياشي المحقق والخفيف المطلق، وهو الذي يتعلق بعضه ببعض، ومنه منشور ومجموع. وسئل بعض الكتاب عن الخط متى يستحق أن يوصف بالجودة، فقال: إذا اعتدلت أقسامه، وطالت ألفه ولامه، واستقامت سطوره، وضاهى صعوده حدوده، وتفتحت عيونه، ولم تشبه راءه نونه، وأشرق قرطاسه، وأظلمت أنقاسه، ولم تختلف أجناسه، وأسرع إلى العيون تصوره، وإلى العقول ثمره، وقدرت فصوله واندمجت وصوله، وتناسب رقيقه وجليله، وخرج عن نمط الوراقين، وبعد عن تصنع المحدرين، وقام لكاتبه مقام النسبة والحلية، كان حينئذ كما قلت في وصف خط:

إذا ما تحلل قرطاسه  
تضمن من خطه حلة  
حروف تعيد لعين الكليل  
نشاطاً ويقراها الأخفش  
وساومه القلم الأرقش  
كنقش الدنانير بل أنقش

وقال آخر:

أتاني كتابك يا سيدي  
وكان بما ساق من فرحة  
أبر وأمتع من ربيعة  
فأنس نفساً به مبهجة  
وسكن من لوعة مزعجة  
على كل مائدة مدرجه

قد ذكرت في هذا الكتاب ما استحسنت من خط الجواربي: وقد كره أهل النبل من الناس وذوو الرأي منهم أن يعلم النساء الخط، وجاء فيه النهي عن ابن عباس، أنه قال: "لا تسكنوا النساء العلالى ولا تعلموهن الكتابة".

وقال حمزة بن أبي سلامة الكوفي:

جاء خط كأنه شعرات  
وسط خط ولم يصله عذار

ء أباحتك لمحہ الأستار  
هره في نظامه الطومار

أو كنفش الحناء في كف عذرا  
يا كتاباً يكاد يضحك من جو

وقال علي بن الجهم:

فكأنها خد على خد  
ذر فتيت المسك في الورد  
من ملح الهزل إلى الجد

يا رقعة جاءتك مثنية  
نبذ سواد في عذار كما  
ساهمة الأسطر مصروفة

إليه حسبي منه ما عندي

يا كاتباً أسلمني عبثه

وقال أبو نواس:

بمر سوانح الطير الجواري  
وفي ظهر ومختوماً بقار  
تركب صداغه سين العذار  
وكان الختم من رق العقار  
ألست من الفلاسفة الكبار

زجرت كتابكم لما أتاني  
نظرت إليه مجزوماً بزبر  
فعفت الظهر أحور قرطقياً  
وكان الشدو ذا زبر مصيب  
فكيف ترونني وترون زجري

### ما قيل في قبح الخط

قال الصولي أنشدني أحمد بن محمد بن إسحاق، قال: أنشدني علي بن محمد العلوي لنفسه:

خط البليغ ولا خط المرجينا

أشكو إلى الله خطأ لا يبلغني

سدت سماجته عني التحاسينا

إذا هممت بأمر لي أزخرفه

وقالوا: "رداءة الخط زمانة الأديب". ونظر عبد الله بن طاهر إلى خط بعض كتابه فلم يرضه، فقال: "نحوا هذا عن مرتبة الديوان فإنه عليل الخط، ولا يؤمن أن يعدي غيره". وقالوا: "رداءة الخط إحدى الزمانتين، كما أن حسنه إحدى البلاغتين".

حدثني طلحة بن عبد الله، قال: اعتذر رجل إلى محمد بن عبد الله بن طاهر من شيء بلغه عنه، فرأى خطه قبيحاً فوقع في رقعته: "أردنا قبول عذرك، فاقطعنا عنه ما قابلنا من قبح خطك. ولو كنت صادقاً في اعتذارك لساعدتك حركة يدك. أو ما علمت أن حسن الخط يناضل عن صاحبه بوضوح الحججة. ويمكن

له درك البغية".

وكان أبو هفان عبد الله بن أحمد المهزومي من أقبح الناس خطأً، وكان يبتدئ الخط من رأس الورقة ويعوج سطره حتى يبقى آخر سطر في الورقة كلمة واحدة فرثاه يحيى بن علي فقال في مرثيه:

**مع خط كأنه أرجل البط**      **أو الحط في ذوي الفتیان**

أنشدني العتري الحسن بن علي في قبح الخط، وكان والله قبيح الخط والوجه، حسن العلم والعقل:

**جزعت من قبح خطي**      **وفيه وضعي وحطي**

**رجعت من بعد حدقي**      **إلى تعلم حطي**

الوصاة بإصلاح الخط وآلته: قال بعض الرؤساء من الكتاب: "ارخوا ذوائب خطوطكم"، يريد بذلك الحروف المخطوطة، كالياء والنون والعين والحاء المنفصلات وما أشبههن.

قال الصولي: حدثني أبو الحسين محمد بن أحمد النيسابوري، قال: سمعت الحسين بن يحيى بن نصر الجرجاني يقول: قال إبراهيم بن العباس الصولي لغلام كان يكتب بين يديه: "ليكن قلمك صلباً بين الدقة والغلط، ولا تبره عند عقدة، ولا تجعلن في أنبوه أنبوبة، ولا تكتبن بقلم ملتو، ولا ذي شق غير مستو، واختر من الأقلام ما يضرب إلى السمرة. وأحد سكينك، ولا تستعملها لغير قلمك. وتعهده بالإصلاح يصلح. وليكن مقطك صلباً ليمضي الخط مستوياً لا مستطيلاً، وابر قلمك بين التحريف والاستواء. وإذا كتبت الدقيق فأمل قلمك إلى إقامة الحروف لإشباع الخط، وإذا جللت فيلى التحريف. واعلم أن تبطين القلم شؤم، وتحريفه حرف، وهما دمار الخط. واعلم أن وزن الخط مثل وزن القراءة، فأجود الخط أئينه، كما أن أحمد القراءة أئينها".

وقال بعض الكتاب: "الحذق بالخط أن يقدر الكاتب بقلمه أجزاء حروفه وكلمه، وخاصة في طول الحرف لا في عرضه، ويفرق بين الحرف والحرف على قياس ما مضى من شرطه في قرب مساحته وبعد سياقته. ولا يقطع الكلمة بحرف يفرد في غير سطره. ويسوي إصلاح خطوطه كتابته ولا يغيره فيحليه بما ليس من زينته، ولا يمنعه حقاً فيخلف حليته، ويفسد قسمته.

ويستقبح أن يقع في الخط نوعان مختلفان، ويقوم في النفس من ذلك ما يقوم فيها من الشعر إذا اختلفت أعاريضه، وخلط فصيحته بمولده. وأحلى الخطوط المحقق اللطيف، المستدير الحروف، المفتوح الصادات والطآت، المختلس التآت والحآت. ولا يحسن أن يجمع في الحرف مشتقتان، ولا بين يائين معروفتين". قال الصولي: والمشتق مكروه، وخاصة في الكتاب إلى الرئيس، لأنهم يتأولون ذلك ضرباً من الاستخفاف بقدر المكاتب. كذلك قال إبراهيم بن العباس الصولي، وهو إمام من أئمة الكتاب يقتدى به فيها: وربما

طغى القلم فوصل منفصلاً، وفصل متصلاً.

وقد يمشق الكاتب في حالين متضادين في أشد ما يكون نشاطاً، لشوق يده إلى الخط، وبعد عهدها به، وتفلتها إليه، فتنازعه يده إلى ذلك، وتغلبه إلى الإسراع، فتجري على غلوائها، وتمضي على درتها، ولا تتمهل لرفع حرف ولا خفض آخر.

وتستروح أيضاً في حال التعب والكلال إلى المشتق، لما يلحق الأنامل من مشقة التعطف والتلوي على القلم، بتقريب بعض الحروف من بعض، وعطف شيء على شيء. فإذا كانت الكلمة على أربعة أحرف جعلت المشقة واسطة بين حرفين أولين وحرفين آخرين، مثل مقيد ومخلب، وعنهما وفيها. فإن كانت ثلاثة أحرف أو سطرها ميم، كانت المشقة بين الميم والحرف. ولا يجوز أن يمشق بين حرفين أحدهما ميم. وإذا اتصلت باء وتاء ونون في كلمة، فكان على عدد أشكال السين والشين رفعت الوسطى، مثل بينك وبيتك. ولو لم تفعل ذلك، وسويت بين الثلاث، لجاءت الكلمة كأنها شك أو سك، ويحتمل الإثنيين السين والشين. وأن يمشقا ولا يحققا في كل المواضع؛ إلا في: بسم الله الرحمن الرحيم، لمعان أولها التعظيم لاسم الله تبارك وتعالى، والثاني ليتبين تحقيقك لذلك وتحسينك له، ولأن بسم الله الرحمن الرحيم أول ما يتدعى الكاتب به وهو وافر النشاط، غير حسير اليد، ولا جافي القلم؛ فليس له عذر في ترك التحقيق حينئذ ولا له حاجة إلى التروح.

وكذلك يكره مشقهما منفصلتين، مثل الناس والباس، لا يكون معهما في هذه القسمة حرف يعضدهما. وقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: "شر الكتابة المشق، وشر القراءة الهدرمة". وأكثر سروات الكتاب يكرهون شق الكاف، وقد شقها بعضهم إذا كانت أول الحرف ومبتدأ السطر، ويستقبح شقها إذا كانت في آخر الكلمة منفصل أو متصلة، وذلك في مثل مالك وتارك. ويستقبح أن ينقطع دعاء فيقع أوله في آخر السطر وبعضه في أول السطر الآخر، وكذلك الكنية والمضاف وغير ذلك، وما عمل بعضه في بعض، وما جعل اسماً واحداً وهو اثنان في الأصل، وذلك مثل أعزه الله في الدعاء، وعبد الله في الأسماء، وغلام زيد في الإضافة، وتأبط شراً في العامل بعضه في بعض، وخمسة عشر فيما جعل الإسمان اسماً واحداً، ومعدى كرب وحضرموت وأيادي سبأ ويد الدهر ويد المسند وهو الدهر أيضاً، وشذر مذر وقالي قلا، ومثل هذا كثير، وما ذكرناه منه يدل على سائرته.

### ما قيل في النقط والشكل والخط الدقيق

كره الكتاب الشكل والإعجام، إلا في المواضع الملتبسة من كتب العظماء إلى دولهم، فإذا كانت الكتب من دولهم إليهم ترك ذلك في الملبس وغيرهم، إجلالاً لهم عن أن يتوهم عنهم الشك وسوء الفهم، وتزيتهاً لعلومهم وعلو معرفتهم عن تقييد الحروف، ولولا أن الذي جددناه من ذلك في كتاب الرئيس إلى تابعه يجري مجرى الزيادة في الإيضاح له، ونفي الارتباب عنه، وإيجاب الحجة عليه فيما يؤمر به وينهى عنه، لكان الأحسن أن لا يستعمل في الحالتين معاً.

وقد رأى قوم أن تكون كتبهم إلى سلطانهم بأكبر الخطوط وأجلها، واختاروا الشكل والإعجام فيها. وحكوا عن بعض الخلفاء، أنه تأذى من إخلاء الكتب من ذلك في المؤامرات وغيرها. وقال الذين اختاروا ذلك لا تعرضهم للشكوك، ولا نكلفهم إعمال الفكر في المشكل، وأنه يجب أن نوضح لهم الشكوك ونضبط الحروف، بما يسبق معه المعاني إلى قلوبهم في أول وهلة.

ونسبوا الأصل في هذا إلى المأمون، وهذا ما لا يجمع المميزون عليه، ولا يلتفتون إلى ما يتأول فيه، لأن الأمر لو كان على ما يختاره من يشكل وينقط، لما وقع من الكتاب تصحيف، في كثير مما قرأوه في مجالس الخلفاء، حتى أحصيت عليهم غلطات سقطوا بها في عصرهم، وبقي عارها عليهم، كالذي صحف من "حامرطي" جاضرطي، والذي صحف بين يدي المأمون "البريدي" فقال الثريدي، فأمر المأمون أن يطعم، وقال: أبو العباس جائع - يعني وزيره ابن أبي خالد - فغذوه. ثم قرأ فلان الحمصي فقال: الخبيصي، فقال المأمون: ما في طعام أبي العباس خبيص فأطعموه.

وقرأ كاتب عبيد الله بن زياد كتاب عبيد الله بن أبي بكر أنه وجد بعض الخوارج في شرب فقال عبيد الله: وكيف لي بأن أكون ممن يشرب هو ونظراؤه إنما هو في سرب أي سرداب. وكتب رجل من أغبياء الكتاب إلى صاعد بن مخلد كتاباً فصير العين غيناً ونقطها من فوق ونقط الخاء من مخلد من أسفل فصيرها جيماً. فقرأ كتابه صاعد بن مخلد فلم يفتن لذلك، ووقع فيه فخرج إلى الديوان فرآه الناس فقال فيه بعض الشعراء:

بعيد الإفاقة من غفلته

رأيت الوزير كثير الشكوك

ولا اسم ابنه الفذ من كنيته

فما عرف الجد من والد

ورسم البلاغة في دولته

رأيت الكتابة قد عطلت

وأغفل كاتب سليمان بن عبد الملك الإعجام في كتاب كتبه إلى عامله بالمدينة يأمره بإحصاء المختنين فقال له: احص من قبلك من المختنين. فقرأه احض، فخصى منهم جماعة حتى خصى الدلال، فقال: الآن

والله أشبهنا النساء، هذا والله الختان الأكبر.

وأخرج كتاب عبيد الله بن سليمان على عامل مالا، فتظلم منهم، فوقع عبيد الله "هذا هذا" فقدر الرافع  
لبعد ذهنه أنه وقع هذا هذا أي حجة ثابتة كما تقول: أنت أنت، وأنا أنا، فأخرج التوقيع إليهم فقال: قد  
قبل حجتي، فلم يعرفوا ذلك، وجاءوا بالتوقيع إلى صاحب الديوان، فرده إلى عبيد الله بن سليمان  
واستأمره فيه، فما زاد عبيد الله على أنه شدد الذال، ووقع تحته: الله المستعان، كأنه نسب صاحب التوقيع  
إلى الهذيان. ومثل هذا كثير جداً وإنما جئنا بطرف منه.

حدثني يعقوب بن بيان قال: حدثني علي بن الحسين قال: لما أخرج بغا إلى منبج وقلدها، كان معه كاتب  
فقرأ عليه يوماً كتاب عامل بسمساط وأن فلاناً سقط عن برذونه، يريد عن برذونه، فقال له بغا: وما  
برذونه ويحك؟ فقال: جبل بين سمساط والروم وهو الحد بينهما، فلم يدر من أي شيء يتعجب! من  
تصنيفه أم من احتجاجه بما احتج به. وكتب بعض الكتاب إلى رجل كتاباً فدقق خطه فيه فكتب الرجل  
إليه: ما كاتبني وإنما عودتني! شبه كتابه بالتعويذ. وكتبت إلى بعض إخواني كتاباً بقلم دقيق، فأنكر ذلك  
فكتبت إليه:

قال: هلا كتبت خطأ جليلاً

أنكر الخط إذ رآه ضئيلاً

بخل الخط إذا رأني بخيلاً

قلت لا تسبقن باللوم عذري

حافظ من مقلتيك صار عليلاً

وكذا الجسم إذ رأى علة الأمل

وقال آخر في نحوه:

إليه لم تجنبت الجليلاً

يقول وقد كتبت دقيق خط

دقيقاً مثل صاحبه ضئيلاً

فقلت له: عشقت فصار خطي

ومن مליح ما قيل في النقط والإعجام قول عبد الله بن المعتز:

ونون الصدغ معجزة بخال

غلالة خده ورد جنبي

وقال أبو نواس يصف صغر أثافي قدر الرقاشي:

وقدر الرقاشيين بيضاء كالبدر

رأيت قدور الناس سوداً من الصلى

ثلاث كنقط الثاء من قلم الحبر

يبينها للمعتفي بفنائها

وما رأيت النقط والإعجام وقعاً أصح من مكان أوقعهما عصابة الجرجاني يهجو الحسن بن رجاء فإنه  
قال:

خوان الأمير معمى المكان  
يرى بالتوهم لا بالمجس  
دعا بالخوان على لؤمه  
فأما غضائره الواردات  
ونقط منها عراق عراق  
كم تعجم الصحف بالزعران

وتقول: قرمطت الخط أقرمطه قرمطة إذا قاربت بين حروفه. وحكى التنوخي: قرمط خطوه إذا قارب بينه.

ومن مליح ما قيل في النقط والشكل قول أبي نواس:

يا كاتباً كتب الغداة يسبني  
لم ترض بالإعجام حين كتبتنه  
أخشيت سوء الفهم حين فعلته  
لو كنت قطعت الحروف فهمتها  
وأردت إفهامي فقد أفهمتي  
من ذا يطيق براعة الكتاب  
حتى شكلت عليه بالإعراب  
أم لم تثق بي في قرأة كتاب  
من غير وصلكهن بالأنساب  
وصدقت فيما قلت غير محاب

وقال التنوخي: يقال: "كتاب نزل الخط" إذا كانت الكتابة كثيرة فيه. ويقال: "رجل ذو نزل" حبر كثير. "وطعام له نزل" أي ريع كثير. والعامية تقول: نزل وذلك خطأ قال لييد:

ولن تعدموا في الحرب ليثاً مجرباً  
وذا نزل عند العطية نازلاً

ذا نزل ذا عطاء.

ونحو قول أبي نواس، قول العباس بن الأحنف:

فإذا الذي كتب الكتاب يسبني  
فإذا أردت هديت من إعجابه  
قصداً فبالغ في الكتاب وأعجما  
إني أراك حسبت أن لا أفهما

وتقول: شكلت الكتاب أشكله شكلاً. وشكلت الطائر شكولاً وشكلت الدابة شكالاً. وشكلت المرأة شكالاً. وأشكل الأمر إشكالاً التيس. والقوم أشكال أي أشباه.

### الحروف التي شبهت الشعراء بها

أنشدنا القاسم بن إسماعيل، قال: أنشدنا محمد بن إسماعيل لأبي النجم العجلي الراجز، وكان له صديق، يقال له زياد يسقيه الشراب، فينصرف أبو النجم من عنده ثملاً:

أقبلت من عند زياد كالخرف  
كأنما قد كتبنا لام ألف  
تخطر رجلاي بخط مختلف

وقد عيب أبو النجم بهذا، فقليل: لولا أنه يكتب ما عرف صورة لام ألف كما عيب ذو الرمة في وصف ناقتة:

كأنما عينها فيها وقد ضمرت  
وضمها السير في بعض الأضاميم

يريد كأن عينها دارة ميم لتدويرها، والأضامة الغدير، يقال أضامة وأضامة وأضامة وقطا وأضامة وآضاء مثل أكمة وآكام. فقليل: لولا أنه يكتب ما عرف الميم.

وحدثنا الغلابي قال: حدثنا عبد الله بن الضحاك، عن الهيثم بن عدي، قال: قرأ حماد الراوية على ذي الرمة شعره قال: نراه قد ترك في الخط لأمأ، فقال له ذو الرمة: اكتب لأمأ فقال له حماد: وإنك لتكتب! قال: اكتب علي فإنه كان يأتي باديتهنا خطاط، فعلمنا الحروف تخطيطاً في الرمال، في الليالي المقمرة، فاستحسستها، فثبتت في قلبي، ولم تخطها يدي. ومن مليح ما قيل في التشبيه بلام ألف قول بكر بن النطاح:

يا من إذا درس الإنجيل ظل له  
إني رأيتك في نومي تعانقني  
قلب التقي عن القرآن منصرفاً  
كما يعانق لام الكاتب الألفا

فقليل: قلب لخال القافية، لأن المعنى كما تعانق ألف الكاتب اللام لأن الألف تعطف على اللام. والذي عندي أنه صواب لأن كل شيء عانق شيئاً، فإن ذلك الشيء أيضاً قد عانقه. وقال آخر في التشبيه بالهاء:

تنزو إذا مسها قرع المزاج كما  
وتكتسي لؤلؤات في قلبها  
تنزو الجنادب أوقات الظهيرات  
من الحباب شبيهات بهاءات

وفي مثله يقول أبو نواس:

ثم شجت، فأدارت  
كأقتران الدر بالدر  
فوقها طوقاً فدارا  
ر صغاراً وكبارا  
خلته في جنبات ال  
كاس واوات صغارا



وقال عبد السلام بن رغبان الحمصي:

حتى ترى نائماً منهم ومنصرفاً  
والظبي ملتفتاً والغصن منعطفاً  
واختط كاتبها من فوقها ألفاً

فاصرف بصرفك وجه الماء يومك ذا  
فقام مختافاً كالبدر مطلعاً  
كأن قافاً أدبرت فوق وجنته

وقال عبد الله بن المعتز:

ألفات بين السطور قيام  
كتبت وكانت قبل عند مهندس  
أخذت قوام الشكل من إقليدس

وكأن السقاة بين الندامي  
وقال أبو مقاتل الديلمي واسمه صالح:  
شهدت لها لام الطراز بأنها  
فإذا أدارت قاف صدغ خلتها

وقال أحمد بن إسماعيل:

فصارت لام ذلك الصدغ عينا

وسال عذاره من تحت صدغ  
وقال بعض الأعراب يصف طوق القمرية:

إذا راقت عيون الناظرينا  
فصاغ به لطوق النحر نونا

كأن بنحرها والجيد منها  
مداداً لاقه قلم لطيف  
وقال أبو نواس يصف ريش الصقر:

وشياً ترى بسيطه مكفوفاً

واجتاب من طرازه تقويماً  
مثل استراق الكاتب الحروفاً  
وقال أيضاً يصف منسراً:

كعطفة الجيم بكف أعسرا  
لوزادها عيناً إلى فاء ورا

في هامة علياء تهدي منسرا  
يقول من فيها بعقل فكرا  
فاتصلت بالجيم فصارت جعفرأ

وقال غيره:

ومن خضرة الريحان خضرة شارب  
فجاء كنصف الصاد من خط كاتب

له من عيون الوحش عين مريضة  
كأن غلاماً ماهراً خط خطه

وقال غيره:

صدغ على خدك أبكاني  
ورد لي همي وأحزاني  
كأنما قومه صائغ  
وخطه كاتب ديوان

وقال آخر:

وقد بدا صدغه من فوق وجنته  
كمشقة عطفت من نقطة الراء  
وقال محمد بن عبد الملك الزيات:

ماذا تواري ثيابي من أخي دنف  
كأنما الجسم منه بقعة الألف  
وقال الشرواني الكوفي:

أما ومطال ذي خلف  
به أمسيت ذا شغف  
وحرمة من خضعت له  
بلا ميل ولا لطف  
خضوع فتى لمالكة  
بذل الرق معترف  
لقد أصبحت ذا كلف  
بخال غير ذي كلف

كأن معاقد الزنا  
ر قد عقدت على ألف  
ولي من آخر قصيدة إلى بعض الرؤساء أسأله حاجة:

سبقتما في حلاب المجد بينكما  
فرط التجارب ميمون لميمون  
فأتبع النون عيناً في المقال ولا  
تؤخر الميم عن عين وعن نون

وقال عبد الصمد بن المعدل لعلي بن عيسى بن جعفر وقد شرب دواء:

وقد أهديت ريحاناً ظريفاً  
به حاجيت مستمعي مقالي  
وريحان النبات يعيش يوماً  
وليس يموت ريحان المقال  
ولم تك مؤثراً ريحان شم  
على ريحان أسماع الرجال

وقال هشام بن عبد الملك لأعرابي: أنظر كم على هذا الميل من عدد الأميال؟ وكان الأعرابي لا يحسن أن يقرأ، فمضى ونظر ثم عاد فقال: رأيت كراس المحجن، متصلاً بحلقة صغيرة، تتبعه ثلاثة كأطباء الكلبة، تفضي إلى هنة كأنها رأس قطة بلا منقار. ففهم بصفته أنها خمسة.

وقال أبو نواس يشبه نحوه بقلة حروف لا:

يا عاقد القلب مني  
هلاً تذكرت حلا

من العليل أقلاً

أقل في اللفظ من لا

مؤلف للحاظ مألوف

ليس لها في الكتاب تحريف

وقال أبو الهندي، وهو أشعث اليربوعي، يخاطب خمارة كانت تبيعه الخمر، فإذا أعطته كوزاً خطت عليه خطأً، فرآها تزيد عليه فقال:

فخطي ما بدا لك أن تخطي

على وغلطي بالله شرطي

كأن الأذن منه رجع خطي

إذا ما بعنتي كوزاً بخط

وزيدي ثم زيدي ثم زيدي

وصبي في أبيريق صغير

وقال يهجو ابن حمام:

رقاب من غير دواة

غير خط الألفات

يا ابن من يكتب في الأ

لم يكن يكتب فيها

### ما جاء في وصف القلم من الكلام المنثور

قد ذكرنا من فضل القلم، في أول الكتاب، ما يغني عن إعادته.

وقال أحمد بن يوسف: "القلم لسان البصر يناجيه بما استتر عن الأسماع، إذا نسخ حله، وأودعها حكمه".

وقال ابن المقفع: القلم بريد القلب" وقال أبو دلف: "القلم صائغ الكلام ويفرغ ما يجمعه العلم".  
وقال الجاحظ: "الدواة منهل، والقلم ماتح، والكتاب عطن".

وقال سهل بن هارون: "القلم أنف الضمير، إذا رعف أعلن أسرار، وأبان آثاره".  
وقال عمرو بن مسعدة: "الأقلام مطايا الفطن".

وقال المأمون: "لله در القلم، كيف يحوك وشي المملكة".

وقال جالينوس: "القلم طبيب المنطق" فوصفه من جهة صناعته.

وقال أحمد بن عبد الله: "القلم راقد في الأفئدة. مستيقظ في الأفواه".

وقيل: "عقول الرجال تحت أقلامها".

وقال آخر: "القلم أصم يسمع النجوى. وأخرس يفصح بالدعوى. وجاهل يعلم الفحوى".  
 وقال أحمد بن يوسف: "عبرات الأقلام في حدود كتبها أحسن من عبرات الغواني في صحون حدودها.  
 وقال العتايي: "الأقلام مطايا الأذهان".  
 وقال عبد الحميد: "القلم شجرة ثمرتها الألفاظ، والفكر بحر لؤلؤه الحكمة".  
 وقيل: "بري القلم تروى القلوب الظمئة".  
 وقال ابن المقفع: "القلم بريد القلب يخبر بالخبر، وينظر بلا نظر".  
 وقال ابن أبي دؤاد: "القلم سفير العقل، ورسوله الأنبل، ولسانه الأطول وترجمانه الأفضل".  
 وقال ابن أبي دؤاد: "القلم الدنيا والآخرة".  
 وقال آخر: "بنوء القلم تصوب الحكمة".  
 وقال ابن ميثم: "من جلالة شأن القلم أنه لم يكتب لله تعالى كتاب قط إلا به".

وحدثني الحسين بن عمر ويعقوب بن بيان، قالاً: حدثنا علي بن الحسين بن عبد الأعلى، قال: كتب عبد الله بن طاهر إلى إسحاق بن إبراهيم، من خراسان إلى بغداد أن يوجه إليه بأقلام قصبية، كتاباً نسخته.

بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإننا على طول الممارسة لهذه الكتابة التي غلبت على الاسم، ولزمت لزوم الوشي، فحلت محل الأنساب، وجرت مجرى الألقاب. وجدنا الأقلام القصبية أسرع في الكواغد وأمر في الجلود. كما أن البحرية منها أسلس في القراطيس، وألين في المعاطف، ولكل عن تمريقها والتعلق بما ينبو من شظاياها ونحن في بلاد قليلة القصب رديء ما يوجد منها، فأحببت أن تتقدم في اختيار أقلام قصبية، وتنوق في انتقائها قبلك، وطلبها من مظالمها، ومرامها من شطوط الأنهار، وأرجاء الكروم. وأن تتيمم باختيارك منها الشديدة المحبس، الصلبة المغص، النقية الجلود، الغليظة الشحوم، المكتثرة الجوانب، الضيقة الأجواف، الرزينة الوزن فإنها أبقى على الكتاب، وأبعد من الحفاء. وأن تقصد بانتقائك الدقاق القضبان، اللطاف المنظر، المقومات الأود، الملمس العقد، "فلا يكون فيه التواء عوج ولا أمت. وضم الصافية القشور، الخفيفة الأتن، الحسنة الاستدارة"، الطويلة الأنابيب، البعيدة ما بين الكعوب، الكريمة الجواهر، المعتدلة القوام، يكاد أسفلها يهتز من أعلاها، لاستواء رؤوسها بأصولها، المستحكمة ييساً، القائمة على سوقها، قد تشربت الماء في لحائها، وانتهت في النضج منتهاها، لم تعجل عن تمام مصلحتها، وإبان ينعها، ولم تؤخر إلى الأوقات المخوفة عاهاتها من خصر الشتاء، وعفن الأنداء. فإذا استجمعت عندك أمرت بقطعها ذراعاً ذراعاً قطعاً دقيقاً تتحرز معه من أن تتشعث رؤوسها وتنشق أطرافها. ثم عبأت منها حزماً فيما يصونها من الأوعية، وعليتها الخيوط الوثيقة، ووجهتها مع من يحتاط في حراستها

وحفظها وإيصالها، إذ كان مثلها يتوانى فيه لقلة خطرهما. واكتب معه بعدتها وأصنافها، وأجناسها وصفاتها، على الاستقصاء؛ من غير تأخير ولا توان ولا إبطاء، إن شاء الله. فأجابه إسحاق - ووجه إليه بالأنابيب - وليس بالجواب مما سمعته، إنما وجدته في كتاب: أتاني كتاب الأمير بما أمر به، ولخصه من البعثة إليه، بما شاكل نعته، وضاهى صفته، من أجناس الأقلام. فتيمنت بغيته قاصداً لها، واستنهجت معالم سؤاله آخذاً بما، فأنفذت منها حزمًا نشأت بليف السقيا، وحسن التعهد والبقيا. لم تعجل بأحداجها، ولا بودرت قبل إنضاحها. فهي مستوية الأنابيب معتدلتها، متفقة الكعوب مقومتها. لا يرى فيها أمت زور، ولا وسم صعر. وقد رجوت أن يجدها الأمير عند إرادته، وحسب بغيته. إن شاء الله.

حدثنا أحمد بن إسماعيل قال: أهدى مهد أقلاماً وكتب: أنه لما كانت الكتابة قوام الخلافة، وزينة الرياسة، وعمود المملكة، وأعظم الأمور الجليلة غاية؛ أحببت أن أتخفك من آلتها بما يخفف عليك محمله، وتقل مع ذلك قيمته، ويكثر نفعه، ويصغر خطره. فبعثت إليك أقلاماً من القصب النابت في الأعداء، المغذوة بماء السماء. كاللآلي المكنونة في الصدف، والأحجار المحجوبة بالسدف. تنبو عن تأثير الأسنان، ولا يشيها غمز البنان. قد كستها طبائعها جوهرًا كالوشي الخطير، وفرند الديداج المنير. فهي كما قال الكميت:

**وتسمع للبيض فيها صريرا**

**وبيض رقاق صفاح المتون**

**يكاد سناهن يغشي البصيرا**

**مهذبة من عتاد الملوك**

وكقداح النبل في ثقل أوزانها، وقضب الخيزران في اعتدالها، ووشيج الخطي في أطرادها، كأنما خرطت في شهر لاستدارتها. تمر في القرطاس كالبرق اللامح، وتجري في الصحف كالماء السائح. أحسن من العقبان، في رقاب القيان.

وقيل: المختار من بري القلم أن تطيل السنين وتسمنهما، وتحرف القطعة وتيمنها، وتفرق بين السطور، وتجمع بين الحروف منها. ولا تقط مبلولاً حتى يجف لئلا يتشظى. حدثنا الحسين بن يحيى، قال: انكسر قلم لبعض الكتاب فرثاه بأبيات فقال:

**عري من دقة ومن عظم**

**ما عيب طولاً ولم يعب قصراً**

**لفظ كفاني مخارج الكلم**

**كان إذا ما تضايقت سبل ال**

**وليس في قوله بمتهم**

**لا حصر القول عند خطبته**

وجاء يوماً عبد الله بن المعتز في المسجد الجامع إلى أبي العباس أحمد بن يحيى ليسلم عليه، فقام له وأجلسه مكانه، فداس ابن المعتز قلماً فكسره فلما جلس قال لمن حوله:

لكفي وتر عند رجلي لأنها

فعجب الناس من سرعة بديهته!

أثارت قتيلاً ما لأعظمه جبر

أهدى رجل إلى إبراهيم بن المدبر قلماً وكتب إليه: قد وجهت إليك - أعزك الله - بمفتاح العلوم باد  
جمالها، تام كمالها، فهي كما قال الشاعر:

كملت لو أن ذا كمالا

ليس فيها ما يقال له

كائن من حسن مثلاً

كل جزء من محاسنها

حدثنا أبو العباس الربيعي، قال: حدثنا الطلحي، قال: حدثنا أبو العباس الربيعي، قال: حدثنا الطلحي،  
قال: حدثني أحمد بن إبراهيم قال دخل إلى الرشيد أعرابي فأنشده ارجوزة - واسماعيل بن صبيح يكتب  
بين يديه كتاباً، وكان أحسن الناس خطأً، وأسرعهم يداً - فقال الرشيد للأعرابي: "صف هذا"، فقال:  
"ما رأيت أطيش من قلمه. ولا أثبت من حلمه". ثم قال:

يديك الهويينا والأمور تطير

رقيق حواشي اللحم حين تتوره

سحابته في الحاليتين ذرور

له قلما بؤسى ونعمى كلاهما

ويفتح باب النجح وهو عسير

يناجيك عما في ضميرك لحظه

فقال الرشيد "قد وجب لك يا أعرابي عليه حق هو يقضيك إياه، وحق علينا فيه نحن به. ادفعوا إليه دية  
الحر"، فقال له: "على عبدك دية العبد".

ومن مليح ما في القلم ما أنشدناه محمد بن زياد الزياتي، لعمر بن إبراهيم بن حبيب العدوي يرثي قلماً له  
سرق:

جودي بدمع مشبع بدم

يا عين جودي بواكف سجم

أسيت حرى لفجعة القلم

لا تطعمني عقدة وكيف وقد

تنطق من غير منطق وفم

جودي على الناطق البليغ إذا اس

وليس في حكمه بمتهم

لا حصر القول عند خطبته

ضمت بها عربها إلى العجم

حلت عرى الحزم منه جانحة

جلدته برودة كلون دم

أصفر في حمرة كأن على

مج عليه حنادس الظلم

إذ أنها والقرطاس لاح له

ما عيب طولاً ولم يعب قصراً  
 إن قدح العائبون فيه بأن  
 كان إذا ما تضايقت سبل ال  
 حسبك منه لسان مطلع آل  
 ينبيك إن لجلج الغبي بما  
 فاذهب حميداً كما قد فقدت وما  
 عري من دقة ومن عظم  
 صم فأكرم به أبا صم  
 لفظ كفاني مخارج الكلم  
 ناظر في ظاهر ومكتتم  
 أضمر من خبر عالم فهم  
 فقدت منا مناعت الكرم

حدثني يعقوب بن بيان الكاتب قال: قال بعض الكتاب: "القلم الرديء كالولد العاق".  
 وقالوا: "القلم أحد اللسانين، والعلم أحد الأبوين، والتثبت أحد العفوين، والمطل أحد المنعين وقلة العيال  
 أحد اليسارين، والقناعة أحد الرزقين، والوعيد أحد الضريين، والإصلاح أحد الكسبين، والرواية أحد  
 الهاجيين، والهجر أحد الفراقين، واليأس أحد النجحين، والمزاح أحد السباين".  
 وقال: "القلم لسان اليد".

وفاخر صاحب سيف صاحب قلم، فقال صاحب القلم: "أنا أقتل بلا غرر، وأنت تقتل على خطر". فقال  
 صاحب السيف: "القلم خادم السيف، فإن بلغ مراده وإلا فيل السيف معاده. أما سمعت قول أبي تمام:

السيف أصدق أنباء من الكتب  
 في حده الحد بين الجد واللعب

وقال آخر: "مساق أمر الدنيا بسين وقاف فيقال سق" يريد السيف والقلم.  
 حدثني وكيع قال: حدثني جعفر بن كوال قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: "لسان الإنسان قلم ملكه  
 الموكل به ومداده، وقرطاسه جلده، يملئ عليه كتاباً إلى ربه. فلينظر الإنسان قبل فوت النظر ماذا يملئ".

### ذكر ما قيل في القلم من الشعر

قال أبو تمام:

لك القلم الأعلى الذي بشباته  
 لعاب الأفاعي القاتلات لعابه  
 له ريقه طل ولكن وقعها  
 فصيح إذا استتطقته وهو راكب  
 تصاب من الأمر الكلى والمفاصل  
 وأري الجنى اشتارته أيد عواسل  
 بآثاره في الشرق والغرب وابل  
 وأعجم إن خاطبته وهو راجل  
 عليه شعاب الفكر وهي حوافل  
 إذا ما امتطى الخمس اللطاف وأفرغت

إذا استغزر الذهن الذكي وأقبلت

أعاليه في القرطاس وهي سوافل

وقد رفدته الخنصران وسددت

ثلاث نواحيه الأنامل

رأيت جليلاً شأنه وهو مرهف

ضنى وسميناً خطبه وهو ناحل

وقال أحمد بن إسماعيل: أحسن قدود القلم، أن لا يجاوز به الشبر بأكثر من خلقته، وأن تبعد منه الأنامل الثلاث، ويؤخذ من أوسطه لأنها إذا أدنيت منها لم تؤمن أن يماس القرطاس بما فتسوده. وقد مدح الشاعر بعض الكتاب بنحو من وصفه هذا فقال:

شريف الصناعة محمودها

تساعده الكف والمقول

يقيم من الخط أشكاله

ويأخذ أقلامه من عل

وقال غيره يصفه بمقدار الشبر:

له ترجمان يطرب اللفظ أخرس

على حذو شبر أو يزيد على الشبر

له منخر في غير وجه ويهتدى

بمر جناحين استعيرا من الفكر

إذا خر يوماً ساجداً عند وحيه

تضعض أصحاب المتفقة السمر

يدمر أقواماً وينعش معشراً

ويصدر آراء الملوك وما يدري

قال أبو بكر: ولي من قصيدة في بعض الرؤوساء أذكر هذا المعنى:

يتفادى أعداؤه من خطيب

بيديه يروض عقلاً وفكراً

ناحل الجسم ليس يعرف من كا

ن نعيماً وليس يعرف ضرا

ناطق في الورى بلفظ سواه

مذهب اللون قد تطرف جرا

قلم يجلب السواد ويجري

مع جري المداد نفعاً وضرا

ضامر الكشح مخطف الجيد م

ذ حذف شابوره وقدر شبرا

ويد ما تزال تنتشر وشياً

في قراطيسه وتنتثر درا

وقال الفضفاضي:

في كفه أخرس ذو منطق

بقافه واللام والميم

شبر إذا قيس ولكنه

في فعله مثل الأقاليم

محرف الرأس ومسوده

كإبرة الروس من الريم



قال أبو بكر محمد بن يحيى الصولي: قلت قول عدي بن الرقاع العاملي، في صفة طرف قرن الرشا، وهو ولد الظبي، وتشبيهه بالقلم قال عدي:

ترجي أغن كأن إبرة روقه      قلم أصاب من الدواة مدادها

ويروى أن جريراً قال - وكان حاضراً - لعدي وهو ينشد هذه القصيدة، لما أنشد صدر البيت: "ترجي أغن كأن إبرة روقه". رحمته وقلت هلك فلما قال: "قلم أصاب من الدواة مدادها" حالت الرحمة حسداً. وأخذ البيت الثاني من هذه الثلاثة أبيات ابن الرومي فقال يهجو ويصف هن امرأة:

يملاً السبعة الأقاليم طراً      وهو في إصبعين من إقليم

ولحمدان الدمشقي من أبيات:

أهدت له الحية الرقشاء جلدتها      لما استعارت لساناً منه مقدودا

وله في نحو هذا البيت:

الأيام نفتته وشق لسانه      وله إذا لم تجره اطراقه

فكأنه النضناض إلا أنه      من حيث يجري سمه ترياقه

وقال غيره من أبيات:

ولأقلامهم زئير مهيب      يزدرى عنده زئير الأسود

أرغبتهم عن القنا قصبات      مغنيات عن كل جيش مقود

والقراطيس خافقات بأيد      يهم كمرهوب خافقات البنود

وكتبت إلى أبي علي محمد بن علي في أيام ابن الفرات الأولى بقصيدة منها:

مشف على الرأي نظار عواقبه      إذا تشابه وجه الرأي واجتجبا

في كفه صارم لانت مضاربه      يسوسنا رغبا إن شاء أو رهبا

السيف والرمح حدام له أبداً      لا يبلغان له جداً ولا لعباً

يرمي فيرضيهما عن كل مجترم      ويعصيان على ذي النصح إن غضبا

تجري دماء الأعادي بين أسطره      ولا يحس له صوت إذا ضربا

فما رأينا مداداً قبل ذلك دماً      ولا رأينا حساماً قبل ذا قصباً

وقد شككنا فما ندري لشربته      أنظم الدر في القرطاس أن كتبنا

وقال آخر في سفر طويل:

أغرى به الحيرة فقدان  
أحوى لطيف الكشح خمسان  
من باكر الوسمي هتان

بلاغة تسدى وبرهان  
يكسو عراة وهو عريان  
له إذا ما أجببت ميعان  
مختلفات القصد أقران  
من خالص الفضة قضبان  
من ريقة الكرسف ريان  
القول في التدقيق أذهان  
ما افتر للمنطق ثعبان  
شخصاً له حد وجثمان  
بيض المعاني وهي سودان  
ذياً من الحكمة سحبان  
ولا سما بالملك ديوان

أبان لك العدو من الولي  
على القرطاس أبهر من حلي  
بإحسان وويل للمسي  
وأنفذ من شباة السمهري  
سلاح الفارس البطل الكمي

له ذملان في بطون المهارق

وعاشق تحت رواق الدجى  
أعرب عن مكنون إضماره  
يتيح غدراً لثرى جادها

يحوك وشياً نقش ديباجه  
وفيه للناظر أعجوبة  
كأنما الدنيا بأقطارها  
تجري به خمس مطايا له  
كأنها من ضم تركيبها  
له لسان مرهف خده  
في دقة المعنى إذا أغرقت  
كأنما يفتر عنه إذا  
ترى بسيط الفكر في نظمه  
كالحلي إلا أنه أحرف  
كأنما يسحب في إثرها  
لولاه ما قام منار الهدى

وقال أبو يزيد عتاب بن ورقاء:

لك القلم الذي لم يجري إلا  
إذا استرعفته ألقى سواداً  
فيا طوبى لمن أدلى إليه  
شباة سنانه في الحرب أمضى  
فقال: سلاح مثلك وهو يعزى

وأنشدي عون:

وأسمر طاوي الكشح أخرس ناطق

بلا صوت إرعاد ولا صوت بارق  
ونور الأفاحي في بطون الحدائق  
إذا ما استهلكت مزنة للصواعق  
مجللة تمضي أمام السوابق

إذا استمطرته الكف جاد سحابه  
كان اللآلي والزبرجد نظمه  
كان عليه من دجى الليل حلة  
إذا ما امتطى غر القوافي رأيتها

وأنشدني عون للفضفاضي:

لغاية منطلق فكبا لعي  
ويخرج وهو ذو بال رخي  
ولا الصمصام سيف المذحجي

لك القلم الذي لم يجر يوماً  
ومبتسم من القرطاس يأسو  
فما المقدار أمضى من شباه

قال أبو بكر: ولي من قصيدة، مدحت بها ابن الفرات، في وزارته الأولى:

وما فيه إن تبينت لب  
ناقص القدر زائد الحد غضب  
حين تعدى بدرة الموت حرب  
نافذ ضربه وما منه ضرب  
من دماء العصاة ولع وخضب

في يديه محكم في ذوي اللب  
شهد السيف أنه السيف حقاً  
وسيوف العداة انفذ جداً  
من رأى مثل ما وصفت حساماً  
كل يوم له ولم يلق كيداً

قال أبو بكر: ولي من قصيدة طويلة مدحت بها بعض الرؤساء:

تواصل الضرب مع الطعن  
جاء إليه مرعد المتن  
ويسمع السر بلا أذن  
يطعن من يهواه في الطعن  
لم يك من غم ولا حزن  
إذا امتطى القرطاس كاللكن  
لم يغتمضه ظلم الجفن  
قلب كئيب القلب حرانه

في يدك الأعلى محلى به  
إن نبه السيف لأمر له  
ينظر ما يهوى بلا ناظر  
يزري دموع العاشق المبتلى  
فيضحك الملك بكاء له  
ترى لديه فصحاء الورى  
سيف على الأعداء لكنه  
وأنشدني أحمد بن محمد بن إسحاق:  
ما ضر من أضنى بهجرانه

لو فرج الكربة عن مدنف  
برقعة ينظمها كفه  
بمرهف الأحشاء ذي حلة  
لعابه عيش وموت إذا  
إذا امتطاه بشيئاته  
يركض في ميدان قرطاسه  
تشقه لوعة أحزانه  
نظم لآليه ومرجانه  
موشية ترفع من شأنه  
جاد به تفليج أسنانه  
كشف أسراراً بإعلانه  
ركض جواد وسط ميدانه

حدثنا أحمد بن أبي الموج البازي قال: أنشدني الحسين بن عبد الله العبدي الهمداني لنفسه:

حين نادى حاديهم بانطلاق  
ورأى العاشقون أن لا معين  
وجرى بالفراق طير الفراق  
هو أجدى من عبرة واحتراق

ظلت أشكو صبابتي وإنني  
ناحل جسمه كأن يد البي  
أخرس في لسانه للعطايا  
فإذا مجه أتى بلعاب ال  
وشبيئاته ثلاث حوته  
يمتطيها ثم يرتجل القول  
فتراه بمصر يحكم ما شا  
متحل بحيلة العشاق  
ن سقته منه بكأس دهاق  
والمنايا عتاد ريق مراق  
ليل حلو الخطاب مر المذاق  
هن منه مفاتيح الأرزاق  
لفصل الخطاب في الآفاق  
ء وبالصين وهو خلف العراق

وله في صفة القلم أبيات من قصيدة في بعض الرؤساء:

له القلم الأعلى الذي سار عدله  
يشابه حد السيف رقة حده  
ويبلغ ما لم يبلغا في عدوه  
تصرفه منه ثلاث أصابع  
إذا ما حوته وامتطى بطن مهرق  
إذا أظلم الدهر الخؤون بصرفه  
وتدبيره ما بين بر إلى بحر  
وينسب لونا في المتقفة السمر  
إذا رد من طي الدواة إلى النشر  
وكف براها الله للنفع والضر  
تسطر نوراً فوق أرض من الدر  
أبان له إحسانه وضح الفجر

قال أبو بكر: وكنت أنشدت العباس بن الحسن قصيدة استحسنتها الناس، ووصفوا بيتاً فيها عنده أخذه  
ذكرويه:

المستبيح سن القرامط راية

لما استباحوا حرمة الإسلام

أجرى المداد بكيدهم فكأنما

أجرى دمائهم على الأقلام

حدثني محمد بن أحمد الأنصاري، قال: دخل عيسى بن فرخان شاه على جارية وهي تكتب خطأ حسناً  
فقال:

سريعة جري الخط تنظم لؤلؤاً

وينثر درأ لفظها المترشف

وزادت لدنيا حظوة ثم أقبلت

وفي إصبعيها أسمر اللون مرهف

أصم سميع ساكن متحرك

ينال جسيمات المدى وهو أعجف

وقال بعض الوراقين يصف قلمه ويمدحه ويذكر استغناؤه:

يا مجيري من سطوة الأمراء

وعميدي في نوبة اللأواء

والذي صان حر ديباجة الوج

ه عن الأسخياء والبخلاء

والذي لا أزال أنعت في الشعر

وأطريه غاية الإطراء

وسفيري بما أريد من الأم

ر إلى إخوتي من الأدباء

والذي لا يزال يخبر في

المهرق عن سالف الأنباء

وإذا ما ابتعثته استن كالثا

قب يفري دجنة الظلماء

وقال عبد الله بن المعتز في القاسم بن عبيد الله:

قلم ما أراه أو فلك يج

ري بما شاء قاسم ويدور

راكع ساجد يقرب قرطا

سأ كما قلب البساط شكور

وفيه يقول:

عليم بأعقاب الأمور كأنه

لمختلفات الظن يسمع أو يرى

إذا أخذ القرطاس خلت يمينه

يفتح نوراً أو ينظم جوهرًا

وقال ابن الرومي فأحسن:

لعمرك ما السيف سيف الكمي

بأخوف من قلم الكاتب

له شاهد إن تأملته

ظهرت على سره الغائب

أراه المنية من جاني  
ه فمّن مثله رهبة الراهب  
ألم تر في صدره كالسنان  
وفي الردف كالمرهف القاضب  
وقال أبو أسامة الكاتب كاتب عياض:

وأعجف مشتق الشبابة مقلم  
موشي القرى طاوي الحشا أسود الفم  
تبين خفي السر آثاره لنا  
ويعرب عن غير الضمير المكتم  
يؤدي صحيح القول عنه مخاطباً  
به العين دون السمع لا بالتكلم  
إذا استغزرت الكف فاضت سجاله  
من الفكر فيض الريح المنعيم

وقال صالح بن عبد الملك بن صالح يخاطب كاتب أبيه:

أجريت فوق صدور كتبك دامغاً  
بيكيه ضحك الفكر والأوهام  
ميتاً تشافهه القلوب بعلمها  
بيدي ضمائرهما بغير كلام  
مستعجماً فإذا اللواحق ترجمت  
عنه أتى بفصاحة الأعجام  
تجري سناكب بغير حوافر  
فيديرنا ورداً بغير لجام

قال: ودخل محمد بن ذؤيب العماني الراجز على الرشيد، فأنشده أرجوزة يصف فيها فرساً شبه أذنيه فيها بقلم محرف:

كأن أذنيه إذا تشوفا  
قادمة أو قلماً محرفاً

فقال له الرشيد: دع كأن، وقل: "تخال أذنيه إذا تشوفا" حتى يستوي الإعراب.

### ما قيل في القلم وبريه

حدثنا أحمد بن إسماعيل بن الخصيب قال: من كلام مسلم بن الوليد الأنصاري، في صفة بري القلم قوله: "حرف قطة قلمك قليلاً ليتعلق المداد به، وأرهف جانبيه ليرد ما استودعته إلى مقصده، وشق في رأسه شقاً غير عاد ليحبس الاستمداد عليه، ورفع من شعبيته ليجمعها حواشي تصويره. فإذا فعلت ذلك استمد القلم برشفه بمقدار ما احتملت ظبته فحينئذ يظهر به ما سداه العقل، وألحمه اللسان، وبلته اللهوات، ولفظته الشفاه، ووعته الأسماع، وقبلته القلوب".

ويقال: بریت القلم أبريه برياً فأنا بار له والقلم مبري. وكذلك بریت القلم والمغزل وهو أخذك منهما

حتى يتقوما على إرادتك قليلاً قليلاً، لأنك إن لم تفعل ذلك برفق قطعته.  
وقال عبد الله بن مصعب:

قد طالما قد بروا بالجدود أعظمتنا بري الصناعات قداح النبع بالسفن

وقلما يلبث شيء على البري إذا لم يك صلباً قوياً في جنسه، فلذلك يستجاد للقلم القصب. ألا ترى إلى قول كثير:

ولن يلبث الواشون أن يصدعوا  
العصا إذا لم يكن صلباً على البري عودها

ويقال لجميع ما يسقط من قلم وسهم ومغزل إذ بري البراية.  
وقال أوس بن حجر يصف صانعاً لقوس يبريها بمبراته:

على فخذه من براية عودها شبيهه سفى البهمى إذا ما يفتلا

ويقال لما بين العقدتين من القصب أنبوب، والجمع أنابيب.  
وكان بعض الكتاب يجيد الخط ولا يجيد بري القلم، فيبرى له. وبعضهم يرى أن في ذلك مهنة يترفع عنها. وقال بعض الكتاب:

لم ترني قط بارياً قلماً في بريه كل مهنة وضعه  
ما كل من يحمل الحسام لكي يردي به سنه ولا طبعه

وقد عيب بعض الكتاب بأنه لا يجيد بري القلم فليل فيه:

دخيل في الكتابة ليس منها فما يدري دبيراً من قبيل  
إذا ما رام للأنبوب برياً تتكب عاجزاً قصد السبيل  
فكائن ثم من قطع رحيب لأصبعه ومن قلم قتيل

وكان اشتقاق القلم من التقليم، وهو القطع ومنه تقليم حافر الدابة ومنه قلمت ظفري. وكل شيء تربي به شيئاً وتقطعه فهو مبرة والجمع مبار، والمبرة السكين الذي يبرى به القوس ثم جعلوا ما يقطع مبرة. وقال امرؤ القيس يصف قرن ثور:

فكر إليه بمبراته كما خل ظهر اللسان المجر

المجر الفاعل، وأصل الإحرار أن يشق طرف اللسان لسان الفصيل حتى لا يرضع أمه، وخله جعل فيه خللاً. وذكر امرؤ القيس أن الثور طعن كلب الصيد ففعل به هكذا. وكان الوجه أن يقول: فكر إليه

بميراته فخله كما خل، فاستغنى عن قوله "فخله" لعلم المخاطب بما يريد.

والبراية ما سقط من القلم إذا بريته والليطة ما كان من قشر الأنبوب والجمع ألياط مثل عنب وأعنا ب وليط وألياط مثل جمل وأجمال. والشظية ما تشظى من الأنبوب والجمع شظايا وشظي القلم يشظى شظاً إذا صارت مع أحد سنيه شظية عنه. وأصل التشظي في اللغة "التفرق والتشقق" وشظي الفرس تفرق عصبه وتشقق. وقالوا: شظية وشظايا مثل بلية وبلايا وشظاة مثل نواة ونوى لا يكتب إلا بالألف لأنه يقال ثلاث شظايا وشظوات. وحفي القلم يحفى وحفاء وحفاية وكذلك في غيره.

### ومن وصف الكتاب

حدثني القاسم بن إسماعيل قال: رأى ابن شبل البرجمي إبراهيم بن العباس وهو يكتب فقال:

وينظم اللؤلؤ المنتور منطقه وينظم الدر بالأقلام في الكتب

حدثنا الحسن بن علي الكاتب قال: حدثني سليمان بن وهب قال: رأني أبو تمام وأنا أكتب كتاباً فقال:  
"يا أبا أيوب كلامك ذوب شعري". وأنشدني محمد بن الفضل بن الأسود:

إذا شئت يوماً أن ترى بهم الوغى بلا هز طي ولا سل قاضب  
فحرك عنان الطرف نحو معاشر وجوههم في الملتقى كالكواكب  
يهزون صفر الحطيات كأنها أنامل ربات الحدود الكواعب  
إذا أرعفوها زينت برعافها قرطيس تحكى واضحات الترائب

وشبيهه بالبيت الثالث قول القصافي يصف جارية كاتبة:

أفدي البنان وحسن الخط من علم إذا تقمص بالحناء فالكتم  
كأنما قابل القرطاس من يدها شبهها ثلاثة أقلام على قلم

حدثنا الحسين بن علي البامطاني لسليمان بن وهب قال، وكان قلمه يصبر من شدة اعتماده عليه:

إذا ما حددنا وانتضينا قواطعنا أصم الذكي السمع منها صريرها  
تظل المنايا والعطايا شوارعاً تدور بما شئنا وتمضي أمورها  
يساقط في القرطاس مها بدائعاً كمثل الآلي نظمها ونثيرها  
يقود أبيات البنان بفتنة تكشف عن وجه البلاغة نورها  
إذا ما الخطوب الدهم أرخت ستورها تجلت بنا عما تسر ستورها



وأشدهنا يعقوب بن بيان:

مستفل بكل أمر جليل  
بالغ في جوامع وفضول  
طان بين التوقيع والتقبيل

لك حزم يلقي الخطوب بعزم  
ولسان في الحفل غير كليل  
ويدلم تزل من العز والسل

## الجزء الثاني

### ما قيل في الدواة

أنشدنا أحمد بن محمد بن إسحاق، قال: أنشدني أبو هفان:

آلة المجلس الظريف إذا ما  
كنت فيه الدواة والأقلام  
يتهادى فيه البلاغة والآ  
داب منثورها معاً والنظام  
قال أبو بكر: أما المشهور مما قيل فيها فشعر بعض الكتاب، وقد أهدى دواة محلاة بذهب، وهي من  
الأبنوس:

قد بعثنا إليك أم المنايا  
والعطايا نجية الأحساب  
تتزيا بصفرة وكذا الزنج  
تتزيا عجباً بصفر الثياب  
ريقها ريق نحلة مع صاب  
حين يجري لعابها في الكتاب  
في حشاها لغير حرب حراب  
هن أمضى من مرهفات الحراب  
وقال غيره:

وما أم أولاد ولما تلدهم  
عقام إذا ما استتجدت لم تكلم  
وأولادها خرس ويأتيك عنهم  
أحاديث من أيام طسم وجرهم  
إذا استعجلوا في حالة أرقلت بهم  
أثافي من لحم كريم ومن دم  
وشكا بعض الكتاب أن دواته بلا مداد، فقال لبعض أخوانه يطلب منه مدداً:

أنا أشكو إليك أن دواتي  
وهي عوني في حاجتي وعتادي  
عطلت من مدادها واستعاضت  
يقق اللون من حلوك السواد  
لم تزل من بنات حام فصارت  
من بني يافث بغير ولاد  
أنت للحادثات عدة صدق  
خلق أن تمدها بمداد  
وأنشدنا علي بن الصباح:

دواة حديد زين الله خلقها  
بكف فتى حلو الكتابة حاذق  
تدير العطايا والمنايا حرابها  
إذا طعنت في شاكلات المهارق

ولأحمد بن إسماعيل في وصف الدواة، إلا أن وصف القلم يتقدمها في أبياته:

في كفة مثل سنان الصعده  
أرقت بز الأفعوان جلده  
يلتهم الجيش اللهام وحده  
كأنه متشح ببرده  
لو صادم الطرد المنيف هذه  
أو صافح السيف الحسام قدده  
يأوي إلى طير له معدده  
يمزج فيه صبر بشهده  
ترضعه من مقلة مسوده  
يمدها جار كثيف العده  
كأنه الليل إذا استمده  
مقلتها مكحولة بنده

قوله: "كأنه الليل إذا استمده" يشبه قول ابن الرومي يصف حبر أبي حفص الوراق:

كأنه ألوان دهم الخيل  
حبر أبي حفص لعاب الليل  
يسيل للإخوان أي سيل  
بغير ميزان وغير كيل

وعلى ذكر الخبر فإننا نذكر قول بعض الوراقين:

ولجة بحر أجم العباب  
بادي تياره يزخر  
تنور إذا جاش من قعرها  
بذورتها حمم تقطر  
فأكرم ببحر له لجة  
جواهرها حكم تنتثر

وقال بعضهم: إنما سمي الحبر حبراً لأنه تحير به الأخبار. أنشدني الحمدوني لنفسه:

ثنتان من أدوات العلم قد ثنتا  
عنان شأوي عما رمت من وهمي  
أما الدواة فأودى حملها جسدي  
وقلم المال مني حرفة القلم

وحبرت في صحف الحرف محبرة  
تذود عني سوام المال والنعم

ونحوه، وليس هو، مما قصدناه في كتاب الكتاب، ولكنه اعترض فجئت بما أحفظ فيه لغير الحمدوني:

جمعت حروف الحرف في الحبر كلها  
ولول شقائي ما عرفت المحابرا  
وقد زاد بي الإخفاق في كل موطن  
لحملي في كمي إليه الدفاترا  
وسطر في أثناء قلبي تعلا  
طلابي لما أن عرفت المساطر

وفي مثله:

لما أخذت حروف الخط حرفني  
عن كل حظ وجاءت حرفة الأدب

أقوت منازل مالي حين أوطنها

منحيا سفظ الآداب والكتب

وقال آخر:

أدمى البكا جفني والمآقي

وظلت ذا هم وذا احترق

ما أن أرى في الأرض والآفاق

أدنى ولا أشقى من الوراق

إذا أتى في القمص الأخلاق

رايته مطنزة العشاق

يفرح بالأقلام والأوراق

كفرحة الجندي بالأرزاق

قال أبو بكر: حدثني أحمد بن محمد الأنصاري، قال: قيل لوراق: ما تشتهي؟ قال: قلماً مشاقفاً، وحبيراً براقاً، وجلوداً رفاقاً.

وقال بعض المحدثين في محبرة:

ولقد غدوت إلى المحدث أنفاً

فإذا بحضرته ظباء رتع

وإذا ظباء الأئس يكتب كل ما

يملى وتحفظ ما يقال وتسمع

يتجادبون الحبر من ملمومة

بيضاء تحملها علائق أربع

من خالص البلور غير لونها

فكأنها سبج يلوح ويلمع

إن نكسوها لم تمل ومليكيها

فيما حوته عاجلاً لا يطمع

ومتى أمالوها ارشف رضابها

أداه فوها وهي لا تتمنع

فكأنها قلب رصين سره

أبدأً ويكتم كل ما يستودع

يمتاحها ماضي الشبابة مذلق

يجري بميدان الطروس فيسرع

رجلاه رأس عندها لكنه

تلقاه برجفأة ساعة يطلع

فكأنه والحبر خضب رأسه

شيخ لوصل خريدة يتصنع

لم لا ألاحظه بعين جلاله

وبه إلى الله الصحائف ترفع

وقد قال بعض الكتاب: حكم الدواة أن تكون متوسطة في قدرها، نصفها في قدها، لا باللطيفة جداً فتقصر أقلامها، ولا بالكبيرة فيثقل حملها. لأن الكاتب - ولو كان وزيراً مائة غلام مرسومون بحمل دواته - مضطر في بعض الأوقات إلى حملها ووضعها ورفعها بين يدي رئيسه، حيث لا يحسن أن يتولى ذلك منها غيره، ولا يتحملها عنه سواه. وأن يكون عليها من الحلية أخف ما يتهيأ أن يتحلى الدوي به من وثاقة ولطف صنعة، ليأمن أن تنكسر أو تنفصم منها عروة في مجلس رياسة أو مقام محنة. وأن تكون

الخلية ساذجة، لا حفر ولا ثبات فتحمل القذى والدنس، ولا نقش عليها ولا صورة لأن ذلك من زي أهل التوضع، لا سيما في آلة يستعان بما مثل هذه الصناعة الجليلة المستولية على تدبير المملكة، وإن أحرقت الفضة حتى يكون سوادها أكثر من بياضها، فإن ذلك أحسن وأبلغ في السرو وأشبه بقدر من لا يتكثر بالذهب والفضة.

وقد حكى عن المأمون أنه رأى على أسنان دابة له فضة فنهى عن استعمالها وقال: إنما يتكثر بالذهب والفضة من قلا عنده.

وكذلك قال المنصور للمهدي وقد رأى تحته سرجاً لجامه مفضض: أترى الناس لا يعلمون أنك من وراء كل شيء تريده فأنزل هذا اللجام.

حدثنا أحمد بن يزيد المهلب قال حدثني أبو هفان قال سألت وراقاً عن حاله فقال "عيشي أضيقت من محبرة، وجسمي أدق من مسطرة، وجاهي أرق من الزجاج، ووجهي عند الناس سواداً من الحبر، وحظي أحقر من شق القلم، وبدي أضعف من قصبه، وطعامي أمر من العفص، وسوء الحال ألزم لي من الصبغ".

فقلت له: عبرت عن بلاء ببلاء.

وقال آخر:

يقلب ماء اسوداً من قليب

وهذه تنب زهر القلوب

وطول النهار أنا ألعب

وطوراً يبطنني مشرب

فبيتي أول ما يخرب

ترى الرشا والحبل أنبوبة

روض الندى ينبت زهر اللهى

وسئل وراق عن حاله فقال:

إذا كنت بالليل لا أكتب

فطوراً يبطنني مأكّل

فإن دام هذا على ما أرى

ولا يستحسن أن يكثر عدد الأقلام في الدواة، فأحسن ذلك أن تكون أربعة إلى ما دون ذلك. وقد قيل فيه:

تلك عندي من الدوي معيبة

فإذا شئت فاستزد أنبوبة

سيره دائماً وتلك جنبيه

لا أحب الدواة تحشى يراعا

قلم واحد وجودة خط

هذه قعدة الشجاع عليها

ويقال: دواة ودويات لأدين العدد وفي الكثير دوي. وقال أحمد بن ثور يصف ناقته:

## كأن توشي أقرانها

## إذا ما نشحن مخط الدوي

نشحن: عرقن. وجمع الدوى دوي. وأراد بمخط الدوي مخط أقلام الدوى، فاستجار ذلك لأن المعنى لا يشتهبه كقوله عز وجل: "واسأل القرية" يريد أهل القرية. وأنشد الفراء:

## لمن الدار كخط بالدوى

## أفقر المعروف منها وانمحي

ويقال: حليت الدواة أحليها تحلية وحلية حسنة وجمع الحلى الحلي مثل ثدى وثدي. وقالوا: حليت الرجل إذا أخذت علامات من جسده، أحليه تحلية، وهذه حلية الرجل وجمعها حلى وحلى بضم الحاء وكسرهما قد قرئ "من حليهم عجلاً" و "من حليهم". ودواة ودوى مثل نواة ونوى، ودواة ودوى مثل فتاة وفتى، ودواة ودويات مثل حصاة وحصيات، ويقال دواة ودوايا وهي رديئة، قال الشاعر:

## إذا نحن وجهنا إليكم صحيفة

## ألقنا الدوايا بالدموع السواجم

## الإفأة الدواة

يقال ألقت الدواة أليقها لإفأة، إذا أدت كرسفها حتى تسود، وألقوا بينهم كلاماً أي أداروه بشرعة، ومنه القراءة: "إذ تلقونه بألسنتكم"، أي تديرونه بسرعة، وقال بعض المفسرين: تلقونه تسرعون منه إلى ما لا تعلمون. وقال ابن الرقيات:

## جاءت به عيسى من الشام تلق

أي تسرع وقراها يحيى بن يعمر. وحقيقة ألاق الدواة في اللغة إنما هو أدار المداد فيها حتى لصق وعلق، ومنه قولهم لا يليق هذا بهذا أي لا يلصق به ولا يعلق. قال أبو بكر: حدثنا محمد بن القاسم، قال: حدثنا الأصمعي قال: قدمت على الرشيد في بعض قدماتي فقلت: "ما ألاقني الأرض حتى رأيت أمير المؤمنين"، فلما خرج قال: ما معنى ألاقني قلت: ما ألصقتني بها ولا قبلتني.

والصواب المختار أن يقول ألقت الدواة فأنا مليق لها وهي ملاقة.

وحكي عن ابن دريد: ألقت الدواة ولقت من لاق يليق فهو لائق وذاك مليقة من هذا والمصدر لاق ليقا وليوقا. وما لاققت المرأة عند زوجها أي ما لصقت بقلبه. ولاققت الدواة صارت هي نفسها مليقة. وفلان ما يليق شيئاً أي ما يثبت في يده شيء. وأنشدنا محمد بن الفرج أبو جعفر المعري قال: أنشدنا محمد بن أحمد الطوال عن أبي الحسن الكسائي في لاق الدواة ليقاً:

لو يكتب الكتاب عرفك فرغوا

ليق الدوى وانفذوا الأقراما

### الكرسف وما قيل فيه

قال أبو بكر: الكرسف القطن خاصة دون غيره، ثم صاروا يسمون كل شيء وقع موقعه في الدواة من صوف وخرقة كرسفاً قال طرفة:

وجاءت بصراد كأن صقيعه

خلال البيوت والمنازل كرسف

وكرسفت الدواة جعلت لها كرسفاً والجمع كراسف. قال وهب الهمداني:

سحاب حكى القرطاس لون صبيره

وعاد به جو العواصف أكلفا

إذا كتبت فيه يد البرق أسطراً

يلبس وجه الأرض بالثلج كرسفا

### ما قيل في المداد

قال بعض الكتاب: ليكن الكرسف في نهاية ما يكون من السواد، ولتكن الليقة التي نهاية الدين والنعمة، والأجود أن تكون مستديرة، فإن كان كذلك أجزأ الكاتب أن يسمها روق القلم، ولا يلحقه كلفة ولا إبطاء في الاستمداد. وإن حفر الموضوع الواقع على الليقة من الغطاء وغشي بأرق ما يكون من الفضة، حتى إذا أطبقت الدواة تحافى ذلك الموضوع عن الليقة، فلم ينله شيء من سوادها، كان ادعى إلى النظافة والسلامة وأكثر الدرري لا تسلم منها ما لم تكن على ما وصفنا.

ويعنى بتعهد الليقة والكرسف بالملح والكافور، وإن غيرت في كل يومين أو ثلاثة كان آمن لتغيرها وربما أغفل ذلك فاستكرهت الرائحة وظهر من نتنها ما يجعل له. وهما ذلك على بعض الكتاب حتى ظن رئيسه أنه أبحر فشكا ذلك إلى نديم له فقال النديم: ما عرفت ذلك منه، ولكن لعله أغفل ذلك من أمر دواته وتفقدتها. فقال الرئيس: عذره في بخره أبسط عندي منه في نتن دواته، لأنه في ذلك مضطر وهو في هذا مختار. ثم نبهه نديمه على ذلك فلم يجز عليه بعد. وقال بعض الشعراء في هذا المعنى يهجو كاتباً:

دخيل في الكتابة ليس منها

له فكر تعد ولا بديه

تشاكل أمره خلقاً وخلقاً

فظاهره لباطنه شبيهه

كأن دواته من ريقه فيه

تلاق فنشرها أبداً كريبه

وقال أحمد بن إسماعيل حذراً من هذا:

كأنما النفس إذا استمده

غالية مذوقة بنده

قال وأنشدنا أحمد بن إسماعيل للحسن بن وهب:

مداد مثل خافية الغراب

وقرطاس كرقراق السراب

وأقلام كمرهفة الحراب

وألفاظ كأيام الشباب

وأحمد بن إسماعيل الذي يقول:

وإذا نممت بنانك خطأ

معرباً عن إصابة وسداد

عجب الناس من بياض معان

يجتنى من سواد ذلك المداد

والمداد كل شيء يمد به هذا أصله قال الأخطل:

رأت بارقات بالأكف كأنها

مصابيح سرج أوقدت بمداد

يريد بدهن أمدت به كثر الاستعمال لما تمد به الدواة فقلب كل شيء غيره فإذا قيل: مداد، لك يعرف شيء غيره وقال بعض الكتاب يمدح المداد:

من كان يعجبه في صحن عارضه

مسك يطيب منه الريح والنسما

فإن مسكي مداد فوق أنملي

إذا الأصابع مني مست القلما

وقال آخر:

وما روض الربيع وقد زهاه

ندى الأسحار يأرج بالغداه

بأعيق أو بأطيب من نسيم

تؤديه الألاقه من دواة

وقالوا: "المداد خضاب الرجال". وقال آخر:

إنما الزعفران عطر العذارى

ومداد الدواة عطر الرجال

حدثني يعقوب بن بيان قال: كتب إبراهيم بن العباس يوماً كتاباً فأراد محو حرف منه، فلم يجد سبيلاً فمحاه بكمه، فقبل له في ذلك، فقال: المال فرع والقلم أصل، فهو أحق بالصون منه، وإنما بلغنا هذه الحال واعتقدنا الأموال بهذا القلم والمداد ثم قال:

إذا ما الفكر أظهر حسن لفظ

وأداه الضمير إلي العيان

رأيت حلى البنان منورات

تضاحك بينها صور المعاني

ويقال: مددت الدواة جعلت فيها مداداً وكل شيء زدت فيه فإنك تقول: مددته أمدته مدأ. قال الله تعالى: "والبحر يمد من بعده سبعة أبحر". وإذا أمرت قلت: مد الدواة بكسر الدال. ومد الدواة تتبع



الضمة الضمة وإمداد الدواة. ولا يقال أمددت إلا ما كان على جهة الإعانة كقولك: أمددته بمال ورجال، ومنه قوله عز وجل: "أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين". ومنه: "أمددناكم بأموال وبنين". أي أعناكم وقربناكم. ويقال ممداد ونقس بالسین وكسر النون، والكثير أنقاس. وقال حميد بن ثور:

كمخط ذي الحاجات بالنفس

لمن الديار بجانب الحمس

وأنشدنا محمد بن موسى الرازي لحمد بن مهران:

إن الممداد خلوق ثوب الكاتب

لا تجزعن من الممداد ولطخه

هبة من الله الجواد الواهب

وأبهج بذلك إنه لك زينة

ما صح في مال حساب الحاسب

لولا الممداد ويسرنا بدليله

ولكان شاهدنا شبيهه الغائب

ولما تبينت الأمور لطالب

### الحبر واشتقاقه

قال أبو بكر: ذكرنا أشعاراً قيلت في الحبر في باب الدواة لاتصالها بها، كاتصال التوريق بالكتابة والوراقين بالكتاب، وبالحبر تكتب المصاحف والسجلات وما يراد بقاؤه. وإنما سمي الحبر حبراً لتحسينه الخط من قولهم حبرت الشيء تحبيراً وحبرته حبراً زينته وحسنته. والاسم الحبر كقولك طحنته طحناً. في الحديث "يخرج من النار رجل حسن الحبر والسير" وقال ابن أحرر:

بأعمال وآجال قضينا

لبسنا حبره حتى اقتضينا

وقيل: الحبر مأخوذ من الحبار وهو أثر الشيء كأنه أثر الكتابة وقال:

ولا لحبليه بها حبار

ولم يقلب أرضها البيطار

أي أثر. وقال آخر:

بجسمي حبراً بنت مصان باديا

لقد أشممت بي أهل فيد وغادرت

أي أثراً. ويقال محبرة ومحبرة وهما أفصح ما قيل فيها. وحبر فلان كتابه: حسنه، وكذلك نمنمه ونمقه ورشقه. قال مرقش:

رقش في ظهر الأديم قلم

الدار قفر والرسوم كما

ويقال: رقص كذبه أي حسنه حتى يقبل قال رؤبة:

إلي سرّاً فاطرقني وميشي

عازل قد أولعت بالترقيش

وسموا طفيلاً الغنوي محبراً لتحسينه شعره. وقيل: سمي بذلك لقوله يصف برداً:

وسائره من أتحمي معصب

سماوته أسمال برد محبر

### القرطاس وما يكتب فيه

تسمي العرب ما يكتب فيه القرطاس، وجمعه قرطيس، ومهراً وجمعه مهراق، وصحيفة وجمعها صحائف، وسفراً والجميع أسفار، قال الله عز وجل: "يحمل أسفاراً"، وقد نزل القرآن بجميعها إلا المهرق. قال الله تعالى: "تجعلونه قرطيس"، وقال تعالى: "ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس"، وقال تعالى: "إن هذا لفي الصحف الأولى". والعرب تشبه المتزل، إذا خلا ودرجت عليه الريح وصار أرضاً، بالمهرق. قال الأعشى:

وأنى ترد القول بيضاء سملق

سلا دار ليلي هل تبين فتتطق

لطول بلاها والتقادم مهرق

وأنى ترد القول دار كأنها

وشبه أبو نؤاس الناقة البيضاء بالقرطاس فقال:

يقق كقرطاس الوليد هجان

واحتازها لون جرى في جلدها

قيل: خص قرطاس الوليد لأنه معه كالرسم لم يكتب فيه بعد، والهجان أيضاً الكرام من الإبل وغيرها وما أعلم أحداً استوفى في وصف القرطاس إلا جعفر بن حمدان المصري الكاتب فإنه قال:

نة جادت بواكف مدرار

في يديه من القرطيس كالمر

الهند كالبيض كالمياه الجواري

كالملاء الرحيض كالبيض بيض

الصيف نصف النهار في أيار

كالسراب الرقراق في عنفوان

حين يطوي أم في حضور العذاري

ما تبالي أجلت عينك فيه

بو بو عث فيه ولا بحبار

يسبح الخط فيه عفواً فما يك

حدثني أبو تذكوان القاسم بن إسماعيل قال: سمعت عمك أحمد بن عبد الله بن العباس، المعروف بطماس، يقول - وكان حسن البلاغة: القرطاس أمره ما لم تكحله مل الدواة.

ومن مליح الأخبار التي ذكر فيها القرطاس ما حدثني به أحمد بن محمد الأنصاري، قال حدثنا أبو العيناء عن الجماز قال: أراد أبو نؤاس أن يكتب إلى إخوانه له، فلم يجد شيئاً يكتب فيه فحلق رأس غلامه،

وكتب عليه ما أراد، وفي آخرها كتب: وإذا قرأتهم الخطاب فحرقوا القرطاس قال: فردوه بلا جلدة رأس.  
ورأى جرير رجلاً أسود عليه ثياب جد فقال:

أير حمار لف في قرطاس

كأنه لما بدا للناس

وقال أبو نؤاس:

إلا فتى قلبه من صخرة قاسي

لم يقو عندي على تخريق قرطاسي

تكون كالسمع والعينين في الراس

إن القراطيس من قلبي بمنزلة

هذا بغم وهذا كم بوسواس

لو لا القراطيس مات العاشقون معاً

فأما الكراريس فواحدها كراسة، قال الأصمعي: كرسى الكتب والورق جعلت شيئاً منه إلى شيء  
وأكرس الغنم اجتماع بعرها وبولها في مواضعها حتى يتطرق بعضه إلى بعض، قال العجاج:

يا صاح هل تعرف رسماً مكرساً

قال أبو عبيد: أكرس البعر عليه فهو مكرس، ويروى مكرساً كأنه أكرس فهو مكرس وأصله ما ذكرت  
لك. وتكارس ورق الشجر تحته وقع بعضه فوق بعض.

ويقال دفتر ودفتر. وما سمع شيء في اشتاقه إلا أنه عربي فصيح. قال جندل بن المثنى الطهوري:

قد قضى الدين وجف الدفتر

هل لا بحجر يا ربيع تبصر

ويروى الدفتر. وأنشدني الحسين بن يحيى:

تأتيك في الشجر الذي لم يخرس

هل تذكرين إذا الرسائل بيننا

لك في يدي من الفصيح الأخرس

إذ سر نفسي في يدك ومثله

وقال ابن الأحنف:

ستنشر يوماً والعتاب طويل

صحائف عندي للعتاب طويتها

وليس يؤديه إليك رسول

عتاب لعمرى لا بنان يخطه

آخر:

شوقاً وأحبيت منه كل قرطاس

جاء الرسول بقرطاس فهيج لي

عهد الوصال كأنى غافل ناس

فيه معاتبة منها تذكرني

وقال:

أتاني كتاب منمليكي بخطه  
فما أعظم النعمى وما أصغر الشكرا  
فظلت تتاجيني بما في ضميره  
قال وكتب إلى فوز كتاباً أغضبها:  
كتبت وليته شلت يمينه  
ولم أكتب إليك بما كتبت  
كتبت وقد شربت الكأس صرفاً  
فلا كان الشراب ولا شربت  
وقال ابن الأحنف أيضاً:

أهدت إلى صحيفة مختومة  
نفسى الفداء لخط ذاك الكاتب  
ففكتها فقرأت ما قد حبرت  
فإذا مقالة مستزيد عاتب  
حدثني أبو عبد الله الأسباطي قال: كان رجل من الكتاب يهودي مغنية ويكاتبها، فكانت تحرق كتبه  
وتأمره بتخريق كتبها، فكتب إليها: إني أحفظ بكتبك وتهاونين بكتبي فتخرقنيها فكتبت إليه:  
يا ذا الذي لام في تخريق قرطاس  
كم مر مثلك في الدنيا على راسي  
الحزم تخريقه إن كنت ذا نظر  
وإنما الحزم سوء الظن بالناس  
إذا أتاك وقد أدى أمانته  
فاجعل كرامته دفناً بأرماس  
وشق قرطاس من تهوى وكن حذراً  
يا رب ذي ضيعة من حفظ قرطاس  
فكتب إليها: الصواب رأيك وخرق رقاعها.

### قط القلم

يقال: قططت القلم أقطه قطعاً. والقط والقذ متقاربان، لأن القط أكثر ما يستعمل فيما وقع السيف في  
عرضه، والقذ لما وقع في طوله. ومنه قولهم: كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، إذا  
علا بسيفه شيئاً قده، وإذا اعترضه قطه. وقد يحمل هذا على هذا. وقال عمرو بن معد يكرب:

فكم قط سيفي من قونس  
غداة التقينا ومن مفرق

ومط حاجبيه ومد بمعنى. وإنما جاز ذلك في قد وقط ومد ومط لأن نخرج الطاء والذال من مكان واحد  
من أصول الثنايا وطرف السان، كما يقال: طين لازب ولازم، لأن مخرج الباء والميم من الشفة من مكان  
واحد.

### المقط

هو المقط بكسر الميم فأما المقط فالموضع الذي يقط من رأس القلم. وأحسن المقاط وأمكنها المربع كهيئة فص النرد زائداً عليه في الطول والعرض ساذج الطرفين، فإذا كان على هذا الشكل رحب مطاه، ووطؤ قراه، وكان أملاً لليد، وأمكن للقط. وفيه يقول بعض الكتاب:

الحمد لله شكراً  
وغادرتني مداها  
لم يبق مني إلا  
يعلو الورى وأحط  
منها كأني مقط  
صبر جميل فقط

وقال بعض الكتاب:

فإن تكن الخطوب فرين مني  
فإن كرائم الأقلام تحفى  
أديماً لم يكن قدماً يغط  
فيصلح من تشعثها المقط

وقال بعض الكتاب: إذا قططت ولم تسمع لقطتك صوتاً كصوت نبض القسي، ووقعة كوقعة عضب المشرفي، فأعد فإن قلمك بعده حف. وأكثر ما يقع ذلك والقلم رطب بمداده، وإنما القطة تصلح مع جفافه. وأنشدني بعض أصحابنا لنفسه في المقط من أبيات خاطب بها بعض الكتاب أولها:

يا إذا الكتابة قد بعثت بمرضع  
بل ناسبت لون الخطوب وضمنت  
معها مقط قد تحلى بينها  
يحكي سويداء القلوب إذا رمت  
أعربت في وصفي له إذ قصرت  
وانضاف محرارك إليه كأنها  
سوداء قد خرطت من الإظلام  
كشفاً لها بحضانة الأقلام  
شبه الصدود بدا لحلف غرام  
فيها لواحظ شادن بسهام  
من قبل عنه خواطر الأوهام  
احذوه قد الصارم الصمصام

### المرفع

قال بعض الكتاب: المرفع ضرب من الكبر، وفضيلة في الآلة، وترفه مفرط لا يليق بذوي التقدم في العمل، والصبر عليه، والتجرد له. وما يسرع إليه إلا كل ذي نخوة ورياسة محدثة. وهو أحسن في مجالس الخلوات منه في الجماعات. فأما مجالس الرياسة والجد في الأعمال فلا موقع له فيها. قال أحمد بن إسماعيل: قلما رأيت سيداً رئيساً يجعل بين دواته وبين الأرض مرفعاً في مجالس رياسته. وإذا عجز الكاتب عن الاستمداد

من الدواة على الأرض، فيغنم رفعها إلى يده بهذه الآلة وتقريب متناولها، فهو عما سوى ذلك من تمشية الأعمال وتنفيذ الأمور أعجز. وقد هجي بعض الكتاب بذلك فقيل:

إني بليت بجاهل متغافل  
منكف في فعله متصنع  
حاز الكتابة حين فضض مرفعاً  
وجرت أنامله بخط مسرع  
متنايه في الحفل يبغي عزة  
فيدل في مرأى هناك ومسمع  
فكلامه دون المدى متواضع  
ودواته للطرف فوق المرفع

حدثني أحمد بن محمد بن إسحاق قال: دخلت أنا وأبو علي بن المرزبان على يحيى بن مناوة الكاتب، وبين يديه مرفع قد قارب صدره عليه دواته، فقلت لابن المرزبان: أما ترى هذا المرفع؟ فقال: هذا مرفع وصاحبه رقيق لا رفيع.

وقيل لبعض الرؤساء - وقد جعل دواته على مرفع: ما كل الأجلاء تفعل هذا. فقال: من جلس على فرش تعليه قليلاً بعدت عليه مسافة الاستمداد، فأما من كان على حصير أو سماط فلا عذر له فيه. وقد وصف بعضهم مرفعاً مفضضاً واحتج له فقال:

قرب البعد مركب لدواة  
ملجم من حليه بلجام  
فضة تستضيء في أبنوس  
مثل ضوء الإصباح في الإصباح في الإظلام  
كخوان الطعام سهل للأك  
قال: منه ما كان صعب المرام

### محراك الدواة

كذا تسمية الكتاب. وللعيدان التي تحرك بها العرب الأشياء أسماء: فالعود الذي تحرك به النار مسعر ومسعار، ومحرت ومحراث، ومنه قيل: "مسعر حرب" أي يسعرها بوقدها. ويقال لما يجده به الأشربة مجدح ومجدح مخاض، ويقال له أيضاً مخوض. ويقال أيضاً للميل الذي يحرك به الجراحات محراك، ومحراف، ومسبار أي يسبر به قدر الجراحة أي تختبر به، وربما سموا المبضع بذلك. وقد روى القطامي يصف جراحة:

إذا الطبيب بمحراكيه حولها  
زادت على النقر أو تحريكها ضخماً

ويروى بمحرافيه. وقد ذكر المحراك بعض الشعراء من الكتاب فقال:

بدر من الديوان لم يحترم  
ضياءه بالنقص أفلاكه  
صير جسمي قلماً هجره  
يردي دم العشاق سفاكه

### الكتب في اللغة

قولهم: كتبت الشيء، يريدون ضمنت بعضه إلى بعض. ويقال: كتبت الشيء كتباً وكتابة. ويقال: اكتب بعلتك أي ضم حياها بحلقة حتى لا يطأها الفزاري لأن فزاره تعبير بذلك. قال الفرزدق في الناقة:

لا تأمنن فزارياً خلوت به  
على قلوصلك وكتبها بأسيار

وقيل: المعنى قارب بين شدها حتى لا يسرقها الفزاري، وهذا أشبه، لأن الفرزدق أيضاً يهجو ابن هبيرة الفزاري بسرقة فزاره قال يخاطب هشاماً:

أطعمت العراق ورافديه  
فزارياً أخذ يد القميص

يقول: قد رق فقطع فكمه خفيف قصير.

وقيل: كتيبة الجيش لاجتماعها، وتكتبت تجمعت. والكتب الخرز الواحدة كتبه بضم خرزة إلى خرزة، وقال ذو الرمة يصف المزادة التي يستقى فيها الماء:

وفراء غرفية أثأى خوارزها  
مشلشل ضيعته بينها الكتب

يريد أن هذه الخرز لما اتسعت ضيعت الماء، وفراء واسعة، وغرفية دبغت بالغرف وهو شجر، والخوارز نساء، وأثأى أفسد والثأى الفساد، والمشلشل الذي يتصل قطره وهو مرفوع على شيء تقدم في البيت الأول وكاتب والجمع كتاب وكتبة وكاتبون. والموضع الذي يتعلم فيه الكتاب كتاب ومكتب. ويقال أيضاً أكتب فهو مكتب. واكتبت الرجل ما أراد أكتبه اكتاباً جمعه له وأمليته عليه. ويقال زبرت الكتاب إذا كتبه ازبره زبراً. وقال رجل من حمير: أنا أعرف بزبرتي أي كتابتي. وسميت الكتيبة لاجتماعها، وتكتب القوم تجمعوا. وقال عبيد بن الأبرص:

أنبئت أن بني جذيلة أوعبوا  
سفراء من سلم لنا وتكتبوا

أي تجمعوا.

وقال التوجي: الموضع الذي يعلم فيه الكتاب مكتب ومكتب مثل مطلع ومطلع، وكاتب الرجل إذا خابرت الخطة مكاتبه وكتاباً مثل نادته منادمة ونداماً. وكاتبته فكتبته مثل غالبته فغلبته وخابرتة مخابرة وخياراً فخبرته. وقال المازني: يقال اكتب الرجل إذا صار كاتباً حاذقاً.

قيل: أجاد إذا صار له فرس جواد. وألبن إذا صار ذا لبن. وأتيت فلاناً فأكتبته وأحسبته إذا وجدته كاتباً

حاسباً. كما تقول أتيتته فأبخلته أي وجدته بخيلاً. وأتيت بلد كذا فأمطرته أي وجدته مطيراً. وقال الحرمازي: سمعت أعرابياً يقول: ظلمني هؤلاء الكتب مثل صائم وصوم وقائل وقول. ومثله في المعتل غاز وغزى، قال العجاج:

### حتى إذا ما حان قطب الصوم

وزبرت الكتاب كتبتة وزبرته قرأته. ووحيت الكتاب أحيه وحيأً كتبتة، وكتاب موحى ومكتوب بمعنى، فوحيت كتبت، وأوحيت أعلمت وأشرت، وقد قيل في هذا وحيث وأوحيت، فأما في الكتاب فوحيت قال الشاعر:

### أضحت قفاراً لوحي الواحي

### ما هيج الشوق من الأطلال

وإذا أردت أن تكتب من هذا قلت يا واهي حه، أثبت الهاء إذ كانت العرب لا تتكلم بحرف واحد. ويا واحيان حيا ويا واحون حوا. وإذا أمرت من أوحيت قلت يا موحى ويا موحيان أو حيا ويا موحون أو حوا.

## السكين

قال بعض الكتاب: السكين مسن الأقلام يسنها إذا كلت، ويلصقها إذا بت، ويطلقها إذا وقفت، ويلمها إذا تشعثت. وأحسنها ما عرض صدره، وأرهف خصره، ولم يفضل عن القبضه نصابه. والسكين تذكر وربما تؤنث قال أبو ذؤيب.

### فذلك سكين على الخلق حاذق

### يرى ناصحاً فيما بدا فإذا خلا

أي قاطع. ومنه حذق الصبي قطع عنه التعليم. وفي تأنيثها، يقول بعض بني ثعلب:

### بسكين موثقة النصاب

### فانحى للسنام غداة قر

وفيها يقول أحمد بن إسماعيل:

وحار في ميدانه وعردا

إني إذا ماضي اليراع بلدا

بمدية كريمة من المدى

لمصلح من حده ما أفسدا

تهدي إلى الأقلام حيناً وردى

كادت نقل الصارم المهندا

وهي بما تفعل تولينا يدا

كأنما يوقع منها بعدى

حين ترى الأكل منها مبردا

لأنها تقيم منها الأودا



## يفوف القرطاس تفوف الردى

وقال بعض الأحداث من الكتاب:

## بلحمة من البيان وسدى

### وابن البهاليل الأكاريم

### لام لام ألف قاف لام ألف ميم

قال أبو بكر: والسكين يذكر ويؤنث والغالب عليه التذكير. ونصابها أصلها ونصاب كل شيء أصله. وأنصبت السكين جعلت له نصاباً. وأقربته جعلت له قراباً وهو الغلاف. وغلفته جعلت له غلافاً. وسكين مقرب ومقربة لمن أنث. ومغلف لمن ذكر ومغلفة. وجمع نصاب نصب. وجمع غلاف غلف، وجمع قراب قرب. وأنشدنا أحمد بن يحيى ثعلب لأبي محكان:

### يا منتهى الفضل حليف الندى

### جد لي بسكينك ذاك الذي

### ضمي إليك ثياب القوم والقربا

### يا ربة القوم قومي غير صاغرة

قال: إنما خص القرب وهي الغلف يريد السيوف يقول: "خذني سيوفهم، واعلمهم أنهم في دار عز وأمان وطمانينة لا يخافون"، لأن العرب إذا نزلت متزلاً لم تضع سلاحها حتى تأمن. وأشعرت السكين جعلت لها شعيرة، وهي الحاجز بين آخر الحديد وأول النصاب. وسيلان الحديد مركب فيها. واقبضت السكين جعلت له مقبضاً. وسكين مقبض. وقد حكى قربت السكين والسيوف فهو مقروب أيضاً. وأنشدوا:

### والدرع مطوية والسيوف مقروب

### إن يسألوا الحق يعط الحق سائله

ويقال هذا حد السكين وشفرته وظبته وغرته وجراره وذبابه. فظبته طرفه والجميع ظبات. وشفرته حده من أوله إلى آخره. وجراره وشفرته واحد. وذباب كل شيء حده. وأكثر ما يوصف به السيوف من الحد يجوز في السكين وأحدت السكين أحده إحداداً وحد السكين نفسه صار حاداً وأحد فهو محد وإذا أمرت قلت أحد سكينك وسكين حديد أي قاطع قال حسان:

### حديد الغرار حسام خذم

### بكل صقيل له ميعة

وكل السكين يكمل كلاً وكلولاً وكلة. وكذلك البصر. وصدأ يصدأ صدى إذا توسخ. وكذلك طبع يطبع طبعاً.

## الإنشاء

أنشأ الكاتب الكتاب ابتداء عمله على غير مثال يحتذيه قال الله تعالى: "قل يحييها الذي أنشأها أول مرة".

وتقول العرب: أنشأ يفعل كذا، وأنشأ يقول كذا إذا ابتداءً. وأنشأ الله الخلق. ينشئهم إنشاءً إذا ابتداءً خلقهم. وأنشأت أنا الشيء أنشئته إنشاءً. وقال عز وجل: "وأن عليه النشأة الأخرى". وإذا أمرت قلت: أنشئ الكتاب، بإثبات الياء في الكلام والخط لأن هذه الياء هي همزة فذهبت للأمر منها الحركة. حدثنا أحمد بن إسماعيل قال: كان بعض النساخ قد صار منشئاً لبلاغة ظهرت منه، فقال فيه المنشي الذي كان ينسخ رسائله:

أيها المنشي الذي	كان بالأمس ناسخاً
نسخ تلك الرسائل الـ	متعبات المشائخا
ترك الناسخ المم	تل في العلم راسخاً
رغم أنف اصاره	لذوي العلم شامخا

### السطور

أصل السطر في اللغة الأثر المستطيل على استواء وجمعه أسطار وأسطر وسطار وسطور. وكل مقدم على استواء غير خارج شيء منه عن نظيره بمنة ويسرة فهو مسطر من سطر يسطر تسطيراً. وقال المسيب بن علس:

تري للسيوع بحيزومها      ندوباً وللدف منها سطارا

والكاتب مسطر وساطر. ويقال للذي يصلح بها الورق سطوره في دفاتره حتى لا تعوج سطوره "مسطرة"، وقد سطر إذا كتب خاصة إذا لم يذكر شيئاً، علم أنه للكتابة لكثرة الاستعمال وقد يقال: سطر نخله إذا غرسه على استواء. قال رؤبة:

إني وآيات سطرن سطارا .

وقال الله جلت عظمته: "والطور وكتاب مسطور". أي مكتتب قد سطر وتقول: كل شيء عمله مستطر عندي أي مكتتب. وقال الله عز وجل: "وكل صغير وكبير مستطر". وقالوا: أسطور وأساطير، وقالوا: سطر وسطر مثل سقف وسقف. وأنشدنا ثعلب للشماخ:

أتعرف رسماً دارساً قد تغيرا      بذروة أقوى بعد ليلي وأقفرا

حكى خط عبرانية بيمينه      بتيماء حبر ثم عرض أسطرا

عرض أخفى سطوره كما تقول عرض بكذا إذا لم يصرح به وإن لم يكن كذا فسد معنى الشعر.

## المقابلة بالكتاب ونسخه

يقال: قابلت الكتاب بالكتاب أقابله مقابلة وقيلاً، المعنى جعلت ما في واحد من الكتابين مثل "ما" في الآخر مشبهاً له من جهة ما كتب فيه، لا من كل جهة، لأن القدود تختلف وكذلك الألوان الذي يكتب فيه. وتقابل الموضوعان إذا كان أحدهما حيال الآخر وقبالتة، وكأنه في الحقيقة أقبل كل واحد منهما على صاحبه وشأبه في التقابل. وأقبلت المرهم الجرح ألصقته به قال ابن أحمر:

شربت الشكاى والتددت ألدة وأقبلت أفواه العروق المكاويا

يريد: جعلت المكاوي حيال العروق مقابلة لها ملصقة بها فقال الأعشى:

وأقبلها الشمس في دنها وصلّى على دنها وارتم

ويروى: وارتمش. قال الأصمعي: أصلها استقبل بها. وتقول العرب أقبل نعلك أي اجعل لها قبلاً وهو الشراك لأنه يقابل النعل قال أبو نواس:

ما على وجه به قا بلنتي اليوم مهابه

وعارضت الكتاب بالكتاب إنما هو عرضت ذا على ذا وذا على هذا حتى استويا. وعارضت داري ببستانه سويت بينهما في القيمة وأخذت هذا بهذا. وعارضته في قوله: أتيت بمثل ما قال. والنسخ على معنيين أحدهما أن تنسخ الشيء لما تقدمه، فتذهب به فيحل مكانه ومنه قول الله عز وجل: "ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها". وفي كل الآيات خير، والمعنى نأت بخير منها لكم وأخف عليكم. ومنه قولهم: نسخت الشمس الظل حلت مكانه. والمعنى الآخر أن ينسخ الشيء الشيء فيجيء بمثله غير مخالف له يقول: نسخت كتابك لم أغادر منه حرفاً، وفي القرآن: "إننا نستنسخ ما كنتم تعملون". ويروى أن أو من عمل الكتب نسخاً زياد.

## الخطأ في الكتاب

تقول أخطأت في الكتاب تخطى خطأً وخطأً وخطأً. وقرأ أبو جعفر: "إنه كان خطأً كبيراً"، مفتوحة الطاء والخاء غير ممدودة. وقرأ أكثر القراء "إنه كان خطأً"، من خطيء يخطأ خطأً، مثل أثم يَأْثُمُ أْثَمًا، وأخطأت خطأً مفتوحة الخاء والطاء ممدودة.

والخطأ في اللغة ضد الصواب، وتقول: لا تخطى يا هذا - إذا أمرته - بالهمز ساكنة وإنما أسقطت للجزم حركة الهمزة كما تقول: إقرأ يا هذا. فإذا أمرت الإنسان أن يقرى الضيف قلت له: أقر ضيفك فحذف

لأنه غير مهموز من قراه يقريه قرىً يا هذا. وتقول وهمت في الكتاب أوهم وهماً إذا سهوت فيه فكنت شيئاً مكان شيء. وأوهمت فيه أسقطت منه شيئاً فلم تكتبه. قال أبو عبيدة يصف إنساناً بالبلادة: ما فهم ولو فهم لوهم.

### المشق في الكتاب

يقال: مشق في الكتاب يمشق مشقاً، إذا أسرع الكتابة، والمشق في اللغة تأثير الشيء بسرعة قال ذو الرمة:

**فكر يمشق طعناً في جواشنها** **كأنه الأجر في الإقبال يحتسب**

وكثر ذلك في كلامهم حتى صار كل مستلب شيئاً قد مشقه قال الأخطل:

**والخيل نمشق عنهم أسلابهم** **في كل معترك وكل مغار**

وتقول: ترك ثوبه مشقاً ومزقاً إذا خرقه، وتقول: مشقت الإبل الكلاً إذا أكلت منه بسرعة.

### الزلف

يقال: زلف في قرابة يزلف فيها زلفاً إذا تجاوز من شيء إلى شيء. وهو في حق اللغة القرب مما تريد كأنه يقرب بذلك من القراع ما يريد قال العجاج:

**طي الليالي زلفاً فزلفاً** **سماوة الهلال حتى احقوقفا**

زلفاً فزلفاً بعد قرب، حتى عاد الهلال محقوقفا، وقال الله عز وجل: "وزلفاً من الليل" جمع زلفة، مثل غرفة وغرف والزلفة القرية كأنه يريد وقتاً بعد وقت من الليل يقرب هذا من هذا. وقال أبو عمرو الشيباني: المزالف ما قرب من المنازل من الأمصار مثل القادسية من الكوفة، والمحدثه من البصرة وله عندنا زلفة أي قربة قال عز وجل: "وإن له عندنا لزلفى". قال المفسرون: قربة. وقال تعالى: "وأزلفنا ثم الآخرين".

### فض الكتاب

يقال: فضضت الكتاب أفضه فضاً إذا نحيت عنه طينه وسحاته. وأصل الفض في اللغة التفرقة، كأنه فرق بين الكتاب وبين طينه وسحاته.

وقال تعالى: "هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا". قال المفسرون: كلهم حتى تفرقوا.

وحضرتي نادرة عند ذكر "حتى ينفضوا" ليست من الكتاب، حدثني يموت حدثني يموت بن المدرع قال:

كان بالشام معلم رقيع طينه مشهور بشتم الصبيان، فقال: اقعديوا حتى تسمعوا، فإن كنت معذوراً وإلا فلوموا، قال: فقعدنا قرأ عليه صبي منهم: هم الذين يقولون لا تنفقوا إلا من عند رسول الله. فقال: كذبت يا ماص سلحه، أتلتزم رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة لا تجب عليه، وهو لا يملك مالاً؟ قال: فضحك. ثم قرأ آخر: عليها ملائكة غلاظ شداد يعصون الله ما أمرهم ولا يفعلون ما يؤمرون. فقال: يا ابن الفاعلة هؤلاء أكراد شهادة زور ليسوا ملائكة. قال: فضحك وضحكنا وقلنا ما نلومك بعد هذا. ومن الأول: لا يفضض الله فاك، أي لا يفرق الله ثنايك وأراد بالفم الأسنان. وانفض القوم تفرقوا. ويقال: فضضت ختام البكر افتضضتها قال الفرزدق.

**وبت أفض أغلاق الختام**

**فبتن بجانبى مصرعات**

### السحاة

تقول: سحوت الكتاب اسحوه سحواً وسحيته أسحاه سحياً. والواو أكثر، وسحيت بالتشديد اسحي تسحية ومعنى سحيت قشرت. وسحاة القرطاس والجمع سحاء ممدود. وحكى بعض أهل اللغة أنه يقال: سحاة وسحاية ويقال: سحوت اللحم عن العظم إذا قشرته. وقال الأصمعي: الساحية من المطر التي تقشر وجه الأرض. وقال أعشى همدان:

**في يوم نحس من الجوزاء منخرق**

**جرت به ذيلها غراء ساحية**

والمسحاة مشتقة من ذلك لأنها تسحو وجه الأرض. وإذا قال: سحيت الكتاب فإنما يريد جعلت عليه سحاة مثل عظمة وسحاية مثل عظاية. وما أحسن سحيتك للكتاب! أي أخذك سحايتته. وإذا أمرت من سحوت قلت: اسح يا هذا ومن سحا سح يا رجل ومن سحيت سح وكتاب مسحي ومسحو. وإذا أخلق الكتاب فصار كالسحايا قيل: قد أسحى الكتاب فهو مسح. وكذلك إذا كان أخذ السحاية منه سهلاً. وإذا وضعت السحاية على الكتاب فقد سحيته وسحوته. وخزمته خزماً وكتاب مخزوم. والسحاية من هذا خزامة وجمعها خزائم والخزم الشد في كل شيء.

### تتريب الكتاب وتطيينه

يقال: تريب الكتاب تريباً، ولا تقل: أتربت، فإذا أمرت قلت: ترب كتابك، ولا تقل أترب، اللهم إلا أن تقول: إن كتابه كثير التراب، فتقول: أترب بكتابك كما تقول: برد بطعامك، فإذا تعجبت من برده

قلت: أبرد طعامك.

وقد جاء في التراب لغات قالوا: تيرب وتوراب وقال اللحياني: تورب أيضاً وتراب وترب وأتربة وتربان وتربان ويقال هذه ترباء طيبة وتربة وترب.

ويقال طينت الكتاب أطينه تطييناً، إذا جعلت عليه طين الخاتم. وتقول: طنت الكتاب أطينه طيناً، مثل زنته أزينه زيناً، ولا يقال: أطننت. فإذا أمرت قلت: طين كتابك وإن شئت قلت: طن كتابك من طنت أطين وما أحسن طينتك للكتاب! من هذا وكتاب مطين مثل قولهم: زت العجين فهو مزيت إذا ألقيت فيه زيتاً قال الشاعر:

ولم يقفلوا نحو العراق ببره      ولا حنطة الشام المزيت خميرها

### المحو في الكتاب

يقال: محوت الكتاب أمحوه محواً بالواو، فإذا أمرت من هذا قلت: أمح. وحكي محيت أمحي محياً. ومن أمثالهم "ما أنت إلا محياً وكتياً". فإذا أمرت من هذا قلت: امح والواو أفصح وبها نزل القرآن: "يمحو الله ما يشاء ويثبت". والحو في اللغة تعفيه الأثر حتى لا يرى.

حدثنا محمد بن الحسن البلعي، قال: حدثنا أبو حاتم قال: قيل للأصمعي: لم سمت العرب الشمال محوة؟ قال: لأنها تمحو السحاب ولا يرى شخصه. واستدعى أبو نؤاس أن يكثر المكاتب له الحو في كتابه فقال:

أكثرني المحو في الكتاب ومحى      ه بريق اللسان لا بالبنان

وأمرني كلما مررت يسطر      فيه محو لطعته بلساني

فأرى ذلك قبلة من بعيد      أسعدتني وما برحت مكاني

وقال أبو نؤاس:

يا ذا الذي قبلته فمحاه      أخشيت أن تقرا حروف هجاه

ظبي يرى التقبيل فيه مؤثرا      فتراه منه كيف يمسح فاه

ويظنه لكتابه في لوحه      يبقى بقاءً دائماً فمحاه

### عرض الكتاب

يقال: عرضت الكتاب أعرضه عرضاً، إذا أمرته على طرفك بعد فراغك منه، لئلا يقع خطأ، وكذلك عرضت الجند. ولا تقل أعرضت الجند لأن الإعراض انصرافك بوجهك عن الشيء، وحقه في اللغة أنك وليته عرض وجهك قال عمرو بن كلثوم:

**وأعرضت اليمامة واشمخرت**      **كأسياف بأيدي مصلتينا**

ويقول: صرنا إلى موضع رأينا منه عرضها أي جانبها فكأنها هي أريناه. وقد عرضت ما قلت على قلبي. وهذا خلاف العرض على العين، إنما يريد أفكرت فيما قلت. وعرض الرجل على ماله فهو عارض وعرض على فلان فهو معروض عليه. وقال ابن الأحنف:

**كأن خروجي من عندكم قدراً**      **وحادثاً من حوادث الزمن**

**من قبل أن أعرض الفراق على**      **صبري وأن أستعد للحنن**

أنشد هذين البيتين محمد بن يزيد المبرد وقال: عمك إبراهيم بن العباس أحزم رأياً من خاله العباس بن الأحنف حين قال:

**وناجيت نفسي بالفراق أروضها**      **فقلت: رويداً لا أعزك من صبري**

**فقلت لها: فالبين والهجر راحت**      **فقلت: أمني بالفراق وبالهجـر**

فقلت له: إنه أخذهما أيضاً ابن الأحنف:

**عرضت على قلبي السلو فقال لي:**      **من الآن فتش لا أعزك من صبر**

**إذا صد من أهوى رجوت وصاله**      **وفرقته جمر أحر من الجمر**

وأما قوله عز وجل: "وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً"، فإنه يقول عز وجل: أظهرناها لهم وأبرزناها، هكذا قال المفسرون. وعرضت المتاع على المشتري أبرزته له. وعرضت الحوض على الناقة إذا امتحنت عطشها. وقد قلبوا فقالوا: عرضت الناقة على الحوض كما قالوا:

**كانت عقوبة ما فعلت كما**      **كان الزناء عقوبة الرجم**

فأما معارضة الكتاب فعرض واحد على الآخر حتى يستويا.

### **الحنن في الكتاب**

قال: حدثنا أبو بكر قال: حدثنا المغيرة بن محمد المهلب قال: حدثنا محمد بن عباد عن أبيه، قال: لحن أيوب في حرف فقال أستغفر الله.

وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري وقد قرأ في كتابه لحنًا: قنع كاتبك سوطًا.

حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب، قال: كان ابن قادم مع إسحاق بن إبراهيم المصعبي فكتب كاتبه ميمون بن إبراهيم إلى المأمون كتاباً فيه: "وهذا المال مالاً يجب على فلان"، فخط المأمون على "مالاً" ووقع بخطه في حاشية الكتاب: أتكاتيني بلحن يا إسحاق؟! فاشتد ذلك عليه.

قال: فحدثني ابن قادم، قال: أتاني ميمون فقال: الله الله في احتل لي. فحضرت فسألني إسحاق عن الحرف فقلت: الوجه وهذا المال مال، ومالاً يجوز على تأول، لأخلص الكاتب. فقال إسحاق لكاتبه: قد عفوت عنك فدعني من يجوز والزم صحيح الإعراب. قال: ثم أكب ميمون علي يقرأ النحو حتى فهم منه شيئاً كثيراً.

حدثني أبو عبد الرحمن الألويسي العباس بن عبد الرحيم قال: سمعت عبد الله بن قتيبة يقول كتب إلي رجل من سر من رأى: قد قرأت كتابك المترجم بكتاب الكتاب وقد أعبت عليك فيه حرفاً. فكتبت إليه: وصل كتابك وفهمته وقد عبت عليك قولك وأعبت عليك والسلام.

قال أبو بكر: هذا شيء يتسع فيكثر فجئت منه بطرف لأنه وحده يكون كتاباً كبيراً لو ذكرته. وقالوا: "اللحن في الكتاب، أقبح منه في الخطاب".

وأكثر العلماء يلحن في كلامه لثلاث ينسب إلى الثقل والبغض، فأما في الكتاب وإنشاد الشعر فإن ذلك قبيح غير جائز.

يقال: لحن يلحن لحناً فهو لاحن إذا أمال الصواب عن جهة إلى جهة أخرى. وأما قوله عز وجل: "ولتعرفنهم في لحن القول"، فإن الكلبي يقول في لحنه في مداره. قال: وحقيقته في اللغة إمالة الشيء من جهته، إما لخطأ أو عمد، ليؤري عن إرادته. قال القتال الكلابي:

**ولقد لحنتم لكم لكيما تفهموا**      **ووحيت وحيّاً ليس بالمرتاب**

وحكى الجاحظ في كتاب البيان والتبيين أنه يستحسن من الجارية اللحن وتكره الفصاحة. قال ولذلك قال مالك بن أسماء الفزاري:

**منطق رائع وتلحن أحيا**      **ناً وأحلى الحديث ما كان لحناً**

فذهب بهذا إلى لحن الخطأ، وهو قبيح من مثله وخطأ فاحش عليه أن يتأول هذا، ثم لم يرض حتى احتج له. والذي أراد مالك أنها فطنة تأتي بالشيء تريد غيره وتميل ظاهره عن باطنه. وقد قيل للجاحظ: غير هذا في كتابك فإنه قبيح، فقال: افعل، ولكن كيف لي بما سارت به الركبان.



ويقال من هذا: فلان ألحن بحجته من فلان، أبي ألحن بإمالة الباطل إلى الحق بفصاحته وعلمه. ويصدق ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته من صاحبه، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار".

قال أبو بكر: حدثنا محمد بن يزيد قال: حدثني الجاحظ عن أبي عبيدة قال: رأني أبي وأنا أكتب كتاباً فقال: "يا بني اجعل فيه لحناً ليزول عنه حرفة الصواب".

يقال: لحن الرجل يلحن لحناً إذا أخطأ بتسكين الحاء ولحن يلحن لحناً إذا أمال الشيء إلى الجهة التي يريد بها. ويجعلون هذا مكان هذا، إلا أن الاختيار في الثاني فتح الحاء. قال ابن أم صاحب فحرك الحاء:

**غمست عنهم وما ظني مخافتهم**      **وسوف يعرفهم ذو اللب واللحن**

غمست عميت. حدثنا أبو العيناء قال: قدم أبو علاء المنقري. من الأهواز فقال لي: يا أبا عبد الله ما أكبر دباءها وما أبخل أهلها! قلت: وما أكثر اللحن فيها! قال: كثير جداً. وكان فصيحاً على لحنه. حدثنا جبلة بن محمد الكوفي، قال: حدثني أبي قال: عاد بن أبي ليلى بعض أشرف الكوفة، وكان له أخ لحن، فجعل يقول: "يا أخي افتح عينك حرك شفتك كلم أبي عيسى". فقال له ابن أبي الحبي: "أظن علة أخيك استماع لحنك".

قال الصولي: وحدثنا أبو العيناء قال: قال رجل لأبي شيبة القاضي: علي كفارة يمين فبأي شيء أكفر. بدقيقاً بسويقا. فقال الرجل: ما لحتن أطيب من لحنك. وقال له بن مصقلة: لو كان لحنك من الذنوب لكان من الكبائر.

وقال أبو بكر وأنشدني عون بن محمد:

**لقد كان في عينك يا حفص شاغل**      **وأنف كمثل العود عما تتبع**  
**تتبع لحناً من كلام مرقس**      **وأنفك كمثل إيطاء وأنت المرقع**

حدثنا الباجي قال: كتب ابن الرومي كتاباً بخطه فلحن فيه إلى أبي الحسن محمد بن أبي سلالة وقد كان احتبس عن ابن الرومي فكتب إليه ابن الرومي وقد علم بذلك:

**ألا أيها الموسوم باسم وكنية**      **وجدناهما اشتقا من الحمد والحسن**

**أتبخل بالقرطاس والخط عن أخ**      **وكفأك أندى بالعطاء من المزن**  
**أغلق عني علمه بكتابه**      **أخ لي وقلبي عنده علق الرهن**  
**عطفناك فاعطف إن كل ابن حرة**      **أخو مكسر صلب وذو معطف لين**

## وإن سقطتني في كتابي تتابعت

## فلا تلحنني فيما جنيت على ذهني

حدثنا محمد بن القاسم بن خلاد قال: حدثني الأصمعي قال: دخلت على مالك بن أنس بالمدينة، فما هبت عالماً قط هييتي له، فتكلم فلحن فقال: مطرنا البارحة مطراً وأي مطراً، فخف في عيني فقلت له: يا أبا عبد الله قد بلغت من العلم هذا المبلغ فلو أصلحت من لسانك! فقال لي: فكيف لو رأيت ربعة بن عبد الرحمن؟! قلنا له: كيف أصبحت؟ فقال: بخيراً بخيراً.  
وما أحسن ما قال بعض الزهاد: "أعربنا في كلامنا فما لحن، ولحنا في كلامنا فما أعرب".

## التوقيع والإيجاز

يقال: وقعت في الشيء أوقع توقيعاً وكتاب موقع فيه ورجل موقع فإذا أمرت قلت: وقع فيه. وحقه في اللغة التأثير القليل الخفيف، يقال: دف هذه الناقة موقع إذا أثرت فيه حبال الأحمال - والدف الجنب - تأثيراً خفيفاً.

وحكى العتيبي أن أعرابية قالت لخل لها: حديثك ترويع وزيارتك توقيع. وقال جعفر بن يحيى لكتابه "إن استطعتم أن تكون كتبكم كالتوقيعات فافعلوا". يريد بذلك حضهم على الإيجاز والاختصار.

وحدثني أحمد بن إسماعيل قال: حدثني أحمد بن محمد بن إسماعيل بن صبيح قال: كان أبو سلمة يوقع في الكتب: "أمنت بالله وحده". فخرجت لأبي الفائف الكوفي صلة بكتاب من السفاح فجاء يناشد أبا سلمة وقد تأخر تعليمه فيه:

## قل للوزير: أراه الإله في الحق رشده

لآل أحمد جهده

البازل النصح طوعاً

وحمله ثم رده

أطلت حبس كتابي

أمنت بالله وحده

يا واحد الناس وقع

يقال أوجز في كلامه وكتابه وفعاله يوجز إيجازاً إذا أسرع وخفف. وموت وجيز وحي سريع. ورجل موجز إذا كان يفعل ذلك. ووجز الكلام بنفسه يجز وجزاً. قال رؤبة:

ها وجز معروفك بالرماق

## التعليم في الكتاب

يقال: علمت في الكتاب أعلم تعليماً إذا وقعت فيه خطأ تعرفه به ويعرفه غيرك. ولا تقل أعلمت فيه. ولا أعلمت عليه. ولا تعلمت فيه. ومن العرب من يقول: أعلم كذا وتعلم كذا بمعنى. وقال:

**تعلم أن سر الناس حي تتادي في شعارهم يسار**

فتعلم بمعنى أعلم.

### الإملاء

يقال: أمليت الكتاب وأملت. وقد نزل القرآن باللغتين جميعاً قال الله عز وجل: "وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه". وقال جل وعلا: "فليملل وليه بالعدل". وقال الهذلي:

**وإني كما قال: تملي الكتاب ب في الرق أو خطه الكاتب**

وأصله في اللغة من الإطالة. ومنه الملوأ الليل والنهار. ومنه: "إنما عملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين". وإنما أحرهم الله ليتوبوا فلما كان تأخيرهم سبب إثمهم وآلته آل أمرهم بسبب التأخير والإملاء إلى الإثم. وكما قال عز وجل: "فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً". وهم لم يلتقطوه لذلك ولكن لما آل أمره إلى أن كان لهم عدواً نسب الالتقاط إلى المال. وأنشد التنوخي:

**وكان لنا قيذان قد أمليا لنا وفي الدهر والأيام للمرء زاجر**

### طي الكتاب ودرجه

يقال طوى الكتاب يطويه طياً وطيبة واحدة وطواه طية فقال ذو الرمة:

**من دمنة نسفت الصبا كدرا كما تنتشر بعد الطية الكتب**

ومضى لطيته إذا سافر. وقالوا: الطية البعد، وهو عند بعضهم من طي المنازل. وقد قيل: إن طياً سمي بطيه للمنازل، وهذا خطأ عند أكثرهم، يقولون: فمن أين جاءت هذه الهمزة؟ وأصله من الطي. والمحققون في اللغة يقولون: كان كثير القرى وطي المترل فسمي بهذا. فعلى هذا طي الكتاب سرعة إدراجه. وكذلك أدرج الكتاب معناه أسرع طيه فدرجه إدراجاً. وقال أبو عبيدة: مدرجة الطريق التي يسرع الناس فيها. وناقدة دروج سريعة. ورجع فلان على أدراجه إذا رجع في الطريق الذي جاء فيه. وسالت أبا تذكوان عن هذه اللفظة فقال: حقيقتها أن الكتاب إذا أدرج فهو على مطا، فإذا نشر رجعت تلك المطاوي إلى ما كانت عليه. وقال ابن حذاق في أدرج:

وأدرجوني كأني طي مخراق

وغسلوني وما غسلت من ثقل

والمشق في اللغة تأثير الشيء بسرعة. قال ذو الرمة:

كأنه الأجر في الإقبال يحتسب

فكر يمشق طعناً في جواشنها

وكثر ذلك في كلامهم حتى صار كل مستلب شيئاً قد مشقه. قال الأخطل:

في كل معترك وكل مغار

والخيل تمشق عنهم أسلابهم

وقالوا: درج يدرج درجاً بمعنى أدرج وليست بالجيدة وكله من الإسراع، ومنه درج الرجل إذا مات ولا نسل له.

يقال: طمست الكتاب أطمسه طمساً إذا عميت خطه حتى لا يقرأ. وقيل: طمس وطمس بمعنى واحد، كما قيل جبد وجذب. وطمس الله بصره إذا أذهب نوره وأخفاه. قال القطامي:

في بلدة طامسة أعلامها

وليلة قد بت ما أناملها

وقوله عز وجل: "من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أديبارها". قال المفسرون: نجعلها كأقفائها منتبهاً للشعر مثل وجوه القردة، وقد نجعل وجوههم إلى ظهورهم مكان القفا. وطمست الأثر محوته، عن أبي زيد والأصمعي. وطمس الكتاب وطمسه أيضاً محاه. والطمسة السواد. وبعض أهل اللغة يقولون: هو لون يقارب السواد. وأكثر ما يوصف بالطمسة الذئب، يقولون: ذئب أطمس. والرياح الطوامس التي تذهب معالم المنازل تطمسها. ويقال: درس ما في الكتاب يدرس، إذا خفي شيء بعد شيء، حتى يذهب أثره، ومنه درس البعير إذا جرب كأنه يلي بعض جربه بعضاً. وثوب درس أي مخلوق لأنه يخلق حالاً بعد حال وشيء في أثر شيء. واختاروا في تعفي الأثر وفي الجرب درس دروساً وفي الثلاثة درس درساً.

### درس الكتاب وسرده

درس الكتاب والقرآن يدرسه درساً إذا قرأه قراءة متصلة بعضها ببعض أو في أثر بعض. وقرأ ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبو عمرو وأهل المدينة: "وليقلوا درست"، قال المفسرون: يقولوا تعلمت ذلك من اليهود ودرسته معهم. وقرئ درست، يريد دارستهم ذلك. وقرأ الحسن درست أي أحلقت، يقولون: هذا الذي تأتي به قد جاء غيرك بمثله وهذا من الدروس لا من الدرس. وقال التوجي: درس الشيء إذا أكثر قراءته وتردد فيه ومنه طريق مدروس تدرسه الناس كثيراً. وكذلك سرد الكتاب يسرده سرداً شبيه بقوله درسه درساً، ودرع مسرودة بعضها يتلو بعضاً حتى تتم. قال أبو ذؤيب الهذلي:

## وعليهما مسرودتان قضاهما

## داود أو صنع السوابغ تبع

يعني درعين منسوجتين وقضاهما عملهما. وقال المفسرون في قوله عز وجل: "وقدر في السرد" أي في نسج الحلق ونظمه. وقال مسرودة مسمورة بالحلق.

## الخاتم وسببه وما قيل فيه

حدثنا إبراهيم بن عبد الله اللحي قال: حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد عن المغيرة بن زياد عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتماً من ذهب فلبسه ثلاثة أيام ففشت خواتيم الذهب في أصحابه، فرمى به واتخذ خاتماً من ورق نقش عليه: "محمد رسول الله" فكان في يده صلى الله عليه وسلم حتى مات. وفي يد أبي بكر حتى مات وفي يد عمر حتى مات، وفي يد عثمان ست سنين، فلما كثرت عليه الكتب دفعه إلى رجل من الأنصار ليختم به فأتى قليلاً لعثمان رحمه الله فسقط الخاتم في القليب فالتمسوه فلم يجدوه، فاتخذ خاتماً من ورق ونقش عليه "محمد رسول الله".

ولم يتخذ صلى الله عليه وسلم الخاتم حتى احتاج إلى مكاتبة الملوك، منصرفه من الحديبية سنة ست فقبل له: إن الملوك لا تقبل الكتاب إلا أن يكون محتوماً، فاتخذ خاتماً من فضة ونقش عليه: "محمد رسول الله" محمد سطر، ورسول سطر، والله سطر.

وحدثنا محمد بن أبي قريش، قال: حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري قال: حدثنا حميد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى ملك الروم "فكتب ملك الروم" لا نقبل كتاباً إلا محتوماً فاتخذ خاتماً ونقش عليه محمد رسول الله محمد سطر وسول سطر والله سطر.

ويقال: ختمت الكتاب بغير ألف، ولا يقال: اختمت، فإذا أمرت قلت اختتم كتابك وهو الخاتم والخاتم والخاتام والخيتام وجمعه خياتيم. وختم فهو خاتم مثل ضرب فهو ضارب. ويجمع خاتم وخواتم وخواتيم. وختمت الكتاب ختماً وختاماً ويجمعونه ختم.

وختمت الكتاب وطبعته بمعنى قطعته بآخر العمل فيه. ومنه "الأعمال بخواتيمها" أي بأواخرها التي ينقطع العمل بها. وفلان خاتم القوم وخاتمهم أي آخرهم.

وقيل: الختم الحظر وقد حكى عن أعرابي أنه قال: ختمت على العيون أن تراها، يريد امرأة، المعنى حضرت. "وختامه مسك" قال المفسرون: مقطعه يوجد معه رائحة المسك. واختم أمرك بكذا أي اقطع به. ويروى عن ابن عباس أنه قال: كل كتاب غير محتوم فهو ألقف.

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله يوصي بالختم: "طينه خبر من طنه". وفسروا قول الله عز وجل: "إني

ألقي إلي كتاب كريم"، أي محتوم.

والذي عليه الكتاب الحذاق أن الرئيس والنظير يختم رقاعه وتوقيعاته إن شاء وأن من دونهم لا يختم، وإن ختم وهو دون الرئيس والنظير، لزمه إثبات اسمه على جانب كتابه الأيسر تضاؤلاً وتواضعاً. وكتب بعض الكتاب إلى رئيس له: أنت - أيدك الله - تختم رقاعك لأنها مطايا بر، ولا أختم رقاعي فما حوامل شكر. وأحسن ما ختم به الرؤساء كتبهم ما عليه اسم الرئيس واسم أبيه.

وقال بعض الكتاب: الوزارة الختم والخاتم، لأن سائر الأعمال يباشرها بعض الكفاة إلا الختم فإنه لا بد أن ينتهي الكتب إلى الوزير وتعرض عليه فيختمها بخاتم الملك.

وقال إبراهيم بن العباس الصولي: الكتب موات ما لم يوقع فيها توقيع الختم وتختم، فإذا فعل ذلك بها عاشت. وقال عمر بن مسعدة: الخط صور الكتب ترد إليها أرواحها.

وكان محمد بن عبد الملك الزيات، إذا أراد أن يختم الكتب دعا بدرج فيه الخاتم، فإذا جيء به وهو خاتم الملك، قام قائماً فأخذه إجلالاً له ثم جلس فأخرجه وختم به ورده إلى الدرج وختم عليه. وكانت بعض الكتاب في أن الختم والتوقيع إلى الرؤساء:

حتام لا أنفك حارس سلبه  
أدعى فأسمع مدعناً وأطيع  
يتداول الناس الرياسة بينهم  
وأروم حظهم فلا أستطيع  
وأكلف العبد التقليل وإنما  
يبلى به الأتباع لا المتبوع  
وعليهم الأتقال يحتملونها  
وعلى الرئيس الختم والتوقيع

فقال آخر:

يا أيها الملك المنفذ أمره شرقاً  
وغرباً

امنن بختم صحيفتي  
ما دام هذا الطين رطبا  
واعلم بأن جفافه  
مما يعيد السهل صعبا

وقال آخر:

قل للخليفة إن الله سربله  
سربال ملك به تمضي الخواتيم

وقال آخر في الخواتم:

أناس أبو العاصي أبوهم توارثوا  
خلافة مهدي وخير الخواتم

وقال آخر في الخاتام:

لو كان عندي مائتا درهم

لجاز في أرضهم خاتامي

وفال أعرابي:

يا مي ذات المعجر المنشق

أخذت خاتامي بغير حق

وحدثني عمرو بن تركي القاضي قال: حدثنا القحذمي قال: كان على خاتم البريد للأسرة صورة ذباب، يريدون بذلك أن لا يحجب كما أن الذباب لا يمكن أحداً أن يحجبه. قال: وكانت الخواتم في خزائن الملوك لا تدفعها إلى الوزراء، فأطرد الأمر على ذلك حتى ملك بنو أمية، وأفرد معاوية ديوان الخاتم، وولاه عبيد بن أوس الغساني وسلم الخاتم إليه، وكان على فسه "لكل عمل ثواب". وكان سبب ذلك أنه كتب لعمرو بن الزبير إلى بعض عماله بمائة ألف درهم ففرق عمرو الهاء وجعلها ياء وأخذ مائتي ألف درهم، فلما مرت بمعاوية ذكر أنه لم يصله إلا بمائة الف درهم، فأحضر العامل الكتاب فوقف معاوية على الأمر فاتخذ ديوان الخاتم.

### العنوان

يقال عنوان الكتاب وعنوانته وهي اللغة الفصيحة. وبعضهم يقول: علونت فيقلب النون لأمماً لقرب مخرجهما من الفم، لأنهما يخرجان من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا. وقد قيل: العنوان فعوال من العلانية لأنك أعلنت به أمر الكتاب وممن هو وإلى من هو. وسمعت أحمد بن يحيى يقول: أعلن أمرنا علوناً وعلناً.

والعنوان العلامة كأنك علمته حتى عرف بذكر من كتبه ومن كتب إليه. قال حسان بن ثابت يرثي عثمان بن عفان رضي الله عنه:

ضحوا بأشمط عنوان السجود به

يقطع الليل تسبيحاً وقرآناً

وقال المأمون لرجل رآه في موكبه فلم يعرفه، وكان حسيماً: ما هذه الجسامة؟ قال: "عنوان نعمة الله ونعمتك يا أمير المؤمنين".

ويروى أن معاوية قال لبعض العرب مثل ذلك، فأجيب بهذا الجواب.

وأول من كتب "من عبد الله فلان أمير المؤمنين". كان يقال لأبي بكر رضي الله عنه وهو أول من سمي "أمير المؤمنين". كان يقال لأبي بكر رضي الله عنه "خليفة رسول الله"، ثم قيل لعمر: "خليفة رسول الله"، فدخل المغيرة بن شعبة على عمر فقال: "السلام عليك يا أمير المؤمنين"، قال عمر: وما هذه؟ قال: ألسنا

المؤمنين وأنت أميرنا؟ فكان أخف من الأول فجزوا عليه.  
 وكانوا يكتبون في العنوان "بسم الله الرحمن الرحيم" مثل ذكر من كاتب ثم ترك.  
 قالوا: والأحسن في عنوان الكتاب إلي الرئيس، أن يعظم الخط ويفخمه، إذا ذكرت كنيته أو نسبه إلى شيء، وأن تلتطف الخط في اسمك واسم أبيك وتجمعه. وقال المحققون من الكتبة: إن في ذلك إخلالاً للمكتوب له وفي مخالفته غض منه وتناول عليه. وإن كانت آخر الكلمة ياء مثلاً، كأبي علي وأبي عيسى وأبي يحيى وأبي يعلى، غرقت الياء إلى قدام، ولم تردها إلى خلف، فقد حكي في ذلك شيء مليح.  
 حدثني أبو المرزبان قال: قال لي محمد بن يزيد الأموي الشاعر: استحسنت من عيسى بن فرخان شاه شيئاً، رأى كاتباً له قد كتب اسمه عيسى، فرد الياء إلى خلف عيسى، فقال: قولوا لهذا الكاتب لا تعد لمثل هذا، فإن أيسر ما فيه أن الياء إذا كانت إلى قدام كان ذلك فألاً للإقبال، وفي ردها فألاً للإدبار، وقالوا: مع هذا فهو أهي للخط وأفسح للشكل.

ويعنون إلى الأمير بالإسم والتأشير، بغير دعاء ولا كنية اكتفاءً بجمالة التأشير، والإسم مع التأشير أجل من الكنية لأنه أشبه بمكاتبة الخلفاء لأنهم يقولون في التصدير للإمام "العبد الله فلان الإمام أمير المؤمنين"، ولا يأتون بكنية فكذلك شبهوا هذا به، فكان الإسم مع التأشير أجل من الكنية. ثم يكتبون في التصدير للإمام "العبد الله فلان الإمام أمير المؤمنين". ولولي العهد للأمير أبي فلان فلان بن فلان، كناه الإمام أو لم يكنه فرقواً بينه وبين الإمام.

وقد يذكر الإمام في سكة الضرب باسمه، ويذكرون ولي العهد بكنيته كما ذكرت لك. وقولهم لأبي فلان حقيقتها إلى أبي فلان، والأصل من فلان إلى فلان، فلما قدم ذكر المكتوب إليه أقاموا اللام مقام إلى بن وقد قال الله عز وجل: "بأن ربك أوحى لها" أي أوحى إليها. وحروف الحذف ينقل بعضها من بعض قال الله عز وجل: "ولأصلينكم في جذوع النخل" أي على جذوع النخل.  
 وقال الشاعر:

**إذا رضيت علي بنو قشير**      **لعمرك الله أعجبتني رضاها**

وهذا كثير جداً. وقال بعض الكتاب: اللام لمخاطبة الجليل، وإلى مخاطبة الأذن فالأجل يكتب من فلان بن فلان إلى فلان بن فلان، والنظراء ومن دون يكتبون لأبي فلان من فلان.  
 وقد عنون أحمد بن يوسف كتابه بشعر، فكتب إلى طاهر بن الحسين:

**للأمير المهذب**      **المكنى بطيب**

**ذي اليمنين طاهر بن الحسين بن مصعب**



وكتب عقال بن شيبه إلى المسيب بن زهير الصبي:

من عقال بن شيبه بن عقال

للأمير المسيب بن زهير

وكتب آخر إلى نصر بن حمزة الخزاعي:

من فتى قائم بحمد وشكر

لأبي القاسم بن حمزة نصر

وكتب إليه ابن الحباب:

المرجى لدفع ريب الزمان

لأبي الفضل شيبه الغسان

ل على حين جفوة الإخوان

من أخ لم يزل يجد له الوص

وعنون أبو نواس كتاباً له:

أملاه قلبي على لساني

هذا كتاب بدمع عيني

أجل ذكر اسمه لساني

إلى حبيب كنيبت عنه

حدثنا البيهقي قال: كتب أحمد بن إسماعيل إلى عرام، وهو بالكوفة مع مولاه كتاباً عنوانه:

ونفس الصب مشغوفه

دموع العين مذروفه

ذي يطلع بالكوفه

من المشوق إلى البدر ال

وحدثني أحمد بن محمد الأسدي، قال: كتب رجل إلى المهدي كتاباً عنوانه "عبده فلان"، فقال: لا أعلمن أحداً نسب نفسه إلى عبودة في كتاب أو عنوان، فإنه ملق كاذب وليس يقبله إلا غبي أو متكبر. وحدثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر، قال: رأى طاهر بن الحسين رقعة، كتبها ابنه عبد الله بن طاهر إلى المأمون، عليها "عبده" فقال: يا بني سميتك عبد الله وكذلك أنت، فلا تشركن في الملك أحداً، فإنه جعلك بإنعامه حراً لا مولى لك سواه.

وقال إبراهيم بن الحسن بن سهل يرثي أخاه:

فمت فاختلفت أصول الكرام

قد كنت عنوان كرام مضوا

وحدثنا أبو ذكوان عن التنوخي، قال: يقال: عنوان الكتاب وعينانه وعلوانه. والعنوان الأثر الذي يعرف به الشيء. وتقول العرب: ما عنوان بعيرك؟ أي ما أثره الذي يعرف به. وتقول علونت الكتاب أعلونه علونة وعلواناً، فإذا أمرت قلت: علون يا معلون، وعنوته عنونة وعنواناً، فإذا أمرت قلت: عنون يا وعنون. ومن قال: عنيت الكتاب قال: عنن. ومن قال: عنيت الكتاب أبدل مكان إحدى النونان ياء، فقال: عنن يا معني مثل عنن يا معني.

قال أبو بكر: حدثنا أحمد حدثنا أحمد بن يحيى قال: كتب رجل إلى الزبير بن بكار يستجفيه فكتب إليه الزبير:

ما غير الدهر وداً كنت تعرفه  
ولا حمدت وفاء من أخي ثقة  
ولا تبدلت بعد الذكر نسيانا  
إلا جعلتك فوق الحمد عنوانا

### المقادير التي يكتب فيها من القراطيس

قال أبو بكر: سمعت أحمد بن إسماعيل بن الخصيب الكاتب يقول: الأئمة يوقعون في السجلات، ويكتب الإمام في الثلثين من الطومار إلى ملوك الملك وإلى عماله، ويكتب عماله إليه في مثل ذلك، ويكتبه وزيره في النصف في أمور العامة الديوانية. فأما الخاص الذي يكتبه بخطه، أو يكتب بين يديه بإملائه، ففي خمسين، ويكتبونه في مثل ذلك في الخاص والعام، إلا من كان منهم في أدنى الطبقات، فإنه لا يكتب إلا في النصف في الحالتين جميعاً. وتكتب الأكفاء في الأثلاث والأرباع وتحمل المودة بينهم كل شيء حملته من التسمح في ذلك، والأسداس للتوقيعات. وقال بعض الكتاب:

أنت لما ابتدأت تكتب في الآن  
وعلما بأن مثلك لا يج  
صاف خفنا من قلة الإنصاف  
مع بين الإنصاف والأنصاف  
وقال آخر وكتب إليه في سدس:  
تكاتبني بالسدس جهلاً بقدره  
إذا ما التعاويذي فارق رسمه  
لئن كان في التعريف يكتب بالأمس  
فليس بمأمون التغيير والنكس  
ولو لا حنين هاجه مثل سائق  
إلى الخط في التعويد لم يعن بالسدس  
إذا صح حس المرء صح قياسه  
وليس يصح العقل من فاسد الحس  
واحتج آخر في أن كتب في ظهر فقال:  
كتبت إليك في ظهر لعلمي  
فقلبه ابن الرومي فقال:  
عشقتك الغلمان ما أم  
كنك النسوان أفن

## إنما يكتب في الظه

## ر إذا أعوز بطن

وقد كره الناس الظهور، وأمر بترك استعمالها في النسخ وإنشائها، فكيف في المكاتبه. وقيل هي تفسد النيات، وتذيع الأسرار بما في باطنها، وتشعث الخطوط، وتغض من سمو الدولة، وتحقر من قدر المعنى أكثر مما بقدر منها من الارتفاق والقيمة بينها وبين النقي. وأكثر ما يكون إنصاف كتب مقطوعة، وإذا كانت كذلك كانت جنونا، ولهذا قال أبو تمام:

### عذل شبيهه بالجنون كأنما

### قرأت به الورهاء سطر كتاب

واعتذر آخر من كتابته في الظهر فقال:

### إن كتابي لك في الظهر

### يخبر أنني ظاهر الفقر

### فاعذر بنفسي أنت من سيد

### فالعذر أولى بالفتى الحر

### واعلم وإن كنت الذي علمه

### يفوق علم البدو والحضر

### إن الغنى يصلح دين الفتى

### والفقر سواق إلى الكفر

## الدعاء في المكاتبه وترتيبه والزيادة والنقص فيه

قال أبو بكر: اختار مشائخ الكتاب، أن تكون كتب الوزراء النافذة عن الخلفاء بغير تاء المخاطب، ولا نون الجمع، فيقول عنه: "فعلت كذا أو فعلنا كذا" بل يقول في كتبه عنه وتوقيعاته "فعل أمير المؤمنين كذا فامتثل ما أمر به أمير المؤمنين" وقد ذكرنا في التكتاب ما يعني عن إعادته. ويكاتب الوزير الناس على مقاديرهم ورتبهم في السيف والقلم ومنازلهم، فدعاؤه لأمرء الأقاليم الكثيرة، المجموع لهم حربها وخراجها وسائر أعمالها كدعاء النظير إذا نقص قليلاً في صدور كتبه ويختمها بمثل ذلك ولا بأس عندهم إن ذكر فيها تفدية. فأما دعاؤه له فاخترها أن يكون بغير التصدير وبالوزارة على حسب قوة أمرهم وتعززهم ومواقعهم من حسن رأي إمامهم. ومنهم من يدعو بالتوزير راعياً وراهباً.

وكان عبيد الله بن سليمان نقص خمارويه بن طولون في دعائه، فرد عليه مثله. فأجابه عبيد الله بتمام الدعاء وأحال بالذنب على كاتبه.

وكان القاسم بن عبيد الله - لما استوزر مكان أبيه - يكاتب الأمير بعد بالتأشير والدعاء التام، فيكاتبه بعد بالتوزير ويتمم الدعاء له.

ومن الوزراء من يدعو لبعض هؤلاء: "أطال الله بقاءك"، أو "أدام عزك"، ومنهم: "أدام الله عزك وأطال بقاءك". فأما من دون هؤلاء فيكاتبتهم: "أعزك الله وأمد في عمرك". وإلى من دون هؤلاء: "مد الله في عمرك وأكرمك وأبقاك" وإلى من دون هؤلاء: "وأبقاك الله وحفظك". قال: وأول من كتب: "عافانا الله وإياك من السوء" معاوية. وكتب عبد الحميد إلى صديق له: "جعلت فداك من السوء كله". وحدثني أبو القاسم إسماعيل المحاملي قال: حدثنا أبو العيلاء قال: كتبت إلى صديق لي: "جعلت فداك من السوء كله"، فلقيني بعد ذلك فقال لي: أنا أستفيد منك أبداً لا عدمت ذلك، وقد كتبت إلي: "جعلت فداك من السوء كله". فلقيني بعد ذلك فقال لي: أنا أستفيد منك أبداً لا عدمت ذلك، وقد كتبت إلي: "جعلت فداك من السوء كله"، أعزك الله ما السوء كله؟ قال: فعجبت وضحكت وقلت: نلتقي بعد هذا وتقع الفوائد.

ولا يتسمى الوزير ولا يتكئ على عنوان كتابه إلى أمثال هؤلاء، ولكن يجعل العلوان: "لأي فلان" في أحد سطره، وفي السطر الآخر: "فلان بن فلان".

وقال طاهر بن الحسين - وهو يحارب الأمين، وكان أبو عيسى بن الرشيد معه - لكتابه: اكتبوا إلى أبي عيسى كتاباً تقرّبون به إليه وتتباعدون، ولا تطعموه ولا تؤيسوه. فقلوا: إن رأى الأمير أن يعلمنا كيف ذلك ويحد لنا. فقال اكتبوه: بسم الله الرحمن الرحيم.

حفظك الله وأبقاك وأمتع بك، وعزيز علي أن أكتب إلى صغير منكم أو كبير بغير التأمير، وقد بلغني عنك ممالأة للمخلوع! فإن كان ذلك منك ميلاً على أمير المؤمنين فقليل ما أكاتبتك به كثيراً، وإن كنت كما قال الله: "إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان" فالسلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته. وقال بعض الكتاب: ما أدري ما معنى المصارفة في تقديم إطالة البقاء في "أطال الله بقاءك وأعزك"، وتأخيرها في "أعزك الله وأطال بقاءك" الأفضل التقديم والتأخير في أنفسهم، وإلا فالعطف بالواو، وهي تجيء للاشتراك فيدخل الثاني من الدعاء في معنى الأول، وقد قدم الله عز وجل، لما كان العطف بالواو مؤخراً على مقدم، فقال: "واسجدي واركعي مع الراكعين"، وقال: "يا معشر الجن والإنس...". وعلى أن المؤخر قد قدم، وأخر المقدم بغير الواو من حروف العطف، قال الله عز وجل: "أذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون"، قالوا: وإذا تولى لم يعرف شيئاً والمعنى مقدم ومؤخر كأنه فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم. وقال عز وجل: "من بعد وصية يوصى بها أو دين" والدين قبل الوصية، وهذا كثير في الشعر واللغة، قال: فلم تستن الكتاب بذلك، وصارت التقديمة لحرف على حرف تزول، إذ قدم الثاني من اللفظ على الأول.

وقال بعضهم: لا أعرف الصنف بين "أطال الله بقاءك" وبين "مد الله في عمرك" إلا ما رتبوه واستعملوه ورسموه. ومن يصارف في القليل من هذا ويشح عليه أكثر.

وكان أحمد بن ثوبان أشد الناس في هذا، كتب إليه ابن أبي خالد رقعة يؤانسها فيها ذكر أولادهما فقال: "ولو كانوا بني وبنيتك". فقال: يقدم ذكر بنيتك على بني لا كاتبتك أبداً.

واجتنبوا أن يقولوا للوزير في الدعاء "جعلني الله فداءك" من أجل أن الشيء إنما يفدى بمثله أو بأجل منه، وليسوا كذلك. وفي هذا الذي ذهبوا إليه خير مريح اعترضني حدثنا به أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب قال: حدثني عبد الله بن شبيب قال: كتب إلي بعض إخواني من البصرة وقد تأخير عنه كتاباً أوجز فيه وملح: أطال اله بقاءك كما أطال جفاك، وجعلني فداك إن كان في فداؤك، وقال:

**كنتت ولو قدرت هوى وشوقاً** **إليك لكنت سطرأ في الكتاب**

قال محمد بن يحيى الصولي: والبيت لأبي تمام.

وكتب آخر إلى أحمد وإبراهيم ابني المدبر، وقد نالتهما محنة وردفتهما نعمة: بسم الله الرحمن الرحيم: لو قبلت عنكما، أو دانيت قدركما، لقلت: جعلني الله فداءً لكما. ولكني لا أجزي عنكما، ولا أقتل بكما. وقد بلغني المحنة التي لو مات إنسان بها لكنته، ثم اتصلت بي النعمة التي لو طال إنسان فرحاً بها لكنته. وتحت هذه:

**وليس بتزويق اللسان وصوغه** **ولكنه قد خالط اللحم والدماء**

حدثنا بذلك إبراهيم بن المدبر، وهذا رأي لم يكن القدماء يرونه، بل كانوا يخاطبون الخلفاء بالتفدية فضلاً عن الوزراء.

وحدثني محمد بن يزيد المبرد قال: سأل المأمون أبا محمد يحيى بن المبارك عن شيء فقال له: "لا، وجعلني الله فداءك يا أمير المؤمنين"، فقال: لله درك ما وضعت واواً قط موضعاً أحسن من موضعها في لفظك. ووصله وحمله.

قال: وهذا لفضل أدب المأمون، علم أن الفدية من أخلص الدعاء، والطف التوسل، وأن غاية موجود الإنسان، وأنفس ذخائره نفسه، جلت أم قلت. وقد قرئ في الكتاب خير الأولين والآخرين، وأجلهم قدراً، وأعظمهم خطراً، محمد صلى الله عليه وسلم قال له بن ثابت في جوابه لأبي سفيان بن حرب:

**هجوت محمداً فأجبت عنه** **وعند الله في ذاك الجزاء**

**أتهجوه ولست له بند** **فشركما لخيركما الفداء**

**فإن أبي ووالده وعرضي** **لعرض محمد منكم وفاء**

وقد اختار الكتاب أن يسقطوه من مكاتبة القضاة هذا الدعاء، وذهبوا إلى انه ليس من أبواب حقيقة الجدل. وقال قمامة كاتب عبد الملك بن صالح: يجب أن يوفر التأييد على أصحاب السيوف دون القضاة، لأنهم أولى بأن يدعى لهم بالقوة. قال له عمرو بن مسعدة: القضاء إلى التأييد في أحكامهم أخرج، لأنها في الدماء تمضي وفي الفروج والأموال.

وكتب ابن ثوبة إلى عبيد الله بن سليمان يعتذر إليه من تركه مكاتبته بالنقدية: "الله يعلم - وكفى به عليماً - لقد أردت مكاتبتك بالتنفدية فرأيت هيباً أن أفديك بنفس لا بد لها من الفناء، ولا سبيل لها إلى البقاء. ومن أظهر لك شيئاً يضمخ خلافه فقد غش وألام، إذ كانت الضرورة توجبه، وتحقق أنه ملق لا يتحقق، وعطاء لا يتحصل؛ وإن كان عند قوم نهاية من نهايات التعظيم، ودليلاً من دلالات الاجتهاد وطريقاً من طرق التقرب".

وكتب ابن القرية إلى بعض أصحابه، وذكر نفسه فقال: "وجعلها فداءك طيبة لك بذلك". وما أحسن كتاباً كتبه أحمد إسماعيل إلى بعض الكتاب، وقد نال رتبة فنقص إخوانه في الدعاء: "الكبير أعزك الله معرض يستوي فيه النبيه ذكراً، والخامل قدراً. ليس أمامه حجاب يمنعه، ولا حاجز يحظره. والناس اشد تحفظاً على الرئيس المحظوظ، وأكثر اجتلاءً لأفعاله، وتتبعاً لمعائبه، وتصفحاً لأخلاقه، وتنفيراً عن خصاله؛ منهم عن حامل لا يعبأ به، وساقط لا يكثرث به. فيسير عيب الجليل يقدر فيه، وصغير الذنب يكبر منه، وقليل الذم يسرع إليه. والحال التي جردها الله لك، وإن كنت أراها دون حقاك، وناقصة عن همتك، وأرضاً عند سمائك؛ حال الحاسد عليها كثير، وآمال المنافسين إليها تسير. والمودة تقتضي النصيحة، والمقة تدعو إلى صدق المشورة. وليس يجرس النعمة ويجوطها، ويجسم الأطماع ويصرفها، ويستجيب القلوب النافرة ويطلقها؛ إلا ترك ما أراك تستعمله في ترتيب المكاتبة، وتمييز المخاطبة، والمحاضرة في الفاظ الدعاء، والبخل بيسير الشناء. وتطبيق إخوانك فليس من حقاك أن تحطهم حال رفعتك، وأن تنقصهم دولة زادتك. كما ليس من حقاك عليهم أن يغالطوك فيمسكوا عن خطابك، ويتحاموا عن عتابك".

### تحرير الكتاب

قال أبو بكر تحرير الكتاب خلوصه كأنه خلص من النسخ التي حرر عليها: وصفا عن كدرها. وقال الله تعالى: "إني نذرت لك ما في بطني محرراً"، قال المفسرون: جميعاً خالصاً لبيت المقدس لا تشغله بغير خدمته، وحررت الغلام جعلته حراً بين الحرية والحرار. قال الشاعر:

### فما رد تزويج عليه شهادة

### ولا رد من بعد الحرار عتيق

قد صار الغلام حراً خالص من العبودية. ورجل حر خالص من العبودية. ورجل حر خالص من العيوب. وطين حر خالص من الحمأة والرمل.

وسأل أعرابي فقال: "أما تتفضل على حر كريم الحرورية، أو مولى كريم المولوية، أو عبد كريم العبودية".

وقال بعض الكتاب: ليس الكتاب كل وقت على غير نسخة، ويحرر بصواب، وكل أوان، لأنه ليس أحد أولى بالأناة والروية وتوقي الاغترار، من كاتب يعرض عقله وينشر بلاغته، فينبغي له أن يعمل النسخ ويحمرها، ويقبل عفوَ القريحة ولا يستكرهها، ويعمل على أن جميع الناس له أعداء علماء بكتابه متفرغون له، منتقدون عليه.

وقال آخر: إن الابتداء بنظم الكلام ونثره فتنة تروق، وحده تعجب. فإذا سكتت القريحة، وعدل التأمل، وصفت النفس، فليعد النظر، وليكن فرحه بإحسانه مساوياً لغمه بإساءته فقد قال الخوارج لعبد الله بن وهب الراسبي: نبايعك الساعة فقد رأينا ذاك. فقال: "دعوا الرأي يبلغ أناه، ولا خير في الرأي الفطير". وقال معاوية لعبد الله بن جعفر: ما عندك في كذا؟ فقال: أريد أن أصقل عقلي بنومة القائلة، ثم أروح فأقول بعد تأملي بما عندي. وقال الشاعر:

### إن الحديث يقف القوم خلوته

### حتى يعبره بالسبق مضمار

### فعند ذلك تستعلي بلاغته

### أو يستمر به عي وإكثار

وكان قلم ابن المقفع يقف كثيراً فليل له في ذلك فقال: "عن الكلام يزدحم في صدري فيقف قلبي لتحيه".

والكتاب يتصفح أكثر من الخطاب لأن الكاتب والمخاطب مشافه مضطر، ومن يرد عليه كتابك ليس يعلم أسرع فيه أم أبطأت، وإنما ينظر أصبت أم أخطأت، أو أحسنت أم أسأت؟ فإبطائك غير قاذح في إصابتك، كما أن إسراعك غير معيب على غلطك.

ووصف بعض الكتاب النسخ فقال: ينبغي أن يصحبها الفكر إلى استقرارها، ثم تحرر على ثقة تصحبها، وتتأمل بعد التحرير من أولها إلى آخرها. فقد كتب للمأمون مصحف اجتمع عليه عليه، فكتب: بسم الله الرحيم وأغفل الرحمن فإن العين لم تعتبر ذلك حتى فطن هو.

وقال محمد بن عبد الملك للحسن بن وهب: حرر هذه النسخة وبكر بها فتصبح بها. فقال له محمد: قد

كانت النسخة تامة فلم تصبحت. فقال: حتى تصفحت.

وحدثني أحمد بن إسماعيل قال: كان بعض الأغبياء ينظر في نسخة بعد نفوذ الكتاب فقبل له:

مستلب اللب معنى الشباب  
عذبه الهجر أشد العذاب  
يؤمل الصبر وأنى له  
به وقد مكن منه التصاب  
كناظر في نسخة بيتغي  
صلاحها بعد نفوذ الكتاب

قال بعض الكتاب: كانوا يسمون المحرر الإمام لأنه يأتي من الخط بما يؤتم. به قال: ومن هذا كتب الصبي أمامه إنما هو ما يأتى به ويتعلم عليه.

### من زيد في دعاء المكاتبة له فشكر

قال الصولي حدثنا محمد بن زياد أبو عبد الله الزيادي قال: كان العتيبي محمد بن عبيد الله صديقاً لعمرو بن عثمان القيني فكتب إليه العتيبي كتاباً فزاده في الدعاء فكتب إليه عمرو:

يا ابن الذوائب من قریش والذرى  
وسليل سادة ساكني البطحاء  
حاشا لمتلك أن يراني قائلاً  
بكرامة تزري لديه برائي  
لم ترض إذ كنييتي وبدأت بي  
حتى دعوت الله لي ببقائي  
ولو اقتصرت على التي هي قيمتي  
فيما بنتت قضية الحكماء  
لكتبت لي عمرو بن عثمان ولم  
تتبعه في العنوان حرف دعاء  
فاترك جعلت فداك إكرامي  
فالعين تصغر أن تقدمها على  
بما أخشى به عند الورى استغباني  
فالعين تصغر أن تقدمها على  
أولاد حرب السادة الكبراء  
حلوا من العز المنيع نيافة  
يحمون غيرهم ذرى العلياء

حدثني أحمد بن يحيى الأسدي قال: كتب إلي الحسين بن سعد فنقصني في الدعاء في الدعاء، فكتبت إليه: قد علمت أعزك الله أن السبب في العداوة بين محمد بن عبد الملك الزيات وإبراهيم بن العباس الصولي، أنه لما ولي وزارة المعتضد، نقص إبراهيم عما يستحقه من الدعاء، فلم تحتل ذلك نفسه ورياسته وموضعه من الصناعة والدولة، فعاتبه في ذلك فلم يعتبه، فألهب له نار هجاء لا يطفئها الدهر، وعلامة ذلك قوله في كلام منشور قد ذكره ولي هذا الأمر، فما ظن أن الرياسة تنجذب إليه، ولا أن العز يتحصل له بحط إخوانه عن منزلتهم، ونقصهم عن مرتبتهم، فبخسني في المكتابة، وأسأني في المعاملة، في كلام له طويل، ثم نظم ذلك في شعر فقال:



من رأى في الأنام مثل أخ لي

كان عوني على الزمان وخلي

رفعته حال فحاول حطي

وأبى أن يعز إلا بذلي

وكان الخطاب في أول الأمر، ثم أنحى عليه بالهجاء.

فافتقد - أعزك الله - إنصاف إخوانك وتجنب ظلمهم يصف لك غدير ودهم.

وحدثنا محمد بن العباس السلمغاني، قال: لما ولي ابن بشر المرثدي كتابة الموفق بالله نقص أحمد بن علي

المازراني في الدعاء حين كاتبه فكتب إليه:

كلما رمت أن أخلف من كا

ن أمامي خلفت عمن ورائي

انقصت الدعاء لي منك لما

زادك الله رفعة في دعائي

فلئن تم ما أراه وأصبح

ت: وزيراً لتطعمني جزائي

قال: فاعتذر إليه وزاده في الدعاء.

وكان هذا في كلام منشور لمن كان قبل المازراني: وكنت آمل لك الرفعة، ولم أدر أنها تكسييني الضعة،

وأرجو لك الثروة ولم أدر أنها تؤديني إلى الإضافة، فكان المنى طرد العنى، والدعاء سبب الثراء.

وكتب أبو حفص عمر بن أيوب إلى أبي الحسين أحمد بن محمد بن المدبر يعاتبه في أن دعا له "مد الله في

عمرك":

يا جواداً بالثنا

وبخيلاً بالعطا

إن "مد الله في عمرك" من كتب الجفا

ليس يستعمل هذا الصدر بين الأصفيا

فتفضل يا فتى الناس بتخيم الدعا

وكتب أحمد بن إسماعيل إلى صديق له نقصه في دعائه ولحن في كتابه:

وما أنا والكتاب إلى صديق

أدين من الوفاء بغير دينه

أعظمه ويحقرني وأدعو

له باللفظ يدعو لي بدونه

وينقصني ولم أنقصه حقاً

ويخشن لفظه من بعد لينه

فقام كتابه بالرد عني

لكثرة ما تضمن من لحنه

وقال أيضاً لآخر فعلبه مثل فعله:

رأيت الرياسة مقرونةً  
بلبس التكبر والنخوه  
إذا ما تقمصها معجب  
تتايه في الجهل والخلوه  
ويقعد عن حق إخوانه  
وكلهم مسرع نحوه

قالوا: وكما أن النقص عن الرتبة مذموم فكذلك طلب الزيادة مكروه، لأن من طالب من الدعاء بما فوق محله، تعرض لحطيئته من استحقاق. وإسقاط الترتيب جحد للحقوق، وإلحاق للجليل بالدقيق. قال: وأنشدني علي بن محمد بن نصر لنفسه في رجل نقصه في الدعاء:

لساني بالثناء عليك رطب  
وبالمكروه إن أحببت غضب  
أنتقصني الدعاء وذلك شيء  
على مثلي من الأحرار صعب  
فإن عاودته فأجبت عنه  
فما لك إن أسأت إلي ذنب

وكتب عبد الصمد بن المعدل إلى صديق له كتاباً فيه: "وأمتع بك" فكتب إليه عبد الصمد، وقد روي هذا لغيره:

أحلت عما عهدت من أدبك  
أم نلت ملكاً فتهدت في كتبك  
أم هل ترى أن في مكاتبتني ال  
إخواني نقصاً عليك في حسبك  
إن جعا كتاب ذي أدب  
يكون في صدره: وأمتع بك  
أتعبت كفيك في مكاتبتني  
حسبك مما يزيد في تعبك

ويروى هذا الجواب عن هذا:

كيف يحول الإخاء يا أملي  
وكل خير أنال في سببك  
إن كان ذنباً جناه ذو ثقة  
فعد بفضل عليه من أدبك  
فاعف فدتك النفوس عن رجل  
يعيش حتى الممات في كنفك

وقد يزيد الرئيس تابعه في الدعاء إذا كان مغيضاً عليه لشيء ضره أو خالفه فيه، فيجري ذلك مجرى الاستهزاء به وليس ذلك مما ذكرناه أولاً.

وكتب بعض الكتاب إلى بعض الأخلاء من إخوانه، وقد زاده في الدعاء: "علي - أعزك الله - الإعظام والهيبة في هذه الحال، إلى ما لا لم أزل عليه قبلها من الإخلاص والطاعة، وعليك أن لا يمنحك النظر إلي بعين المودة، من الأخذ مني لنفسك بحق الرياسة، ومن أطاعك لها رجاء أو هيبه فإني أطيعك لها ودأ ومحبة".

## ما يتكاتب به الناس اليوم

يكتب الإمام إلى ولي عهد المسلمين: "من عبد الله أبي فلان الإمام الراضي بالله أمير المؤمنين إلى فلان ابن فلان. سلام عليك، فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ويسأله أن يصلي على محمد وآله"، ثم يكتب بما يراد، ثم يقال: "فاعلم ذلك من رأي أمير المؤمنين، وكتب فلان ابن فلان باسم الوزير وباسم أبيه يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا".

ويكتب عن ولي العهد مثل ذلك، إلا أنه يجعل مكان أمير المؤمنين ولي عهد المسلمين. وكذلك كتب الإمام الديواني إلى الوزير.

وأما مكاتبة الوزراء، أمراء الناحية الأجلاء، المساوين والمقارنين، فهي: "أطال الله بقاءك، وأدام عزك وكرامتك، وأتم نعمته عليك، وإحسانه إليك وعندك". وربما زيدت لفظة ونقصت لفظة ودون هذا قليلاً "أطال الله بقاءك وأعزك أكرمك وأتم نعمته عليك وإحسانه إليك".

وأول من كتب: "أطال الله بقاء أمير المؤمنين وأدام عزه" سليمان بن وهب، وكان: "وأعزه". ودون هذا: "أدام الله عزك وأطال بقاءك وأدام كرامتك وأتم نعمته عليك وأدامها لك". ودون هذا: "كرمك اله وأبقاك وأتم نعمته عليك وأدامها لك". ودون ذلك هذا الدعاء بإسقاط: "وأدامها"، ودون ذلك: "حفظك الله وأبقى وأمتع بك"، ودونها: "عافان الله وإياك من السوء برحمته". فأما مكاتبات الناس إلى الإمام أو إلى ولي العهد أو إلى الوزير، فيكتب: "لعبد الله فلان بن فلان، إلى كذا أمير المؤمنين، سلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. فإني أحمد إلى أمير المؤمنين الله الذي لا إله إلا هو، وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم"، ويكون ذلك في سطرين وبعض آخر، ثم يقال: "أما بعد أطال الله بقاء أمير المؤمنين، وأدام عزه وتأييده وكرامته، وسعادته وحراسته، وأتم نعمته عليه، زاد في إحسانه إليه، بفضلته عنده وجميل بلائه لديه، وجزيل قسمه له"، ويكون في سطرين. ثم يقال بعد ذلك: "فقد كان كذا"، لأن جواب "أما بعد" بالفاء فقد كان كذا وكذا.

فإذا أتى على جميع المعاني المحتاج إلى المكاتبة فيها، فبلغ إلى الدعاء قال: "أتم الله على أمير المؤمنين نعمه وهناه وكرامته، وألبسه عفوه وعافيته، وأمنه وسلامته، والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. وكتب فلان ابن فلان يوم كذا في شهر كذا".

وإلى ولي العهد والوزير مثل ذلك، إلا أن الفرق بين الإمام وبينهما أن يكتب إلى الإمام مع السلام "وبركاته" وفي آخر الكتابة مثل ذلك، ويحذف "وبركاته" إلى هذين في التصدير ويثبت في آخر الكتاب،

وقد ذكرت لك فيما تقدم.

ويكاتب الوزير أيضاً الإمام لغير تصدير، إذا لم تكن الكتب منشأة من الدواوين. ويكاتب الوزير في الحوائج لغير تصدير، وإذا كوتب أمير أو قاض: "أطال الله بقاء الأمير أو القاضي"، لم يقل: أما بعد ولا سلام على أحدهما. ومكاتبه النظراء تحتل كل شيء على حسب المودة.

### قراءة الكتاب بعد كتبه وما جاء في ذلك.

قال محمد بن يحيى الصولي: حدثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن عتاب قال: حدثنا الحسن بن عبد العزيز الجروي قال: حدثنا عبد الله بن يحيى، قال: أخبرنا نافع بن يزيد، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن ابن سليمان بن زيد بن ثابت، عن أبيه، عن جده، قال: "كنت أكتب الوحي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يملئ علي، فإذا فرغت قال: اقرأه، فأقرؤه فإن كان فيه سقط أقامه". وقال بعض الكتاب:

واحرصه من وهم ومن سقط

المح كتابك حين تكتبه

ما أنت معصوم من الغلط

واعرضه مرتاباً لصحته

وروي عن الأوزاعي أنه قال: العجم نور الكتاب، وإذا لم يعرض الكتاب، فمثله مثل رجل دخل الخلاء فلم يستنج.

### ما جاء في رد جواب الكتاب والحض على التكاثر

قال الصولي: حدثنا أبو القاسم محول المستملي، قال: حدثنا محمد بن حميد قال: حدثنا حكام، قال: حدثنا عتبة عن العباس بن دريخ عن الشعبي عن ابن عباس قال: أرى رد الجواب - جواب الكتاب - كرد السلام.

أنشدني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر لنفسه:

تكاتب يسخن عين النوى

حق التناهي بين أهل الهوى

تزاور يشفي غليل الجوى

وفي التداني لا انقضى عمره

ونحوه لغيره:

فلا صلة بأحسن من كتاب

إذا الإخوان فاتهم التلاقي

فحق واجب رد الجواب

إذا جاء الكتاب إلى صديق

ومن مليح ما قيل في التكتاب:

ثمر على الشجر الذي لم يغرَس

هل تذكرين إلى التجاوز بيننا

لك في يدي من الفصيح الأخرس

إذ سر قلبي في يديك ومثله

ومن مليح ما قيل في استبطاء الجواب، أبيات كتبت بها في صدر قصيدة لي سيدنا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، وهو إذ ذاك أمير:

ابتداء ولا يرد جواب

ليس يأتي من الأمير كتاب

ت: أتاني على العتاب عتاب

فإذا ما شكوت ذلك وعاتب

ت: ولم يأتي له إعتاب

وأطاف الملام بي في الذي قل

ناطق عنه حين عز الخطاب

ولسان الذي يغيب كتاب

فهو كالناطق الذي لا يجاب

فإذا أبطأ الجواب عليه

وكمن رده وقد عرفوا منه حضوراً تجهم وعتاب

دية الذنب عذرة ومتاب

عذت بالأعذار إن كان ذنب

ولما خرج يحيى بن عمر من المدينة إلى الكوفة فأقام بها كتب إليه أخوه أحمد بن عمرو

د منه بأمر فظيع عجاب

أي سيداً قد رمانى البعا

ق وطالت بنا مدة الاغتراب

فلما تمادى رمانى الفرا

ن مني فاسمع لقول الكتاب

أقمت الكتاب مقام اللسا

ورود البشير برد الجواب

كأني أناجيك إن جاءني

ويقال: أجاب عن الكتاب يجيب إجابة، وقالوا: جابة، وفي المثل: "أساء سمعاً فأساء جابة"، ثم استعمل في غير المثل، فقال الشاعر:

ولم يمس في ضحك الندى يتبلبل

أصم الصدى لم يدر ما جابة الرقى

وقالوا: أحبته جيبة. وليست بجودة مما تقدم.

حدثنا أشعث الضبي قال: كتب رجل إلى صديق له يستبطئ جوابه: "كتبت فما أحببت، وواصلت فما واطرت، وأضبرت فما وحدت". قال: فكتب إليه صاحبه كتاباً عنونه فلما فتحه إذا فيه:

## الجفاء القبيح أحسن عندي

## من بغيض الخطاب للإخوان

قال الصولي: قوله: واصلت كتيبي: جعلت واحداً في أثر الآخر، لا زمان بينهما ولا تمكث. فما واترت: أي كتبت كتاباً بعد كتاب. وأكثر الكتاب يساؤون بين واصلت الكتب وواترتها، وذلك جائز على القريب، فأما اللغة فإنها توجب أن المواصلة لا انقطاع بينها، وأن المواصلة لا بد من انقطاع قليل بينها. قال الأصمعي: يقال: ما في سيره ولا وتيره أي ما فيه توقف. وأنشد لامرئ القيس:

## نجاه مجد ليس فيه وتيرة

## وتذنبها عنه باسم مذود

وأنشد لكعب بن زهير يصف بعراً الناقاة:

## وسمر ظماء واطرتهن بعدما

## مضت هجعة من آخر الليل ذبل

وقال: قلت لزيد بن كثوة: ما السمر الظماء؟ فقال: البعرات، جعلني الله فداءك، ظمئت لعطشها وذبلت. قال: واطرتهن تجيء الواحدة، ثم يكون انقطاع ما، ثم تجيء الأخرى، واضبرت وضبرت كتبت إضبارة كتب وجمعها أضاير. وكذلك إضمامة وجمعها أضماميم مثل أضبارة وجمعها أضاير. وقالت امرأة من قيس: وقالت امرأة قيس:

## ليس بنا فقر إلى التشكي

## إضمامة كحمر إلا بك

أي لنا إبل مجتمعة أو خيل. وقال ابن الأحنف:

## كتاب أتاني على نأيها

## يخبر عن بعض أنبائها

## فنفسي الفداء لهذا الكتا

## ب إن كان خط بإملائها

وقال:

## يا من جعلت فداه

## ومن براني هواه

## وكم قد كتبت كتاباً

## بيكي له من قراه

## أنا الفداء لمن خط

## ه ومن أملاه

## الشمس أحسن شيء

## رأيته حاشاه

وقال أيضاً:

## أيا من لا يجيب إذا كتبنا

## ولا هو يبتدينا بالكتاب

## أما في حق حرمتنا لديكم

## وحق إخائنا رد الجوابوقال الأحنف :

## مالي أهان ولا تجاب صحائفي؟

## وإلى متى أقصى لديك وأحجب؟

ما كان ضرك إذ كرهت إجابتي  
وقال أيضاً:

بيديك أن تستوصفي من يكتب

أعياني الشادن الربيب  
من أين أبغي دواء ما بي  
أكتب أدعو فلا يجيب  
وإنما دائي الطبيب

آخر:

كتبت إلى ظلوم فلم تجبني  
فلما صرفت فكري أتاني  
وقد غفل الوشاة لها كتاب  
وقد رق التأول والخطاب  
إذا ما مر طير واسترابوا  
كتبت إليك والرقباء حولي

قوله: وقد رق التأويل والخطاب من قول امرئ القيس:

وصرنا إلى الحسنى ورق كلامنا  
وأنشدي علي بن الصباح:

يا ذا الذي صن عني  
ضايقتني في بياض  
وقد أخذت سواد  
برقعة ومداد  
تزينه بسواد  
ي ناظري وفؤادي

ومن مليح ما قيل في تأخير الكتاب:

يا جامعاً شيم السيادة والذي  
أشكو إليك لهيب نار في الحشا  
ماذا عليك وأنت بحر في الندى  
تجلو القذى بسواد سطر لائح  
أصبحت تبخل بالكتاب فخفت أن  
حتى كأن الحوض جونة حنة  
أرضى لهلك أن يرى مستعتباً  
ورث النجابة منجباً عن منجب  
تصبي بريح الشوق إن لم تجنب  
لوجدت من ماء المداد بمذنب  
في وجهه غرر الكلام المذهب  
تلقي الدواة يد وإن لم تكتب  
منها وظهر الدرج ظهر العقرب  
من جفوة ويراك غير المعتب

ما كنت أخشى أن تضن بكاغد  
عني وقد يقع الذي لم أحسب  
لا تحسبن كتبني فكاغد أرضكم  
عين الرخيص وأنت عين المسهب

وحدثنا علي بن الصباح قال: حدثنا أبو محكم قال: كان عبد الرحمن بن مسلم الباهلي باراً بزياد بن عبد الرحمن القشيري صديقاً له، ثم غاب فلم يكتب إليه، ولم يجبه عن كتاب فقال زياد:

إخاؤك محض للصديق إذا دنا  
وإعانت ممزوج إذا لم تعين  
دنونا فاحمدنا الدنو وربتنا  
ببينك والتجريب عند التباين  
فلم يأتنا منك الكتاب تقريباً  
وطاح جواب واصل للقرائن  
فأجابه عبد الرحمن بن مسلم:

ما ذاك من نخوة ولا صلف  
ولا لضيق في القول والعطن  
نحن بلوناك في الأمور فما  
تعرف من سيء ولا حسن  
وقد قرناك بالوفاء فما  
تقرن إلا اعترضت بالقرن

### من تعاطي الكتابة وادعاها وهو لا يحسنها

قال أبو بكر من مشهور ما قيل في ذلك:

حمار في الكتابة يدعيها  
كدعوى آل حرب من زياد  
فدع عنك الكتابة لست منها  
ولو غرقت ثوبك في المداد  
ولي من أبيات في بعض الكتاب:

إن كانت الكتبة بالشوم  
ورقتي الأخطار واللوم  
فصغر الحلقة حتى ترى  
وأنت معلوم كمعدوم  
فأنت لا شك على ما أرى  
اكتب من في العرب والروم  
الدهر ذو ظلم ولكنه  
منك تشكي حال مظلوم  
يأنف أن تحيا ولكنه  
تحت قضاء فيك محتوم

حدثني عبيد الله بن عبد الله قال: حدثني فضل البريدي قال: كان ولد محمد بن نصر بن بسام يقرؤون علي الشعر، وكذلك أولاد عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم، وكانوا أدباء، وكان محمد بن نصر وعبد الله



منفردين من الأدب، فجلسا يوماً في مجلس فيه أولادهما، ومدت ستارة لم يسمع الناس بأحذق في الغناء من خلفها، وفي المجلس ما يكون مثله في مجالس الخلفاء وأزيد، فغنت صاحبة الستارة شعراً لجرير:

**ألا حي الديار بسعد إنني أحب لحب فاطمة الديارا**

فقال عبد الله محمد ابن نصر: لو لا جهل الأعراب ما معنى السعد هاهنا. فقال محمد: لا تغفل فإنه يقوي معدهم ويصلح أسنانهم. قال: فقال لي علي بن محمد: يا أستاذ واصفح أيما شئت منهما واجعله أبي. وقال ابن بزان الأصبهاني يهجو رجلاً من كتاب أصبهان وقد مات ختن له:

**كاتب بيكي على خنته دمه جار على ذقنه**

**يعلم القرطاس في يديه أنه قد شذ عن وطنه**

**ليس يدري في كتابته ما قبيح الأمر من حسنه**

قال الصولي أنشدنا هذا الشعر لعبد الصمد بن المعدل.

### **دعاء المكاتبات وأصوله وما حمد منه وذم**

قد كره قوم من أهل العلم: "أطال الله بقاءك". وروى عن حماد بن زيد أنه قال: أحدثها الزنادقة. وقال الأصمعي: هي من دعاء الزنادقة. وقيل: أصل يبطل هذا ويطلق التكاتب بها إذا كان الناس كلهم الآن عليها.

حدثنا إسحاق بن إبراهيم البزار، ومحمد بن سعيد الأصم قال: حدثنا علي بن حرب قال: حدثنا زيد بن أبي الزرقاء، عن ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن معمر بن أبي خبيبة، عن معاذ بن رفاعة بن نافع قال: شهدت نقرأ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم علي وطلحة وعمر وعثمان والزيبر وسعد رضي الله عنهم يذكرون المؤودة فقال عمر: أنتم أصحاب رسول الله تختلفون في هذا، فكيف بم بعدكم؟ هم أشد اختلافاً. فقال علي: إنما لا تكون مؤودة حتى يأتي عليها الحالات السبع. فقال عمر: صدقت أطال الله بقاءك.

قال ابن لهيعة: المعنى لا تكون مؤودة حتى تكون نطفة ثم علقه ثم مضغة ثم عظماً ثم لحماً، ثم يظهر مستهلاً، إذا دفنت فقد وئدت، لأن من الناس من قال: إن المرأة إذا أحست بحمل فتداوت لتسقطه فأسقطته فقد وأدته. فأخبر أن ذلك لا يكون مؤودة، حتى يأتي عليها الحالات السبع. وقد ذكر الله عز وجل: المؤودة فقال: "وإذا المؤودة سئلت، بأي ذنب قتلت".

وكانت العرب إذا ولد لأحدهم ابنة، دفنها حية. فيقال: وأدها يندها وأدأ. فدى صعصعة ابن ناجية المحاشعي خلقاً من البنات، بإبل دفعها إلى آبائهن لأنهم كانوا يفعلون ذلك للضر والفقر فقال الفرزدق يفخر بهذا:

### وجدني الذي منع الوائد ت فأحيا الوئيد ولم يوأد

حدثنا علي بن الصباح قال: حدثنا أبو مسلم السعدي قال: حدثني ابن علية، عن سوار بن عبد الله العنبري، عن الحسن قال: دخل الزبير على النبي صلى الله عليه وسلم وهو عليل فقال: ما الذي بعدك جعلني الله فداؤك؟ فقال: "يا زبير أما تركت إعرابيتك بعد؟" كأنه كره قوله: جعلني الله فداؤك. والفداء يمد ويقصر.

وقد روى رافع بن جريح أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم وقد قال: "يكون قوم من أمي يكفرون بالقرآن وهم لا يشعرون كما كفرت اليهود والنصارى". قال: قلت: جعلت فداك يا رسول الله وكيف ذاك؟ قال: "يقرون ببعض القرآن ويكفرون ببعضه". في حديث طويل، حدثنا إبراهيم بن عبد الله النميري. قال: حدثنا حجاج بن نصير قال: حدثنا حماد بن إبراهيم الكرمانى، عن عطية، عن عطاء بن رافع، عن عمرو بن شعيب، قال: كنت عند سعيد بن المسيب فقال: سمعت رافع بن جريح يقول. وذكر حديثاً طويلاً.

حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال: حدثنا عبد الله بن شيث قال: كتب إلي بعض إخواني من البصرة إلى المدينة كتاباً صدره: "أطال الله بقاءك كما أطال جفاك، وجعلني فداؤك إن كان في فداؤك" وتحت ذلك:

### كتبت ولو قدرت هوى وشوقاً إليك لكنك سطرأ في الكتاب

قال: وكانت الكتب قديماً يقال فيها: "وأتم نعمته عليك" فلما قال ابن الرقاع العاملي:

### صلى الإله على امرئ ودعته وأتم نعمته عليه وزادها

وزاد الكتاب على ذلك: "وزاد في إحسانه إليك".

وحدثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال: سمعت ابن الأعرابي يقول تقول العرب: "وهبني الله فداؤك". بمعنى جعلني فداؤك، فأما "وقدمني قبلك"، فإن أبا تذكوان القاسم بن إسماعيل حدثني قال: سمعت إبراهيم بن العباس يقول: ما أظن قول الكتاب: "وقدمني قبلك" إلا مأخوذاً من قول الأغر بن كابس العبدي في أخيه الصقر:

### أخي أنت في دين وقربى كلاهما أسر بأن تبقى سليماً وأفخر

### إذا ما أتى يوم يفرق بيننا نموت فكن أنت الذي تتأخر

قال: فقيل لإبراهيم: إن هذا يروى لحاتم. فقال: "وما على من لا يدري شيئاً في نسبته إلى غير قائله". وهذا وأشباهه كثير. وقد ذكرته مستوفى في كتابي كتاب "اللقاء والتسليم"، الذي كتبت به إلى القاضي عمر بن محمد بن يوسف. ومن قدم ما قيل في "قدمت قبلك": قول حنظلة بن عرادة، أنشدناه المغيرة بن محمد المهلي، عن أبي محلم له يخاطب قومه:

أسعد بن زيد أنطقتني رماحكم  
وكننت مجرا ضحكة للمواشر  
فهذا أوان الصبر قد مت قبلكم  
فموتوا حفاظاً بالسيف البواتر

### اللغة في دعاء المكاتب

التأييد في اللغة التقوية. والأيد القوة، قال الله عز وجل: "بيناها بأيد" أي بقوة. فإذا قال: وأيدك، فكأنه قال: قواك. فإذا قالوا: وتأيدوه وكلاءته، فإنما قولون وحفظه. وفلان يكأ القوم يحفظهم، فهو كالي لهم. فإذا قالوا: وزاد في إحسانه وآلائه لديك. فإن الآلاء النعم، واحدها إلى وألى مثل عنب وأعناب. قال الله عز وجل: "فبأي آلاء ربكما تكذبان" أي فبأي نعمه لما عدد في سورة الرحمن نعمه على عباده، أتبع كل نعمة بذلك تويخاً لمن كفر به، وجحد نعمه. فإذا قالوا: "وأدام عزك" فإن العز ضد الذل وأصله المنعة، وعز الشيء إذا امتنع وهو من قولهم: أرض عزاز إذا كانت صلبة وقولهم "من عز بز" أي من غلب سلب، لأنه يقال بز كذا أي أخذه منه.

قال الصولي: ودخلت يوماً على بعض الوزراء، وهو يقرأ كتاباً، من عامل له، فمر فيه على "قد علم الله نصحي واجتهادي وإيالي" فقال ما معنى إيالي؟ قلت يريد حسن قيامي. حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال: سمعت ابن الأعرابي يقول: سمعت العرب تقول: آل ايلة فلان يؤولها أو لا وإيالة إذا كان حسن القيام عليها.

فأما قولهم: وجميل بلائه لديك، فإني سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلب وقد سئل عن بيت زهير:

رأى الله بالإحسان ما فعلا بكم  
فأبلاهما خير البلاء الذي يبلى

فقال المعنى رأى الله إحسانهما فصنع إليهما خير الصنيع الذي يبتلي به عباده لأنه يبتلي بالخير والشر والصحة والسقم. قال محمد بن يحيى الصولي: وقال أبو عبيدة: فاختبرهما بخير ما يختبر به لا بشره، لأن الابتلاء عنده الاختبار، ومنه "لنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين"، أي ولنختبرهم، وقد علم

ذلك عز وجل كيف يكون، ولكنه يريد أن يقع منهم فعل له يقع عليه الجزاء والعقاب، لأنه لا يعذب على علمه ماذا فعلوا، فقد علم كيف كان، وعلمه عز وجل سواء فيما يكون وفيما كان إلا أنه لا يوجب الجزاء للعباد، وعليهم على ما يعلم منهم من إحسان وإساءة إلا بعد وقوع الفعل من العباد. وسئل محمد بن يزيد النحوي عن قول العجاج في الثور:

### ونية حيث انتوى منوي

### وفي الحجوز وفتى الولي

فقال: يريد الدعاء له كأنه يكون بمكان فيه وسمي ثم يأتي الولي. ونية يريد وجهة يفتقدها الثور حيث انتوى توجيه منوي، أراد حين ذهب فأني مصرف فاعلاً إلى مفعول فيريد رزق تبناً بهذا المطر حيث توجه إما دعاء له وإما إخبار عنه وعن حاله، فكان هذا عندي مما تفرد بالقول فيه حتى أنشدنا أحمد بن يحيى ثعلب بعد ذلك للأعشى أعشى شيبان:

### وأقر السلام على الإبقاء والقصد

### يا عمرو اقصد نواك الله بالرشد

### طابت أصائله في ذلك البلد

### وبك عيشاً تولى بعد جدته

فقليل له: ما معنى نواك الله؟ فقال: رعاك الله الرشيد حين انتويت وحين نويت، فصح ذلك عندي، وعلمت أنه من كلام العرب.

ومن ملح ما قيل في "مت قبلك" ما حدثنا به المبرد قال: كنت عند أبي العباس بن ثوبة، فوردت عليه رقعة البحريري وفيها:

### ق ولا أزال الله ظلك

### اسلم أبا العباس واب

### أبدأ ونحن نموت قبلك

### وكن الذي يحيا لنا

### إحسانك الأوفى وفضلك

### لي حاجة أرجو لها

### ك قضاءها والشرط أملك

### والمجد مشترط علي

### فلئن كفيت مهمها

### فلئن كفيت مهمها

فكتب إليه: قد قضاها الله، ولو أفنيت المال، وهدمت الحال.

## التاريخ وما قيل في معناه

تاريخ كل شيء غايته ووقته الذي ينتهي إليه، ومنه فلان تاريخ قومه في الجود أي الذي انتهى إليه ذلك. وسئل بعض أهل اللغة ما معنى ذلك فقال: معنى التأخير. وقال آخر هو إثبات الشيء. ويقال: ورخت الكتاب توريحاً لغة تميم، وأرخته تأريحاً لغة قيس. وتاريخ وتاريخان وتواريخ. وأرخ كتابك هذا وورخه.

ولكل نبوة ومملكة تاريخ: فأما العرب فكانوا يؤرخون بالنجوم قديماً؛ وهو أصل، ومنه صار الكتاب يقولون: نجمت على فلان كذا حتى يؤديه في نجوم. وأنجمة جمع نجوم. والعرب تخص بالنجم الثريا، يقولون إذا طلع النجم يريدون الثريا ومنه قولهم:

### فابتغى الراعي كسيه

### طلع النجم غديه

والنجم بعد هذا سائر النجوم يدل الواحد على جميعها، كما يقال: أهلك الناس الدينار والدرهم يراد الجنس. وعلى هذا قرأ أبو عمرو بن العلاء: "وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار"، والنجم ما نجم من النبات، ومن الرأي ما ظهر وهو غير هذا.

وكانت العرب تؤرخ بكل عام يكون فيه أمر مشهود متعارف، فأرخوا بعام الفيل، وفيه ولد النبي صلى الله عليه وسلم، وكان في السنة الثامنة والثلاثين من ملك كسرى أنو شروان. وأرخت العرب بعام الخناب لأنهم تماوتوا فيه، وعظم عندهم أمره فقال النابغة الجعدي:

### من الشبان أيام الخناب

### فمن يك سائلاً عني فإني

### وعشر بعد ذلك وحجتان

### مضت مائة لعام ولدت فيه

وأرخت قريش بموت هشام بن المغيرة المخزومي لجلالته فيهم، ولذلك قال شاعرهم:

### كأن الأرض ليس بها هشام

### وأصبح بطن مكة مقشعراً

وروي عن الزهري والشعبي، أن بني إسماعيل أرخوا من نار إبراهيم عليه السلام إلى بنائه البيت، حين بناه مع إسماعيل، وأن بني إسماعيل أرخوا من بنان البيت إلى تفرق معد. ثم كانوا يؤرخون بشيء شيء إلى موت كعب بن لؤي. ثم أرخوا بعام الفيل إلى أن أرخ عمر بن الخطاب رضي الله عنه من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم.

وكان سبب ذلك أن أبا موسى كتب إليه: إنه يأتينا من قبل أمير المؤمنين كتب ليس لها تاريخ، فلا ندري على أيها نعمل. وروي أيضاً أنه قرأ صكاً محله شعبان. فقال: أي الشعابين الماضي أم الآتي؟ فكان سبب التأريخ من الهجرة، بعد أن قالوا: نؤرخ بعام الفيل، وقالوا: من المبعث، ثم أجمع الرأي على الهجرة. وقالوا ما يكون أول التاريخ؟ فقال بعضهم: شهر رمضان، وقال بعضهم: رجب فإنه شهر حرام والعرب تعظمه، ثم أجمعوا على الحرم، فقالوا: شهر حرام وهو منصرف الناس من الحج. وكان آخر الأشهر الحرم فصيروه أولاً لأنها عندهم ثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والحرم، والفرد رجب، فكانت الأربعة تقع في سنتين، فلما صار الحرم أولاً وقعت في سنة.

قال الصولي وسألت أبا ذكوان عن أرخت وورخت. فقال: مثله أكدت الأمر تأكيداً، ووكدته تأكيداً لغة تميم، وبها نزل القرآن: "ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها". وأما التاريخ بلغة قيس فهو الذي يستعمله الناس، وأما التواريخ لغة تميم فما استعمله كاتب قط، وإن كانت العرب تتكلم به. وغلبت العرب الليالي على الأيام في التاريخ، لأن ليلة الشهر سبقت يومه ولم يلدها وولدتهن ولأن الأهله لليالي دون الأيام، وفيها دخول الشهر، وما ذكرهما الله عز وجل إلا قدم الليالي قال الله تعالى: "سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما". وقال: "يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل". وقال جل اسمه: "سيروا فيها وأياماً آمنين".

والعرب تستعمل الليل في الأشياء التي يشاركون فيها النهار دون النهار، لاستثقالهم الليل فيقولون: أدركني الليل بموضع كذا لهيبته. وقال النابغة:

**فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع**

وقالوا: صمنا عشرًا من شهر رمضان، وإنما الصوم للأيام، ولكنهم أجازوه إذ كان الليل أول شهر رمضان. وأنشد أبو عبيدة:

**فصامت ثلاثاً من مخافة ربها ولو مكثت خمساً هناك لصلت**

وأما الشهور فإنها كلها مذكرة، إلا جمادى الأولى وجمادى الآخرة. ويكتبون من شهر كذا إلا في ثلاثة أشهر، يكتبون في شهر رمضان لقول الله عز وجل: "إن كنتم تعلمون شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن". ويقولون: في شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر، لأن الربيع وقت من السنة، فخالوا إذا قالوا: من ربيع ولم يذكروا الشهر أن يظن أنه من الوقت. قال الراعي:

**شهري ربيع ما تذوق لبونهم إلا حموضاً وخمةً وذويلاً**

كل ما انكسر واسود من النبت فهو ذويل. فإذا رأوا الهلال أول ليلة كتبوا "وكتب ليلة الجمعة غرة كذا ومستهل شهر كذا ومهل شهر كذا"، لأنهم يقولون: استهل الهلال، وأهل الهلال، ولا يقولون: هل ولا أهل ولا استهل، ومن قال ذلك فقد أخطأ.

والاستهلال الصوت والصياح، ومنه استهلال الصبي صياحه وبكاؤه إذا ولد. فلما كانوا يكبرون عند رؤية القمر كل أول ليلة من الشهر وفي أول سائر الشهور لقربهم بمضي الخارج من وقت الحج، وسرورهم بالموسم، نسبوا الرؤية إلى فعلهم فقالوا: استهل وأهل، وسموا القمر هلالاً لهذا المعنى. وأهل مكة يجتمعون ويوقدون النار ويلعب ولدانهم وعبيدهم عندها كل أول ليلة، من سائر الشهور، إلى

وقتنا هذا لفرحهم بقرب وقت الحج.

ويكتبون ليلة الإهلال لغرة كذا ولا يكتبون لليلة خلت، ولا لليلة مضت إلا من الغد لأن الليلة قد مضت. وإن كتبوا يوم الجمعة قالوا: أول يوم شهر كذا، ولا يكتبون مستهل ولا مهل لأن الهلال إنما يرى بالليل. ويكتبون في اليوم الثاني لليلتين مضتا، فإذا جاز ذلك، كتبوا لثلاث خلون وأربع مضين، وكتبوا لثمان خلون فيحذفون الباء ويثبتون الألف في الخط.

فإذا أضافوا الليالي أثبتوا الباء للإضافة، لأنه لا يكون تنوين مع إضافة وإنما سقط الباء للتنوين، فيسقطون الألف عند ذلك في الخط، فيكتبون لثمان ليال، ومنهم من يثبتها. وسنذكر ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى.

وإنما أثنوا إلى قولهم: لعشر خلون، لتقدم الليالي على الأيام كما ذكرت، فإذا جاوز العشر قالوا: لإحدى عشرة ليلة خلت ومضت ولاثنتي عشرة ليلة. وإنما قالوا: ههنا خلت ومضت لأن الترجمة بليلة فوحدوا الفعل لذلك. ويكتبون: لخمسة عشرة ليلة خلت، وإن شأؤوا كتبوا: للنصف من شهر كذا، ولا يكتبون لخمسة عشرة ليلة بقيت، كرهوا ذلك لأنه شبيه الاستثناء، ولا يكون إلا أقل مما استثنى منه، ولكن يكتبون بعد النصف بيوم: لأربع عشرة ليلة بقيت. وقد كره أهل الورع ذلك، لأنهم لا يدرون كم بقي لنقصان الشهر وتمامه فيكتبون: لإحدى وعشرين ليل خلت، والكتاب على غير هذا. فإذا كان آخر ليلة من الشهر كتبوا: سلخ كذا لأنهم يقولون: انسلخ الشهر انسلخاً، وسلخت أشهر كذا سلخاً وسلوخاً. ولو كتب كاتب في ربيع الأول ولم يقل في شهر، أو في رمضان ولم يقل في شهر، جاز وليس بالمختار. قال الشاعر:

### تقطع الحديث بالإيماض

### جارية في رمضان الماضي

ولا يدخلون في شهر من الشهور الألف واللام إلا في المحرم لأنه أول السنة فعرفوه لذلك كأهم قالوا: هذا الذي يكون أبداً أول السنة. ولا يكتبون: لليلة بقيت وأنت فيها كما لم يكتبوا: لليلة خلت وأنت فيها. والعرب تسمي أول ليلة من الشهر ليلة البراء لتبرء القمر من الشمس، ويسمونها النحرية، لأن الهلال نحرها، أبي رؤي في نحرها وأولها. قال ابن أحمري:

### في ليلة نحر شعبان أو رجباً

### ثم استمر عليها واكف همع

نحرت شعبان كان في نحره وصدرة لأما أوله كما نحرها الهلال إذا رؤي في أولها، ونحرية فعيلة من نحرت مثل قتلت فهي قتيلة.

قال بعض الكتاب: التاريخ عمود اليقين، ونافي الشك، وبه تعرف الحقوق وتحفظ العهود.

قال: ولا يقع التاريخ في شيء من الكتب السلطانية من رئيس أو مرؤس إلا في أعجاز الكتب. وقد يؤرخ النظر والتابع ما خلاص من الكتب في صدورها.

وقيل: الكتاب بغير تاريخ نكرة بلا معرفة، وغفل بغير سمة. قال بعض الشعراء في تاريخ وفاة:

**وكان يؤرخ علم القرو**                      **ن فيها هو ذا اليوم قد أرخا**

فأما الذي يروي للمستوغر بن ربيعة فهو قوله - وهو عجيب من العمر في مثل زمانه:

**ولقد سئمت من الحياة وطولها**                      **وازدددت من عدد السنين سنينا**

**مائة أنت من بعدها مائتان لي**                      **وازدددت من عدد الشهور مئينا**

**هل ما بقي إلا كما قد فاتنا**                      **يوم يكر وليلة تحذونا**

ويقال: سبت وسبتان وأسبت وسبوت وأسبات وأسابت وأسابت. وأحد وأحد وأحدان وأحاد وأحاد وأحدات. واثنين واثنان وأثنانين. وثلاثاء وثلاثاوان وثلاثاوات. وأربعاء وأربعاء وأربعاء وأربعاء. وخميس وخميسان وأخمسة وخميسات. وجمعة وجمعتان وجمع وجمعات.

ومحرم ومحرمات ومحارم ومحارم، وصفر وصفران وصفرات وصفارى وأصفار وصفارين، وربيع وربيعان وربيعات وأربيع، وتقول: شهر ربيع وشهرا ربيع وأشهر ربيع، وجمادى وجماديان وجماديات، ورجب ورجبان ورجبات وأرجبة وأرجاب وأرجب وأراجيب ورجائب ورجابي. وشعبان وشعبانان وشعبانات وشعباين. ورمضان ورمضانان ورمضانات وأرمضة وأرامضة وأراميض ورماضين، وشوال وشوالان وشوالات وشواويل، وذو القعدة وذو القعدة وذوات القعدة وذوو القعدة، وذو الحجة مثله.

وتقول: أكرت الدار مشاهرة ومساهمة ومياومة ومناهرة وملايلة ومساوعة من الساعات.

قال أبو بكر محمد بن يحيى: حدثني محمد بن سهل الأحوال ابن أبي يوسف قال: سمعت ابن إسرائيل يذكر قلة مدة الوزراء فقال: كان هذا الأمر مزمنة، ثم صار معاومة، ثم صار مشاهرة، ثم صار مياومة، ثم صار مسا وتلجج ثم قال: مساعات، وأخطأ أراد مساوعة فلم يفهم.

### **الترجمة في المكاتب**

أصل هذه اللفظة فارسية، وكذلك الترجمان، وقد تكلمت بها العرب بعد ذلك وعربتها. وإنما ذكرتها ههنا لأني أحب أن لا يصفر كتابي هذا من شيء يحتاجه الكاتب. فأنا الآن أعمل منها باباً أقرب به جهدي على



من يريد معرفته ليعلم كيف وجه الترجمة، فيعمل منها بعد هذا ما أراد.  
وهي شبيهة بالعمى وهو ما يكنى من الشعر كأن يسمى الألف فاخنة، والباء صقراً، والتاء عصفوراً ثم يردد الحروف على هذا وترجمت له الأمر أوضحت له.  
فحروب الله تعالى ب ت ث تسعة وعشرون حرفاً أولها الألف، وهي همزة لأنه لا يتبدأ إلا بمتحرك والألف ساكنة لا تتحرك.  
وقال أحمد بن يحيى: من أجل ذلك قالوا بعد أن أتوا بالألف واللام ليعملوا أن هذه هي الألف الحقيقية، وهي التي تقع في آخر حتى ومتى وفي حياة وزكاة. فالحروف مع هذه تسعة وعشرون، ومنازل القمر في كل شهر ثمانية وعشرون متراً، ثم يستتر ثم يستهل، فجعلت القمر تماماً ليكمل تسعة وعشرين متراً بإزاء كل حرف منزل.

حدثني عون بن محمد الكندي قال: حدثنا العباس بن هشام بن محمد بن السائب الكلبي، عن أبيه، عن جده، عن أبي صالح، عن ابن عباس أنه قرأ: "والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم". فقال: هي ثمانية وعشرون متراً يتزل القمر كل ليلة منزلة منها وهي: الشرطان، والبطين، والثريا، والدبران، والهقعة، والهنعة، والذراع، والنثرة، والطرف، والجبهة، والزبرة، والصفرة، والعواء، والسماك، والغفر، والزباني، والإكليل، والقلب، والشولة، والنعائم، والبلدة، وسعد الذابح، وسعد بلع، وسعد سعود، وسعد الأخبية، والفرغ المقدم، والفرغ المؤخر، وبطن الحوت، والقمر. فأتممتها بالقمر، حتى ساوت الحروف. فإذا أردت أن تكتب "أنا" كتبت: "الشرطان، سعد الأخبية، الشرطان". فإذا أردت أن تتبعها بإليك، كتبت: "الشرطان، سعد بلع، القمر، سعد الذابح". فقس على هذا جميع ما يرد عليك إن شاء الله.

## الديوان

قال الصولي: هو اسم فارسي تكلمت به العرب فقالوا: ديوان ولم يقولوا: ديوان بفتح الدال، كما قالوا: ديباج ولم يقولوا ديباج.  
قال الصولي: حدثنا أبو العيناء قال: حدثني الأصمعي قال: كنا عند أبي عمرو ومعنا خلف الأحمر، فقال له رجل أسمع من يقول ديوان بفتح الدال؟ فقال أبو عمرو: ولو جاز هذا لقالوا في جمعه: دياوين. فقال خلف: قد سمعت بعض حمير ينشد:

دياوين تشقق بالمداد

عديني أن أزورك أم عمرو

فقال أبو عمرو لخلف: إن حمير لم يفدها هواء نجد. قال أبو العيناء: فسئل الأصمعي عن معنى البيت فقال: يعني أنه في بعث قد كتب اسمه فهو يخشى أن يحل به فيسقط.

قال محمد بن يحيى الصولي: والمعنى في أنه لو كان الواحد ديوان، لجمعوا دياوين، إن الياء تكون صحيحة أصلية، مثل ريحان ورياحين، فإذا قالوا: ديوان كان الياء زائدة، فإذا جمعوا انفتحت الدال فقالوا: دواوين، وهذا الصواب لأنهم يقولون: دون هذا فالواو أصلية كما قالوا: ميزان والأصل موزان، لأنه من الوزن، فالواو أصلية، فمن أجل استثقالهم الكسرة مع الواو، قالوا: ميزان قلبوا الواو ياء فلما جمعوا قالوا: دواوين ردوا الواو لانفتاح الدال. قال الشاعر:

وفيلسوف الخرد العين

يا زين كتاب الدواوين

عزاب كتاب مساكين

يا فتنة سيقت إلى فتية

وكان سبب تدوين الدواوين، أن أبا بكر رحمه الله، لما تولى الأمر جاءه مال من البحرين، بعد أن وعد كل من له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة به، فأعطى جابر بن عبد الله عدة كانت له. وجاء مال البحرين فقسمه، فأخذ الرجل عشرة دراهم والمرأة كذلك والعبد كذلك. جاء في العام الثاني أكثر من ذلك، فأصابهم عشرون درهماً لكل واحد منهم، فتكلمت الأنصار في ذلك فقالوا: نصرنا وآوينا فلنا فضلنا، فلم تساوي بيننا وبين من ليس له شيء مما لنا؟ فقال أبو بكر: صدقتم ذاك لكم، فإن كنتم عملتموه لله فدعوا هذا وإن كنتم فعلتموه لغيره زدتمكم، فقالوا: عملناه لله وانصرفوا.

حدثنا الغلابي قال: حدثنا عبد الله بن الضحاك عن الهيثم بن عدي عن عوانة قال: جاء مال من البحرين إلى أبي بكر رضي الله عنه، فساوى فيه بين الناس، فغضبت الأنصار وقالوا: فضلنا، فقال لهم أبو بكر: صدقتم إن أردتم أن أفضلكم فقد صار ما عملتم للدنيا، وإن شئتم كان ذلك لله والدين! فقالوا: والله ما عملناه إلا لله وانصرفوا. فرقي أبو بكر المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال: "والله يا معشر الأنصار، لو شئتم أن تقولوا: إنا آويناكم وشاركناكم في أموالنا ونصرناكم بأنفسنا لقلتم، وإن لكم من الفضل ما لا نحصيه عدداً وإن طال به الأمد، فنحن وأنتم كما قال الغنوي:

بنا نعلنا في الواطئين فزلت

جزى الله عنا جعفرأ حين أزلفت

تلاقي الذي يلقون منا لملت

أبوا أن يملونا، ولو كانت أمتنا

ظلال بيوت أدفأت وأكنت

هم أسكنونا في ظلال بيتهم

ثم توفي أبو بكر رضي الله عنه، وقام عمر بعده، فأتى أبو هريرة بمال من البحرين، وكان مبلغه ثمانمائة ألف درهم، وفي أخرى خمسمائة ألف درهم فخطب الناس فقال: "إنه قد جاءكم مال، فإن شئتم كلته لكم كيلاً، وإن شئتم عددنا لكم عدداً"، فقال له الفيرزان - وروي أن غيره قال له - إن العجم تدون

ديواناً لهم يكتبون فيه الأسماء وما لواحد واحد. فأمر باتخاذ الديوان.

وقد روي أن عمر بعث بعثاً فقال له الفيرزان: إن تخلف من هذا البعث أحد كيف تصنع به وكيف يعلم عاملك بخبره؟ قال: فما ترى؟ فأشار بالديوان فعمله، وجعل المال في بيت مال، وجعل الأرزاق مشاهرة، وكل ذلك برأي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتماع منهم فكان هذا أوله. ثم كثر المال عليه، فقالوا: بمن تبدأ؟ قال: أشيروا علي. فقالوا: أبدأ في الكتاب والقبض بنفسك. فقال: بل بآل رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب عائشة في اثني عشر ألفاً في كل سنة، وكتب سائر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في عشرة آلاف، لكل واحدة وكتب بعد أزواج النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه في خمسة آلاف، ومن شهد بدرًا من بن هاشم، ومن مواليتهم، ثم كتب عثمان بن عفان في خمسة آلاف، ومن شهد بدرًا من بني أمية ومواليهم على سواء.

ثم قال: قد بدأت بآل الرسول صلى الله عليه وسلم وبأقاربه فيمن ترون أن نبدأ بعدهم؟ فقالوا: بنفسك. قال: بل بآل أبي بكر فكتب طلحة في خمسة آلاف وبلالاً في مثلها. ثم قال للناس: بمن أبدأ؟ قالوا بنفسك. قال: صدقتم فكتب لنفسه، ولمن شهد بدرًا، من بطون قريش، خمسة آلاف خمسة آلاف. ثم كتب لمن شهد بدرًا من الأنصار أربعة آلاف أربعة آلاف. فقالوا: قصرت بنا عن إخواننا المهاجرين. فقال عمر: لا أجعل الذين قال الله: "للفقراء والمهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ينتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون" كمن كانت الهجرة في داره، فرضوا. ثم كتب لمن شهد أحداً بثلاثة آلاف لكل واحد منهم. ثم فرض لمن شهد فتح مكة في ألفين ألفين. وأنشد الطالقاني:

من صرت فيه علماً

يا قمر الديوان يا

أنت تجر القلما

كأنما في كبدي

وقال مجنون بني عامر يذكر أن للرقباء دواوين عليه:

وكان في بدئها ما كان يكفيني

إني أرى عائدات الحب تقتلني

لم تبقى باقية ذكر الدواوين

في كل منزلة ديوان معرفة

### تحويل الديوان من الفارسي إلى العربي

قال أبو بكر: حدثنا القاضي عمرو بن تركي قال: حدثنا القحذي قال: كان بالبصرة والكوفة ديوانان

لإعطاء الجند والمقاتلة والذرية بكتاب بالعربية، وديوان بالفارسية. وبالشام ديوان بالعربية لمثل ذلك، وديوان بالرومية. فحول ديوان العراق إلى العربية أبو الوليد صالح بن عبد الرحمن البصري، وهو مولى بني مرة بن عبيد من بني سعيد بن زيد مناة بن تميم وكان من سبي سجستان. وكان صالح يكتب لزادان فروخ على الدواوين أيام الحجاج، وكان أول من جمع له الغزاة أن زياداً قال: فاستكتب عليها زادان فروخ الأعور، فبقي إلى هذا الوقت قال: فلما رأى الحجاج ذكاء صالح قربه، فقال لزادان فروخ: إن الأمير يقدمني عليك، وأنت سبي منه، وما أحب ذلك، فلم يزل يؤخره عنه والحجاج يطلبه، فقال له زادان فروخ: لا بد للحجاج مني لأنه لا يجد من يقوم بحساب ديوانه غيري، فقال له صالح: إنه إن أمرني بنقل الحساب إلى العربي فعلت، قال: فانقل شيئاً منه بين يدي ففعل، فقال زادان فروخ: لكتابه الفرس التمسوا مكسباً غير هذا.

قال وقدم الحجاج صالحاً فقلب صالح الديوان إلى العربي وكان كتاب العراقيين كلهم غلماناً وتلاميذه. وكان ديوان الشام إلى سرجون بن منصور، وكان رومياً نصرانياً، كتب لمعاوية ولمن بعده إلى عبد الملك بن مروان، ثم رأى عبد الملك منه توانياً، فقال عبد الملك لسليمان بن سعد مولى الحسين - وكان على مكاتبات عبد الملك والرسائل: ما أحتمل سحب سرجون، أفما عندك حيلة في أمره؟ فقال: بلى أنقل الحساب إلى العربية من الرومية، فقال: افعل. فحواله، فولاه عبد الملك جميع دواوين الشام وصرف سرجون فلم يزل سليمان بن سعد على ذلك إلى أيام عمر بن عبد العزيز رحمه الله. ثم إن عمر بن عبد العزيز وجد عليه فعزله، واستكتب مكانه صالح بن كثير الصداي من أهل طبرية.

قال الصولي: حدثنا علي بن الصباح يقول: سمعت الحسن بن رجاء يقول: ناظر فارسي عربياً بين يدي يحيى بن خالد البرمكي فقال الفارسي: "ما احتجنا إليكم قط في عمل ولا تسمية، ولقد ملكتم فما استغنيتم عنا في أعمالكم ولا لغتكم، حتى إن طبيخكم وأشربتكم ودواوينكم وما فيها على ما سمينا، ما غيرتموه كالإسفيداج والسكباج والدوغباج، وأمثاله كثيرة وكالسكنجيين والخلنجيين والجلاب، وأمثالها كثيرة وكالروزنامج والاسكدار والفراونك، وإن كان رومياً ومثله كثير، فسكت عنه العربي. فقال له يحيى بن خالد: قل له: "اصبر لنا نملك كما ملكتم ألف سنة بعد ألف سنة كانت قبلها لا نحتاج إليكم ولا إلى شيء كان لكم".

قال: وما سمعته العرب فاحتاجت إلى استعماله في نظم أو نثر، فقد أعربته فصار عربياً بتكلمها به وإعراها إياه. ألا ترى إلى امرئ القيس لما خرج يريد ملك الروم فرأى الفراونك، وفعله وإنه مقطوع الذنب كيف وصفه وعربه فقال في قصيدته التي أولها:

سما لك شوق بعد ما كان أقصرا

فقال فيها:

إذا قلت روحنا أرن فرانق

على جلعدها وهي الأبالج أبترا

بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه

وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

قال أبو بكر: واعترضني خبر لطيف في الفرانق ليس من الكتاب فذكرته: حدثني عون بن محمد الكندي، قال: كان ابن شاهك عدواً لأحمد بن أبي أمية، وكان فيه تأنيث فولاه إسحاق بن إبراهيم عملاً، فقال ابن أبي أمية يخاطب إسحاق ويذكر ابنه بابن شاهك، وجعل الذي رماه به كالفرانق، وما معه كالخريطة فقال له:

"قل" للأمير أدام الله نعمته

قولاً له عند أهل الرأي تحصيل

إن ابن شاهك قد وليته عملاً

أضحى وحقك عنه وهو مشغول

بسكة أحدثت ليست بشارعة

تفضي إلى عرصة في جوفها ميل

يرى فرانقها في الركض مندفعاً

ينوي خريطته والبغل مشكول

وهذا نحو قول أعرابي يصف صاحباً له، تزوج فلم يبق ليله فأنشد:

فبات يسري ليله ولم ينم

ولم يجاوز سيره قيس قدم

وأنشد هارون بن عبد الله لدعبل، يهجو الحسن بن وهب، لما ولي البريد بنحو قول ابن أبي أمية:

ألا أبلغ أمير المؤمنين محمداً

رسالة ناء عن جانيبه شاحط

بأن ابن وهب حين يشحج شاحج

يمر على القرطاس أقلام غالط

أحب بغال البرد حباً مداخلاً

دعاه إلى غشيانها في المرابط

ولولا أمير المؤمنين لأصبحت

أبور بغال البرد حشو الخرائط

وقد هجا عبد الرحمن بن عائشة ميمون بن إبراهيم صاحب البريد بنحو معنى ابن أبي أمية فقال:

ألا قولاً لميمون مقالاً

يدبره الحكيم بحسن عقله

أما ينهالك شيبك عن كتاب

شغلت بخرجة عنا ودخله

يجيء به الفرانق مستعداً

بغير يد فيأخذه برجله

## الجزء الثالث

### وجوه الأموال التي تحمل إلى بي المال وأصنافها ولمن تجب الأموال ثلاثة

الفيء ووجوهه خمسة: منها ما أفاء الله على المسلمين، مما يجدونه في المدينة التي تفتح، بعد سكون الحرب، وانتقال الدار من اسم الكفر إلى الإسلام، فذلك فيء وليس بغنيمة، كالذي فعل عمر رضي الله عنه في كثر الفخيرجان، وقد أتى به السائب، وقد ولاه قسمة الغنائم بنهاوند، لما فتحها الله على المسلمين، جمع السائب الغنائم فقسّمها، ثم جاء من دله على الكثر، فاستخرجه، وكان سفتين من جوهر فأتى بهما عمر رحمه الله، فأمره أن يبيعهما ويقسم ثمنهما بين الذرية، ولم يأمره أن يخرسه، فتبين أنه جعله فيئاً ولم يجعله غنيمة.

والوجه الثاني: الجزية جزية رؤوس أهل الذمة.

والوجه الثالث: ما يؤخذ من نصارى تغلب وهو الزكاة مضاعفة.

والوجه الرابع: ما يؤخذ من تجارات أهل الذمة التي يختلفون فيها.

والوجه الخامس: ما يؤخذ من تجارات المشركين الذين يدخلون بلاد الإسلام بعهد. يؤخذ من تجارات أهل الذمة نصف العشر، ومن تجارات المشركين العشر.

والمال الثاني: الخمس ووجوهه أربعة فأولها الركاز، وهو دفن الجاهلية والكفار القدماء، إذا وجدته إنسان أدى إلى السلطان خمسته وكانت له أربعة أخماسه.

والثاني: المعدن وهو الموضع الذي يوجد فيه الذهب والفضة والرصاص والنحاس والحديد، وقد اختلف فيه، فقال أهل العراق: فيه الخمس كالركاز، وقال أهل الحجاز فيه الزكاة معجلة.

والثالث: ما استخرج من البحر من العنبر واللؤلؤ، وقد اختلف فيه، فقال أهل العراق: لا شيء فيه وهو بمنزلة المسك. وروي عن عمر رضي الله عنه أن يعلى بن منبه كتب إليه، وهو على اليمن، أن رجلاً وجد عنبرة على ساحل البحر، فكتب إليه عمر أنها سبية من سيب الله، فيها وفي كل ما أخرج البحر، من حليه الخمس. وقال ابن عباس رضي الله عنه: ذاك رأيي.

والرابع: كل ما غنمه المسلمون من مال المشركين فيه الخمس.

والمال الثالث: الصدقة وهي في العين من كل عشرين ديناراً نصف دينار، وفي الورق من كل مائتي درهم وهو ربع العشر، والحلي ما كان منه جوهرًا، فلا شيء فيه، وما كان ذهباً أو فضة ففيه ربع العشر،

وكذلك كل ما يركب لا زكاة فيه.

والماليك لا زكاة فيهم إلا زكاة الفطر. فإن كانوا للتجارة، كانت فيهم الزكاة، ولم يكن فيهم زكاة الفطر، وزكاة هذا كله أن يقوم ويؤخذ ربع عشر قيمته. وفي الإبل، إذا بلغت خمساً، شاة، وإذا بلغت عشراً شاتان، وإذا بلغت خمس عشرة ثلاث شياه، وإذا بلغت عشرين ففيها أربع، فإذا بلغت خمساً وعشرين ففيها بني مخاض، فإن لم تكن ابنة مخاض فابن لبون إلى خمس وثلاثين، فإذا زادت واحدة ففيها ابنة لبون إلى خمس وأربعين، فإذا زادت واحدة ففيها حقة إلى ستين، فإذا زادت واحدة ففيها جذعة إلى خمس وسبعين، فإذا زادت واحدة ففيها حقتان إلى مائة وعشرين، ثم يكون في كل أربعين ابنة لبون، وفي خمسين حقة. وبعض الفقهاء يقول: تستأنف الفريضة بعد المائة والعشرين كما كانت في الابتداء لكل خمس شاة. وفي الغنم، في كل أربعين شاة، ثم ليس فيها شيء، حتى تزيد على عشرين ومائة، فإذا زادت واحدة ففيها ثلاث شياه إلى ثلاثمائة ثم يكون في كل مائة شاة، ولا يؤخذ من الزيادة شيء حتى تكمل مائة ويجوز عليها الحول وهي على هذا التمام.

وفي البقر وجواميسها في ثلاثين بقرة تبيع أو تبيعة، وهو جذع أو جذعة، وفي كل أربعين مسنة، وليس فيما بين الثلاثين إلى الأربعين شيء، وفي كل سبعين تبيع أو تبيعان، وليس فيما بين الأربعين والستين شيء، وحسابها بعد في كل ثلاثين تبيع أو تبيعة، وفي كل أربعين مسنة، ولا زكاة في شيء مما ذكرنا حتى تكون سائمة، والسائمة الراعية التي ترعى في كلاً المسلمين، الذين هم فيه سواء، فأما من لم يجد شيئاً من ذلك يعلفه ويمونه من ماله، فلا زكاة فيه وإن كثر.

وقال أهل الحجاز: لا زكاة في خيل ولا رقيق، إلا زكاة الفطر التي تلزم الأحرار، ولا في شيء من دواب الوحش، ولا زكاة في لؤلؤ ولا ياقوت ولا مرجان ولا لباس ولا في شيء من العروض، إلا زكاة التجارة، فهي على ما سميت لك فقس على ذلك.

وصدقة الأرض العشر مما يخرج الله منها، إذا بلغت خمسة أوسق. والوسق ستون صاعاً، والصاع خمسة أرتال وثلاث بالرتل البغدادي في قول أهل الحجاز. وهو في قول أهل الكوفة خمسة أرتال بهذا الرطل، إذا كانت الأرض تشرب سيحاً أو ماء السماء، وإن كانت تشرب بدولاب وما أشبهه ففيه نصف العشر.

والفيء للمقاتلة والذرية وذوي الغناء عن الإسلام.

والخمس لمن قال الله عز وجل: "واعلموا أن ما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى"،

يعني قرابة النبي صلى الله عليه وسلم، وهم بنو هاشم بن عبد مناف، وبنو المطلب ابن عبد مناف خاصة من سائر بني عبد مناف، لأن النبي صلى الله عليه وسلم جعل ذلك لهم، فكلمه عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف في أن يجعلهم في أسهم القربي مثل إخوانهم بني المطلب بن عبد مناف إذ كانوا في القربي مثلهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا أفعل إن بني المطلب ما فارقونا في جاهلية ولا إسلام وكانوا معنا كذا" وشبك بين أصابعه. وإنما رعى لهم النبي صلى الله عليه وسلم فعلهم، لما أدخلت قريش بني هاشم شعباً وقالوا: لا نكلمهم ولا نبايعهم، فدخل بنو عبد المطلب معهم وقالوا: لا نفارق إخواننا. واليتامى ليتامى سائر الناس ليس فيهم يتامى بني هاشم ولا يتامى بني المطلب.

والمساكين مساكين الناس عامة ليس فيهم مساكين بني هاشم ولا مساكين بني المطلب. وقد قال قوم: اليتامى والمساكين يتامى هؤلاء ومساكينهم. وابن السبيل الضيف الفقير. واختلف الناس في الله وسهم الرسول صلى الله عليه وسلم، فقال قوم: المعنى في قول الله عز وجل: "فإن لله خمسة" مفتاح كلام، كما يقال: هذا لله ولك وقد أعتقتك الله وأعتقتك. والخمس مقسوم على خمسة كما قال الله عز وجل: وقال قوم: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا أتى بالغنيمة، ضرب فما وقع فيها من شيء جعله للكعبة وهو سهم الله. هذا قول مالك. ثم يقسم ما بقي على خمسة أسهم: فسهم للنبي صلى الله عليه وسلم، ولذي القربي سهم، ولليتامى والمساكين وابن السبيل سهم سهم.

وقال ابن عباس: كان الخمس يقسم على أربعة: فربع للنبي صلى الله عليه وسلم ولذي القربي، فما كان لله وللرسول، فهو لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يأخذوا من الخمس شيئاً، والربيع الثاني لليتامى، والربيع الثالث للمساكين، والربيع الرابع لابن السبيل.

وقال قوم: كان خمس الله وخمس رسوله صلى الله عليه وسلم واحداً، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي بعضه ويصرف الباقي فيما أسماه الله له، وفيما يراه صلاحاً للمسلمين، والعدل قسمته والحق ما فعله عليه الصلاة والسلام.

وقد اختلف في سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسهم ذي القربي بعد وفاته، فقال قوم: سهم ذي القربي لقرابة النبي عليه الصلاة والسلام، وقال قوم: لقرابة الخليفة. وقال قوم: ما يكون سهم النبي صلى الله عليه وسلم للخليفة من بعده، ثم اجتمع رأيهم على أن يجعلوا هذين السهمين في الخيل والغزو، وفي سبيل الله ومصالحة المسلمين، فكانا يصرفان في ذلك أيام أبي بكر ومن بعده من الأئمة رضي الله عنهم. والصدقات للأصناف التي ذكرها الله عز وجل فقال: "إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم".



فالفقراء في اللغة هم الذين لهم قوت مجهودة أن يكفيهم لا فضل لهم ولا عندهم. واحتجوا في ذلك بقول الراعي:

**أما الفقير الذي كانت حلوبته وفق العيال فلم يترك له سبد**

فقالوا: والمسكين الذي لا قوت له وقول الله عز وجل: "أما السفينة فكانت لمساكين"، يوجب خلاف ما حده أهل اللغة في المسكين.

واختلف الناس في سهم المؤلف قلوبهم، فقال قوم: قد انقطع اليوم سهم بقوة الإسلام وأهله فسهمهم يرجع على الباقيين. وقال قوم: بل للإمام أن يتألف من يراه هذا السهم له.

وأما سهم العاملين في الفريضة فأمرهم إلى الإمام يفرض لهم ما أراد.

وفي الرقاب قيل: هو أن يشتري العبد فيعتق. وقال بعضهم، وهو الشافعي: لا يشتري من الصدقة عبد فيعتق، ولكن يعان المكاتب منها.

و "الغارمين": وهم قوم أدانوا ديناً في غير معصية.

وفي سبيل الله: في الغزو. وقال بعضهم: في سبيل الله في الذين يقاتلون عليها أهلها، إذا منعوها حتى يؤدوها.

وابن السبيل: المسافر الذي تنقطع به نفقته يعطى منها ما يبلغه إلى بلده من الصدقة.

### **اللغة في أسنان الإبل وتعريفها**

يقال لولد الناقة، ساعة تضعه أمه: "سليل" و "حوار" قبل أن يعلم أهو ذكر أو أنثى. فإن كان ذكراً فهو "سقب" وإن كان أنثى فهو "حابل". فلا يزال حواراً حتى يفصل عن أمه، فيقال له: "فصيل".

فإذا كان في الوقت الذي يحمل عليه فيه، وهو عند تمام سنة ودخول الثانية، فهو "ابن مخاض"، يجوز في الصدقة لأن أمه قد تمحضت بحمل بعده، فلا يزال ابن مخاض حتى تدخل السنة الثالثة، فيصير "ابن لبون" لأن أمه قد صار لها لبن من غيره، فلا يزال ابن لبون، والأنثى ابنة لبون حتى تدخل السنة الرابعة فهو حينئذ "حق" والأنثى حقة.

فإذا كان في السنة الخامسة فهو "جدع" والأنثى "جدعة" والجدوة وقت من الزمن ليست بسن. فإذا تمت ودخلت السنة السادسة فهو "ثني" والأنثى "ثنية". فإذا ألقى رباعيته في السنة السابعة فهو "رباع" والأنثى "رباعية". فإذا ألقى السن الذي بعد الرباعية وذلك في السنة الثامنة فهو "سدس" و "سدس"، الذكر والأنثى سواء. وهو في كل هذا "بكر" والأنثى "فلوص".

فإذا فطر نابه، أي انشق للخروج وذلك في السنة التاسعة، فهو "بازل"، والأنثى بازل و "بازلة" يقالان

جميعاً، وهو عند ذلك "جمل" و "ناقة" للأنتى. وليس بعد ذلك سن إنما يقال: "مخلف عام" و "مخلف عامين" وما زاد. فإذا كبر وعظم نابه فهو "عود" والأنتى "عودة" ويسميان بأسماء كثيرة في الكبر.

### أسنان الغنم

يقال لولد الشاة، حين تضعه أمه، من الضأن كان أو من المعز، ذكراً كان أو أنثى: "سخلة" و "بهمة". فإذا بلغت أربعة أشهر وفصلت عن أمها، فما كان من أولاد المعز فهو "جفر" والأنتى "حفرة". فإذا قوي فهو "عريض" ثم "عتود" والذكر في هذا كله "جدي" والأنتى "عناق" وإن كان من أولاد الضأن فالذكر "حمل" و "خروف"، والأنتى "رحل" و "خروفة"، وتكون في السنة الثانية "جدعا" والأنتى "جدعة". قال الأصمعي: يكون جدعاً من يأتي عليه ثمانية أشهر وتسعة ونحو ذلك. وفي السنة الثالثة "ثني" والأنتى "ثنية"، وفي السنة الرابعة "رباع" والأنتى "رباعية"، وفي الخامسة هو "سدس" و "سديس"، وفي السنة السادسة هو "صالح" و "سالغ" و "صالغة" بالسین والصاد، ويقال لما كان ذكراً من المعز عند الإجداع "تيس" والأنتى "عتر".

### أسنان البقر

يالق لولد البقرة حين تضعه أمه "عجل" ثم "تبيع" وهو الجذع، وبعضهم يقول: هو تبيع إلى ثمانية أشهر وتسعة، ثم "جدع" إذا تمت له سنة، ثم في الثانية هو "ثني" والأنتى "ثنية"، وفي السنة الثالثة "رباع" والأنتى "رباعية"، وفي الرابعة "سدس" و "سديس"، الذكر والأنتى فيه سواء، وفي السنة الخامسة "ضالع" والأنتى "ضالعة". ومنهم من يجعله في السنة الثانية جدعاً، وفي الثالثة ثنياً، وفي الرابعة رباعياً، وفي الخامسة سدساً وسدساً، وفي السادسة ضالعاً مثل الغنم.

### أسنان الخيل

وإنما ذكرتها هنا لأن الكاتب لا يستغني عن علمائها، يقال لولد الفرس، حين تضعه أمه "مهر" والأنتى "مهرة"، ويقال له: "خروف" فإذا فصل عن أمه فهو "فصيل". فإذا استتم نبات روضه فهو "فلو" يقال: فليت وأفليت، فإذا أتى عليه حول فهو "حولى"، فإذا استتم حولين فهو "جدع"، فإذا أسقطت ثنيته، وخرج مكاهما، وذلك في العام الثالث فهو "ثني"، وفي الرابع هو "رباع" وذلك إذا سقطت رباعيته، وخرج مكاهما، فإذا سقط قارحاه وخرج مكاهما فهو "قارح"، وليس بعد القارح سن، ولكن يقال:

"قارح عام" و "قارح عامين" إلى ثمانية أعوام، ثم يقال له: "مذل" والجميع "مزال".

ومن ألوان الخيل: أدهم وأخضر وأحوى وكميت وأشقر. والفرق بين الكميت والأشقر أن يسود عرفه وذنبه فيكون كميتاً وإلا فهو أشقر. وأصفر وأشهب وأبلق وأبرش وملمع وهو أيضاً بلقة. وكذلك المدنز والأشيم والمولع، كل هذه شيات اللون يخالف لون الفرس يتشكل فيه، فيسمى مدنزاً إذا كان فيه دارات؛ وإذا كان فيه لوان متساويان فهو أبلق، وقس على هذا. وفرس لطيم، إذا أصابت غرته عينيه أو أحدهما أو خديه أو أحدهما، فإذا ابيضت أشفاره فهو مغرب فإذا لم تصب العينين والحدين واتسعت في جبهته فهي شادحة، وإذا دنت في جبهته وقصبة أنفه فهي شمراخ، فإذا عرضت في الجبهة فهي سائلة. والقرحة كل بياض كان في جبهته ثم انقطع قبل الأنف؛ والرثم كل بياض أصاب الجحفة العليا قل أو كثر فهي رثمة.

واللمظة كل بياض في الجحفة السفلى. والفرس المظ وأرثم. فإذا شاب الناصية بياض فهو أسعف، فإذا خلصت بياضاً فهو أصبغ، فإذا انحدر البياض إلى منبت الناصية فهو المعمم. والتحجيل بياض يكون في قوائمه، أو في ثلاث أو اثنتين قل أو كثر. يقال: محجل أربع، فإذا كان البياض في ثلاث، قيل: هو محجل ثلاث مطلق يد أو رجل، والتحجيل مأخوذ من الحجل وهو الخلخال كأنه صار البياض موضعه، فإذا كان البياض برجليه قيل: محجل الرجلين، فإذا كان برجل واحدة قيل: أرجل، ويتشاءم به، لأن الحسين صلوات الله عليه قتل وهو على فرس أرجل. فإذا كان البياض في اليد اليمنى والرجل اليسرى مخالفاً فهو مكسور، وإذا كان في اليد اليمنى والرجل اليمنى فهو مطلق الأيمن ممسك الأيسر، وإذا كان بوجهه وضح وبأحدى يديه فهو اعصم، فإذا كان أبيض البطن، ولم يتصل ببياض التحجيل فهو أصبغ، وإذا صار في عرض الذنب بياض فهو أشعل، فإذا كان في أصل ذنبه فهو أصبغ، وإذا صار في عرض الذنب بياض فهو أشعل، فإذا كان في أصل ذنبه فهو أصبغ، فإذا بلغ البطن فهو أنبط فإذا ظهر من البطن فهو أبلق.

### أحكام الأرضين

قال الصولي في الأرض ثلاثة أحكام: فأرض عشر غنمها المسلمون، فخمسها للإمام وتجعل أربعة أخماسها بين الذين افتحوها ويقتى خمسها لمن سمى الله، فهي أرض عشر. وكل أرض استحياها إنسان، وقد كانت موثاً قبل ذلك، فاستنبت لها ماء أو استخراج عيوناً فهي أرض عشر، إلا أن يكون الماء الذي أجراه إليها من ماء الخراج فتكون أرض خراج. فهذه الأرضون كلها لأهلها ملك إيمانهم لا شيء عليهم فيها غير العشر إن كانت تشرب سيجاً أو من ماء السماء، وإن كانت تشرب بالدالية وأشباه ذلك مما يعتمل

فيه، ففيها نصف العشر.

وأرض افتتحت صلحاً على خراج معلوم، فأهلها على ما صلحوا عليه إلا أن يلزمهم غيره، والأرض ملك لهم.

وأرض افتتحت عنوة، ففيها اختلاف؛ زعم بعضهم أن سبيلها سبيل الغنيمة تخمس وتقسم، فيكون أربعة أخماسها حططاً بين الذين افتتحوها خاصة، والخمس الباقي لمن سمى الله تعالى، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بجبير. وقال بعضهم: حكمها والنظر فيها إلى الإمام، فإن رأى أن يجعلها فيئاً، فلا يخمسها ولا يقسمها، ولكن تكون موقوفة على المسلمين عامة ما بقوا كما فعل عمر بالسواد؛ فإنه لما افتتح المسلمون السواد قالوا: أقسمه بيننا، فقال: فما لمن جاء بعدكم من المسلمين؟ وأخاف أن تفاسدوا بينكم في المياه، فأقر أهل السواد في أرضهم وضرب على رؤوسهم الجزية، وعلى أرضهم الطبق، وهو الخراج، ومعنى الطبق والخراج واحد.

### القطائع

قال أبو بكر: يروى عن طاوس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "عادي الأرض لله ولرسوله ثم هي لكم" يعني أنها تقطع للناس.

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أقطع جماعة من المهاجرين والأنصار من أموال بني النضير وكانت صفيماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة. فكان فيمن سمي ممن أعطى أبو بكر رضي الله عنه أعطاه بئر حجر؛ وعمر رضي الله عنه أعطاه بئر جرم، وعبد الرحمن بن عوف سؤلة، وأقطع صهيياً الصراطة، وأقطع الزبير وأبا سلمة بن عبد الأسد البريلة، وأقطع أبا دجانة وسهل بن حنيف مالا يقال له حرسه، وأقطع رجلاً من الأنصار أرضاً، فكان يخرج إليها فيرجع فيقال: نزل بعدك من القرآن كذا أو قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا. فقال: يا رسول الله إن هذه أرض تشغلني، فأقبلها مني فلا حاجة لي فيها فقبلها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: أقطعنيها فأقطعها إياها، وأقطع الزبير أيضاً بجبير أرضاً فيها شجر ونخل، وقصرها، وكتب له بذلك كتاباً، وأقطع عتبة بن فرقد موضع داره بمكة مما يلي المروة.

ولما أسلم تميم الداري قال: يا رسول الله إن الله يظهرك على الأرض كلها فهب لي قريتين من بيت لحم، قال: "هي لك"، وكتب له بها كتاباً فلما ظهر عمر رضي الله عنه على الشام جاءه بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر: "أنا شاهد ذلك فأعطاه إياها". وبيت لحم هذه من القرية التي ولد فيها

عيسى عليه السلام.

واستقطعه أبيض بن جمال المازني الملح الذي بمأرب، فأقطعه إياه، فلما ولي قال رجل: إنما أقطعت الماء العد، فرده ولم يمضه له كأنه عليه الصلاة والسلام، لما قال له: الماء العد، رأى أنه شيء بين الناس جميعاً. ولم يكن صلى الله عليه وسلم يقطع حق مؤمن ولا معاهد. فبهذا جرت السنة في الإقطاعات. وأقطع أبو بكر الزبير الجرف أيضاً مواتاً، وأقطع طلحة أرضاً، وكتب له كتاباً وأشهد له ناساً فيهم عمر، فأتى طلحة عمر بالكتاب ليختمه فقال: هذا كله لك دون الناس! لا أختم هذا. فرجع طلحة مغضباً إلى أبي بكر، فقال: أنت الخليفة أم عمر؟ فقال عمر ولكنه أبي وأبطل الإقطاع. وأقطع أبو بكر لعينة بن حصن الفزاري قطيعة، وكتب له بها كتاباً، فأتى عينة عمر فأعطاه الكتاب، فبصق فيه ومحاه وسأل عينة أبا بكر أن يجدد له الكتاب فقال: لا أجد شيئاً رده عمر. وأقطع عمر بن الخطاب الزبير العقيق أجمع.

وخرج رجل من أعل البصرة، يقال له نافع إلى عمر فقال: إن قبلنا أرضاً بالبصرة وليست من أرض الخراج ولا بأحد من المسلمين، فإن رأيت أن تقطعنيها أتخذ فيها قضاء لخلي، فكتب له أبي موسى: إن نافعاً سألني أرضاً على شاطئ دجلة، فإن لم تكن أرض جزية ولا خراج ولا أرضاً يجري إليها ماء جزية فأعطه إياها.

وأقطع عثمان خمسة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: الزبير، وسعداً، وابن مسعود، وأسامة بن زيد، وخباباً، من صوافي كسرى ومما جلا عنه أهله. ثم أقطع الخلفاء بعد ذلك. حدثنا فهد بن إبراهيم الساجي، قال: حدثنا محمد بن إبراهيم بن نافع قال: قدم المهدي البصرة، وقاضيه عليها عبيد الله بن الحسن العنبري، فقال له: انظر بيني وبين أهل المرعات فمر من أثمار البصرة، فجلس لهم وحضر المهدي وحضر من يناظره، فقال عبيد الله: ما تقول يا أمير المؤمنين؟ فقال: المسلمين كافة وفي مصالحهم إذا إقطاع من إمام فلا سبيل لأحد عليه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه قال: "من أحميا أرضاً مواتاً فهي له" وهذه موات. فقال: فوثب المهدي ووثب الناس حتى ألصق خده بالتراب عند ذكر النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: قد سمعت وأطعت. ثم عاد فقال: نفي أن يكون مواتاً والماء محيط بها من جوانبها، فإن أقاموا البينة على هذا سلمت لهم. فلم يأتوا ببينة. وأحب عبيد الله أن يتحدث الناس بأنه حكم على المهدي بحكم، فخلط حكماً بسؤال فضح المهدي ووثب، وتفرقوا. فعزله المهدي وقال: والله ما أردت إلا أن يقول الناس حكم على المهدي وإلا علمت أن الحق معي!

وبلاد المسلمين عامر وموات، فالعامر لأهله والموات شيخان: شيء ملكه الناس فأحيوه ثم حرب ومات، فهذا الموات لأهله لا يملكه عليهم أحد، إلا بإذهم وهو كالعامر. والموات الثاني ما لم يملكه أحد قط، فهذا

الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أحيا أرضاً مواتاً فهي له"، والإحياء أن يأتي إلى موضع لا ينازعه فيه أحد ولا لأحد فيه أثر فيحوزه ويسوق إليه بكلفة ومشقة أو يبني فيه بناء.

والعروق أربعة: عرقان ظاهران وهما البناء والغرس، وعرقان باطنان كالبئر والنهر. وقيل: من أقطع معدناً ملكه ملك الأرض وقيل: لا يملكه ملك الأرض إلا إن عمل فيه وإلا دفع إلى من يعمل فيه.

### جزية رؤوس أهل الذمة

قال أبو بكر بن يحيى الصولي: قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجرة من مكة، والناس أخلاط مسلمون ويهود ومشركون ومنافقون. فوادع يهود المدينة كلهم، على أن يكفوا عنه ويكف عنهم. فلما غزا تبوك، أمره الله بوضع الجزية، فصالح أهل أيلة، وأدرح، ووادي القرى، وتيماء، ووضع عليهم الجزية، وقدم المدينة فوضع الجزية على من بالمدينة ومكة وخيبر واليمن ونجران، من أهل الذمة، ووضع الجزية على رقباهم: على الرجل ديناراً ونحوه، وليس في ذلك النساء ولا الصبيان، وفي تجاراتهم نصف العشر، فلما فعل ذلك بهم صارت لهم ذمة وعهد وحب عليه صلى الله عليه وسلم أن يمنعه ممن ظلمهم، ويقال عنهم، ولم يكن لهم، وهم موادعون، أن يمنعهم ويقاتل عنهم وإن ظهر عليهم عدوهم. وقال قوم: أول من أدى الجزية أهل نجران. وقبل صلى الله عليه وسلم من الجوس الجزية.

حدثنا محمد بن يونس الكديمي وإبراهيم بن عبد الله اللحي، واللفظ للكديمي، قلا: حدثنا أبو عاصم قال: رأيت جعفر بن محمد رضي الله عنه بمكة، فقلت: يا ابن رسول الله حدثني قال: أفي هذا الموضع؟ فقلت: إن رأيت ولو حديثاً، فقال: سمعت أبي يقول: قال عمر بن الخطاب: لست أدري ما أصنع بالجوس! فقام إليه عبد الرحمن بن عوف، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسئل عنهم فقال: "استنوا بهم سنة أهل الكتاب". فقلت: يا ابن رسول الله زدني فضرب بغلته وسار.

وكانت الجزية أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم، على كل حالم ديناراً، وليس على النساء ولا الصبيان شيء. ثم ضرب عمر على أهل الشام - وبعضهم يقول على أهل الذهب - على الرجل أربعة دنانير وحنطة وزبيباً. ثم زالت الحنطة والزبيب. وضرب على أهل السواد ديناراً، والصفري اثني عشر درهماً ودينار على الطبقة السفلى، وعلى الوسطى دينارين أربعة وعشرين درهماً، وعلى العليا أربعة دنانير بثمانية وأربعين درهماً، وأسقط ذلك عن النساء والصبيان. وإنما فعل عمر ذلك على قدر اليسار والطاقة. فالذين يؤخذ منهم الجزية اليهود والنصارى والجوس والصائبون وقد أخذ عثمان رضي الله عنه من البربر.

واستيداء الجزية بغير ضرب ولا عنف. ويقبل منهم مكان الدنانير والدرهم الثياب وما أشبهها. وروي عن علي عليه السلام أنه كان يأخذ في الجزية من صاحب المال مالا، ومن صاحب الجبال حبالاً. ولا يأخذ فيها خمراً ولا خنازير.

ولا يباع في الجزية بقرهم ولا حميرهم ولا مواشيهم. واختلف الناس في قوله عز وجل: "عن يد وهم صاغرون"، فقال سعيد بن المسيب: يتعبون عند أخذها. قال أبو عبيد: لم يرد تكليفهم فوق طاقتهم، إنما أراد أن لا يعاملوا عند طلبها بالإكرام لكن بالإستخفاف. وكتب عمر إلى أمراء الأجناد أن يجتموا رقاب أهل الذمة، وأن تجز نواصيهم، وأن يركبوا الأكف عرضاً ولا يركبوا كما يركب المسلمون، وأن يربطوا الكستجات في أوساطهم ليعرف زبيهم من زي المسلمين.

وقيل: وهم صاغرون يعطيها قائماً والذي يأخذها قاعد. وليس على عبد جزية. وإذا أخذت الجزية منهم لم يكن لهم أن يظهروا شركهم حتى يسمعوا المسلمين، ولم يكن للمسلمين أن يتبعوهم فيما أخفوه عنهم. وعلى المسلمين أن يجروا عليهم أحكام المسلمين، قال: فهذا معنى وهم صاغرون. حدثنا محمد بن زكريا العلائي قال: حدثنا العباس بن بكار قال: حدثنا أبو بكر الهذلي قال: سمعت الحسن يقول: "كراء الدار جزية المؤمن؛ ولا يلزم الرهبان أصحاب الصوامع جزية، لفقرهم وتخليهم عن الدنيا".

### مبلغ ما كان يرتفع من الخوارج

ارتفع خراج الشام على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه خمسمائة ألف دينار، فلما أفضى الأمر إلى معاوية، قطع الوظائف على أهل المدن فوظف أهل قنسرين أربعمائة وخمسين ألف دينار، على الجماجم من ذلك الثلثان. وعلى أهل دمشق أربعمائة وخمسين ألف دينار، على الجماجم من ذلك الثلثان. وعلى الأردن مائة وثمانين ألف دينار، على الجماجم من ذلك الثلثان. وعل فلسطين مثل ذلك، ثم جعل بعد ذلك يصطفي الأرض الجيدة ويدفعها إلى الرجل بخراجها وعلوجها، والخراج على أصله لا ينقص منه شيء.

### ذكر مصر

دخل عمرو بن العاص مصر بصلح وعهد، فوضع عليهم من الجزية، على كل إنسان دينارين وثلاثة أراذب قمحاً، والأردب عند أهل مصر ست وبيات، والويبة كيل يكون ما فيه من الخنطة ثلاثون رطلاً بالبغدادي، إذا كانت الخنطة ثقيلة، فإذا خفت كانت سبعة وعشرين رطلاً، وجعل عليه مع الثلاثة أراذب

قسطين زيتاً وقسطين خلاً وقسطاً من غسل. والقسط كيل عندهم يكون ما فيه أربعة أرتال. ولهم من الشرط: أن لا تباع نساؤهم، ولا أولادهم، ولا أرضوهم ولا ديارهم، ولا تباع كنوزهم، ولا يزداد عليهم في جزيتهم.

فلم يزل ذلك على ذلك حتى ولي عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فكان إلى أيام عبد الملك بن مروان ألفي ألفي دينار، فإنه ولي أخاه عبد العزيز مصر فخط الأرضين، وذلك أنها كانت كثيرة فاقتطع أقواماً، وزداد ذلك على الجماجم فكانت تستأدى ألف ألف دينار، فرحلوا إلى عبد الملك يشكون، فلما رجعوا زاد عليهم عبد العزيز.

### ذكر السواد

اختلف الناس في خراج السواد، فروى بعضهم أن عمر رضي الله عنه، بعث عثمان بن حنيف لمساحة السواد، فمسح الأرض وجعل على جريب الكرم عشرة دراهم، وعلى جريب النخل خمسة دراهم، وعلى جريب البر أربعة دراهم، وعلى جريب الشعير درهمين. وروى أيضاً أنه جعل على كل جريب غامراً وعامراً، درهماً وقفيزاً، وعلى جريب الرطبة خمسة دراهم. وعلى جريب الشجر عشرة دراهم وعشرة أفضرة، ولم يذكر النخل. وقيل: جعل على كل جريب عامر وغامر يناله الماء بدل أو غيره عطل أو زرع درهماً وقفيزاً وألقى لهم النخل عوناً لهم. وجعل على كل جريب كرم عشرة دراهم، وعلى جريب الرطبة ستة دراهم، وعلى جريب السمسم خمسة دراهم، وعلى جريب الخضر من غلة الصيف، من كل جريب ثلاثة دراهم، وعلى جريب القطن خمسة دراهم.

وروي عن الشعبي أن عثمان بن حنيف مسح السواد، فوجده ستة وثلاثين ألف ألف جريب، فوضع على كل جريب درهماً وقفيزاً ولم يذكر غير ذلك.

وإلى هذا ذهب أكثر الفقهاء أن عمر رحمه الله، إنما أوجب الخراج على أهل الأرض خاصة، بأجرة مسماة، لأن مخرج الخراج مذهب الكراء، فكأنه أجرى كل جريب بدرهم وقفيز في السنة، وألقى من ذلك الشجر والنخل، فلم يجعل لها أجرة، لأن قبالتها لا تطيب حتى تسمن، فيكون ذلك مع الثمر قبل أن يبدو صلاحه، وقبل أن يجعلوا. قال: وهذا الذي كرهه الفقهاء. وفي هذا الحديث حجة لمن قال: السواد فيء للمسلمين، وإنما أهله عمال للمسلمين بكراء معلوم.

قال أبو بكر محمد بن يحيى الصولي: وهذه الأحاديث كلها تدل على أن جعل الخراج على الأرضين، التي تغل من ذوات الحب والثمار، وعطل من ذلك الدور والمساكن التي يتلونها فلم يجعل عليهم فيها شيئاً. وقال أبو حنيفة ومالك والثوري وابن أبي ذئب: إذا عمرت الأرض رأينا أن يزداد عليها، وإذا نقصت رأينا



أن يوضع عنها. وقالوا ليس على الغامر شيء وإن بلغه الماء.  
 وحد السواد التي وقعت عليه المساحة من لدن تخوم الموصل ماداً مع الماء إلى ساحل البحر ببلاد عبادان  
 من شرقي دجلة هذا طوله. فأما عرضه فحده من أرض حلوان إلى منتهى طرف القادسية المتصل بعذيب.  
 فأما خراجه فإن الواقدي ذكر أنه سال عبد الحميد بن جعفر كم مبلغ خراج سواد الكوفة على عهد  
 عمر؟ قال: سبعون ألف ألف درهم.  
 وروي عن محمد بن كعب القرظي، قال: أخبرني أهل الأرض بالعراق، أنه بلغ الخراج على عهد عمر  
 وعثمان رحمهما الله مائة ألف ألف. فلما ولي معاوية صار إلى خمسين ألف ألف وهدايا النوروز  
 والمهرجان خمسون ألف ألف لنفسه، وكان قد اصطفى أموال كسرى فكان يقطع فيها ويصل ويحيز من  
 يشاء.

ثم بلغ الخراج في فتنة ابن الزبير ستين ألف وهدايا النوروز والمهرجان وصواف نحو عشرين ألف ألف،  
 فلما ولي الحجاج صار إلى أربعين ألف ألف، وما كان يصل إلى ذلك إلا بضرب الأبدان، فلما قتل ابن  
 الأشعث، قال الحجاج: الآن فرغت لأهل السواد فعمد إلى رؤسائهم، وأهل بيتوتاتهم من الدهاقين،  
 فقتلهم صبراً وجعل كلما قتل من الدهاقين رجلاً، أخذ ماله وأضر بمن بقي منهم إضراراً شديداً،  
 فخرجت الأرض فمات الحجاج والخراج خمسة وعشرون ألفاً، فكان الأمر على ذلك حتى ولي عمر بن  
 عبد العزيز، فولى عبد الحميد بن عبد الرحمن السواد، وتقدم إليه أن يرجع إلى ما وضع عليهم عمر بن  
 الخطاب رضي الله عنه في أرضهم ورقابهم، ولا يقبل من أظافهم شيئاً في أعيادهم.  
 وأول من أحدث هدايا النوروز والمهرجان الوليد بن عقبة بن أبي معيط، ثم سعيد بن العاص بعده، فضج  
 الناس إلى عثمان رضي الله عنه فكتب إليه فنهاه عن ذلك، فبلغ الخراج بعد هدية النوروز في أيام عمر بن  
 عبد العزيز ستين ألف ألف فكان يخرج أعطيات الناس وينفذ إلى عمر بعشرة آلاف ألف درهم.  
 حدثنا القاضي عمرو بن تركي قال: حدثنا الوليد بن هشام القحذمي، قال: قال الحجاج يوماً للدهاقين -  
 وقد اجتمعوا عنده: كم كان عمر بن الخطاب يجبي السواد؟ قالوا: مائة ألف ألف درهم. قال: فكم جباه  
 زياد؟ قالوا: مائة ألف ألف. قال: فكم نجبيه نحن اليوم؟ قالوا: ثمانين ألف ألف. قال: فلم ذلك؟ فقال له  
 ابن جميل بن بصبهري دهقان الفلوجيين: هذا كله لبيتين قالمهما شاعرهم الحارث بن حنزة. قال: وما هما  
 قال لقوله:

إنك لا تدري من الناتج

لا تكسع الشول بأغبارها

## وأصيب لأضيافك ألبانها

## فإن شر اللبن الوالج

فاستعمل عمالكم هذا فخربت الدنيا. ومعنى البيتين أن العرب كانت إذا أخصبت عاماً، لم تستقص الحلب، وتركت في الضروع بقية، وكسعت الضروع بالماء البارد ليتداد اللبن، فيكون أقوى لظهورها، فإن كان في العام المقبل جذب، كان فيها فضل وقوة حتى لا ينقطع اللبن، فقال هذا الشاعر: "لا تكسع الشول" وهي النوق، بأغبارها وهي بقايا ألبانها، إنك لا تدري من الناتج أي لعله أن يغار عليك فتؤخذ أو تموت، فيأخذها الوارث. فالصواب أن تتعجل منفعتها. أي فعمل العمال هذا وأخذوا العاجل، ولم يعمرُوا للعام المقبل فتقص الخراج لذلك.

وهو الخراج والخرج. قرأ أهل الكوفة خراجاً بالألف في كل القرآن إلا عاصماً فإنه قرأها هو وأهل المدينة وأبو عمرو خرجا بغير ألف، وكذا قرأ ابن عباس رضي الله عنه.

والخراج في اللغة الأجر، ومنه خراج الأرضين. وقال الفراء: الخراج أعم والخرج أقل، كأنه شيء من الخراج. ويقال للذمي: أد خرج رأسك فخراج ربك خير. قال الكلبي: فرزق ربك خير.

وقال الحسن - وهو الصواب: فأجر ربك خير لك في الآخرة من أجورهم في الدنيا، إذ كان أكثر الناس على أن الخراج الأجر وأخرجه. وحكى التوجي أن أعرابياً قال: ما مواعيدكم إلا أسربة فجمع سراًباً أسربة، وخرج وخروج مثل فلس وفلوس.

## القبالات

قال أبو بكر: حدثنا محمد بن القاسم أبو العيناء قال: حدثني الأصمعي عن أبي الأشهب عن الحسن قال: جاء رجل إلى ابن عباس رحمه الله فقال: أتقبل منك الأبله بمائة ألف؟ فضربه ابن عباس وصلبه. وروى أن عبد الرحمن بن زياد قال: أنا قلت لابن عمر: إنا نتقبل الأرض فنصيب من ثمارها يعني الفضل، فقال: ذلك الربا العجلان. وقال ابن عباس رضي الله عنه القبالات حرام.

وقال سعيد بن جبیر: لا خير في القبالة، وإنما كرهوها لأنها بيع ثمر لم يخلق بعد، ولم يبد صلاحه، وزرع نابت لم يستحصد، ومن قبل أن يزرع فهذا هو الغرر المنهي عنه.

وقال بعض الفقهاء فيها: إنه يحكم على الله أن يصير الأمر على ما يريد، فإذا كان الشيء معلوماً جازت القبالة والإجارة، كأنه قول الرجل: قد أجزت هذه الدار بعشرة دراهم شهراً معلوماً، فإن كانت الإجارة أربعة، أو جهل منها واحد جاز، فقد عرفت الدار وعرفت المدة ووصفت، وعرفت الدراهم، فهذه ثلاثة إن كانت قد عرفت، ولم يعرف هل يسكن الدار وحده أو هو وعياله؟ ولا يعرف عدد عياله، فهو جائز.

## ما يفضل من المال

قال محمد بن يحيى: حدثنا عبد العزيز بن معاوية القرشي، قال: حدثنا جعفر بن عون قال: حدثنا هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "اجتمعوا لهذا المال فانظروا لمن ترونه، إني سمعت الله عز وجل يقول: "ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كيلاً يكون دولة بين الأغنياء منكم"، والله ما لهؤلاء وحدهم. "والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم". والله ما هو لهؤلاء وحدهم. "والذين جاعوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان". والله ما من أحد من المسلمين إلا وله حق في هذا المال، أعطي منه أو منع حتى راع بعدن".

وقال عمر يوماً: قد أعطيت الناس حقوقهم، وفضل عندي مال ما ترون فيه؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين لك حاج، وتنوبك نواب لا تنوب غيرك، فخذه إليك لذلك فإن أنفسنا طيبة لك به. وعلي رضي الله عنه ساكت، فقال: ألا تتكلم يا أبا الحسن؟ فقال: قد أشار عليك القوم، فقال: لتقولن. فقال: لم يجعل علمك ظناً ويقينك شكاً، قال: قد قلت قولاً لتخرجن منه، قال: أما تذكر حين بعثك رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدقة، فأتيت العباس فمنعك الصدقة، فأتيتني فقلت: إن العباس منعي الصدقة، فانطلق معي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلقت معك فوجدناه مهموماً، فرجعنا ولم نقل شيئاً له، ثم رجعنا وقد طابت نفسه، فقال: "إن كان عندي ديناران فكأتهما يهمانني حتى وجهتهما". فقلت: إن العباس قد منعي الصدقة، فقال: "إن عم الرجل صنو أبيه" قال: لا جرم إني أشكر لك المرتين جميعاً قال: فأشرك علي. قال: فإني أشير عليك أن تقسمه، فدعا عمر عبد الله بن الأرقم، فقال: كم في بيت المال؟ قال: كذا وكذا، قال: "لولا أني أرى أن أقرب لمنفعته أن يكون معاً، لقسمت الأول فالأول"، فقام رجل من ثقيف فقال: يا أمير المؤمنين أعدده للبوائق فقال: "كلمة شر يستن بها أمراء السوء من بعدي، أعطاني الله جوابها، بل أعد لها ما أعد لها رسول الله صلى الله عليه وسلم تقوى الله وطاعته".

ولما حبس معاوية على الناس أعطياهم، قام إليه أبو مسلم الخولاني وهو يخطب فقال: يا معاوية إن هذا المال ليس لك ولا لأبيك وأمك، فلم حبست على الناس العطاء؟ فغضب ثم نزل فدخل وأوماً إلى الناس أن تشتبوا ولا تتفرقوا، ثم خرج فعاد إلى المنبر فقال: أيها الناس إن أبا مسلم الخولاني قد قال ما قال فوجدت لذلك، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا غضب أحدكم فليغتسل"،

وصدق أبو مسلم فاغدوا على أعطياتكم فخذوها على بركة الله. ثم كانت فضول الأموال تحمل إليه فيصل بها من أحب وينفق كيف يريد.

### مكاتبة المسلم وغيره

مضت السنة في المكاتبة أن يتدئ المكاتب نفسه على المكتوب إليه. يروى أن العلاء بن الحضرمي كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبدأ بنفسه. وروى الربيع بن أنس أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يكتبون إليه من فلان بن فلان إلى محمد رسول الله. وقد رخص في تقديم المكاتب. روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "إذا كتب أحدكم فليبدأ بنفسه إلا إلى والد ووالدة أو إمام". وروى يحيى بن أبي كثير أن زيد بن ثابت كتب إلى معاوية فبدأ باسم معاوية.

قالوا: والكتاب إلى المسلم: سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. وإلى غير المسلم: والسلام على من اتبع الهدى. كذا كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل عظيم الروم وإلى كسرى وإلى مسيلمة الكذاب. وقد روي أنه رخص في رد السلام على الكافر، وأن رجلاً منهم كتب في آخر كتابه إلى النبي صلى الله عليه وسلم: سلام عليك. فأمر النبي صلى الله عليه وسلم الكتاب أن يرد عليه السلام. وإنما كتبوا في أول الكتاب سلام عليك، لأن النكرات أوائل الأشياء والمعارف الثواني، فافتتحوا بالنكرة فإذا ردوه عرفوا فقالوا: السلام عليك فعرفوه بألف ولام أي هذا ذلك الأول. كقولك في الكلام مربي رجل فكان من أمره كذا وكذا، ثم قال لي الرجل: كذا، فعرفت أنه ذلك الذي ابتدأت بذكره.

وقال بعضهم إذا كان الشيء مهماً لا ينفصل بعضه من بعض تكلموا به مرة بالألف واللام، ومرة بطرحها كقولهم: قلت خيراً، وقلت الخير، وكسبت مالاً وكسبت المال، ولا أراك الله سوءاً ولا أراك السوء.

### ما في الإنسان وغيره

وهذا شيء لا يسع الإنسان الثنايا، وهي أربع: اثنتان من فوق واثنتان من أسفل. ثم الرباعيات الواحدة رباعية مخففة الياء، وهن أربع ويقال لهذه الثمان الثغر. ثم الأنياب وهن أربع، ثم الضواحك والنواجذ، وهن ثمان، ويقال لهن العوارض، ثم الأرحاء وهي الأضراس: أربعة من فوق وأربعة من تحت في جانبي الفم، وهي الطواحن. واللحي مركب الأسنان وهو الفك، واللثة: اللحم الذي فيه الأسنان، والدردر

مغارز الأسنان في اللثة، والعمور اللحم الذي بين الأسنان الواحد عمر، وأضراس الحلم ضرسان: ثنتان في آخر الأضراس من أسفل لا من أعلى إذا صار الإنسان رجلاً.  
وما كان له خف مثل الحمل والنعامة، فإنه يقال لفته: مشفر وما كان له ظلف قيل له: المرمة والمقمة  
والجحفلة للحافر والخراطيم للسباع والمنسر والمنقار للطائر.

### الأطعمة

يقال: الوليمة، ولطعام الأبنية الوكيرة، ولطعام الولادة الخرس، لأن ما تطعم النفساء خرسة، وطعام الختان  
إعذار، وطعام القادم من سفر نقيعة.

ويقال: قرمت إلى اللحم قرمة، وعمت إليه عيمة. ويقال: يدي من اللحم غمرة وزهمة لأن الزهم  
الشحم، ومن الزبد واللبن وضرة، ومن السمك سهكة. وربما حمل بعض هذا على بعض.  
ويقال: أرغم الله أنفه، خص الأنف لأنه اطلع ما في الوجه، والرغام التراب يراد كبه الله على وجهه فإن  
أول ما يلصق منه التراب بالأنف، وقالوا: على رغم أنفه، ثم كثر حتى قالوا: على رغمه فألقوه الأنف.  
وقمقم الله عصبه جمعه حتى لا يحرك يداً لا رجلاً، والبحر قمقام من ذلك لأنه يجمع الماء. قالوا: والشأفة  
قرحة تخرج بالقدم فتكوى فتذهب، فإذا قالوا: استأصل الله شأفته، فكأما قالوا: أذهب الله كما أذهب  
الشأفة. وإذا أصابه ذلك قيل: شفيت رجله شافاً.

أسكت الله نامته، النميم الصوت الضعيف مخففة، ونامته مشددة ما ينم عليه من حركته.  
سخم الله وجهه سوده من السخام وهو سواد القدر.  
وأسخن الله عينه أي غمه وحزنه، لأن دمة الحزن حارة، ودمة الفرح باردة، فلذلك يقال: أقر الله عينك  
مأخوذة من القر.

وأباد الله خضراءهم أي سوادهم يريد أشخاصهم، ويقال للروضة الخضراء سوداء، ومنه صفة الجنيتين  
"مدهامتان" وقال الأصمعي: أباد الله خضراءهم أي غضارتهم. والغضراء طينة خضراء علكة.  
وفي جنبي الإنسا أربعة وعشرون ضلعاً، الواحدة ضلع وهي مؤنثة ويقال للمؤخرة منها ضلع الخلف.  
وهنا شيء يكثر في كلام الناس فذكرناه: تقول للرجل إذا أمرته بأخذ الشيء: ها يا رجل، وللاثنين  
هاؤما، وللجمع هاؤم وهاؤيا امرأة فتكسر الهمزة للمؤنث، وللمرأتين هاؤما، كما للمذكر في الإثنين وفي  
الجمع هاؤن تدخل النون لجمع المؤنث. فإذا أدخلت الكاف، قلت: هاك يا رجل، وهاك يا امرأة، وهاكاً  
للمذكرين والأثنين، وإن جمعت قلت للمذكران: هاكم وللاثنان هاكن. وإن أمرت بإعطائك شيئاً قلت  
للمذكر: هات يا هذا، وهاتيا وهاتوا، وللمؤنث هاتي وهاتيا وهاتين. وإذا سألت رجلاً عن رجل قلت:

كيف ذاك الرجل؟ وكيف ذاكما وكيف ذاكم؟ وإذا سألت رجلين عن رجلين، قلت: كيف ذانكما وكيف أولئكم.

وإذا سألت رجلاً عن المرأة، قلت: كيف تلك المرأة الخطاب للرجل وأول الكلام للمرأة، وفي الشنية كيف تانكما؟ وفي الجمع كيف أولئكم؟ فإذا سألت امرأة عن رجل، قلت: كيف ذاك الرجل؟ أول الكلام للرجل وآخره للمرأة. وكيف ذانكما وكيف أولئكن؟ بالنون لأن آخر الكلام للمؤنث. فإن سألت امرأة عن امرأة، قلت: كيف تلك المرأة وكيف تانكما وكيف أولئكن؟.

### مدح الإيجاز في ابتداء المكاتبة والجواب

قال محمد بن يحيى: حدثنا الحسين بن يحيى الكاتب قال: حدثنا إسحاق قال: سمع جعفر بن يحيى يقول لكتابه: "إن استطعتم أن تكون كتبكم توقيعات فافعلوا". وقال بعض الكتاب: الإيجاز في الابتداء أمكن منه في الجواب، ما لم يكن منه في إعدار وإنذار، وعود وبدء، وفتوح وعهود.

قال أبو بكر: والذي عندي أنه يحتاج الكاتب والخطاب والشاعر، إلى أن يخرجوا معانيهم في أقواتها من الألفاظ، على الاختصار، ما لم يحتج إلى إكثار، فإن احتيج إلى ذلك جيء به بما لا بد منه. وأكثر ما يقع ذلك في الرغبة والرغبة، ألا ترى إلى كتاب الله عز وجل وكلامه المعجز، كيف يكون فيه ذكر الجنة والنار، وقصة الأنبياء عليهم السلام، والنقمة ممن كذبهم، والأمر بالاعتبار بما نزل بهم، فكانت الحكمة في تقرير ذلك مما يفعل العرب، وسأتي بفعلهم بعد. ولأن الإنسان قد يقرأ بعض القرآن ويحفظ شيئاً منه دون شيء، فلم يخل الله عز وجل: كل موضع منه من ترغيب وترهيب، وإذكار واعتبار تفضلاً منه على عباده، واستدعاء لطاعتهم، ونهياً عن عصيانهم فوقع التكرير لذلك.

وقد حدثني محمد بن يزيد الميرد النحوي قال: حدثني أبو محمد التوجي عن أبي عمر الأسدي، قال: قيل لأبي عمرو بن العلاء: هل كانت العرب تطيل؟ قال: نعم ليسمع منها، قيل: فهل كانت توجز قال: نعم ليحفظ عنها.

وقد روي في هذا لأبي دؤاد الإيادي:

### وحي الملاحظ خيفة الرقباء

### يرمون بالخطب الطوال وتارة

واحتج من زعم أن الجواب ينبغي أن يكون أكثر من السؤال، لأن السؤال عنده استعلام، والجواب إعلام، وقد قال الله عز وجل: "وما تلك بيمينك يا موسى"، فافتضى الجواب أن يقول: "هي عصاي

أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي". ثم رأى أن منافعه بما كثيرة فاختصر ذكرها وقال: "ولي فيها مآرب أخرى".

وقالوا: "البلاغة لمحة دالة". وقالوا: "لا تنفق كلمتين إذا كفتك كلمة" وأنشدني أحمد بن إسماعيل الكاتب لنفسه:

على كثير دليل

خير الكلام قليل

يحويه لفظ طويل

والعي معنى قصير

وفيه قال وقيل

وفي الكلام فضول

أولا ترى إلى موضع الإيجاز بذكر الحجّة في القرآن كيف أتى مختصراً معجزاً وهو فيه كثير، فمنه قوله تبارك وتعالى: "وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم" ثم قال عز وجل في مكان آخر يذكر هذا: "ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة". ثم قال في مكان آخر، وقد أمرهم أن يعتبروا، فقرب ذلك عليه فقال: "وفي أنفسكم لأفلا تبصرون" ففي كل شيء من خلق الله عز وجل: للإنسان عبرة إلا أن أقربها وأخصرها أمر نفسه. ثم اختصر عز وجل أمره ونهيه، وتحليله وتحريمه، واستثنى في الذي أحل، ما نذكره بعد من حرامه، وفي الذي أحل وقتاً يحرم فيه كل ذلك. إذا كتب أجزاءه فيه سطر واحد، وهو قوله عز وجل: "يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتل عليكم غي محلي الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم ما يريد" فأمر بأن نوفي بعقوده ثم أحل بهائم الأنعام، واستثنى ما يحرم منها ما يجيء بعد، ثم ذكر أن هذا الحلال يحرم على المحرم. ولو أراد أبلغ الكتاب أن يجيء بهذه في أسطر كثيرة ما أمكنه على عجزه في حسن اللفظ والنظم. وهذا كثير يطول به الكتاب ذكرت ههنا طرفاً منه. قال وأنشدني محمد بن يزيد المبرد في وصف خاطب:

له أطل القول أو قصر

إذا ما انتدى خاطباً لم يقل

انتدى تكلم في النادي وهو مجلس القوم، وقد روي إذا ما ابتدا

م لم يعي يوماً ولم يهذر

طبيب بداء فنون الكلا

قضى للمقل على المكثر

فإن هو أطنب في خطبة

وحكى سيبويه أن امرأة من العرب كانت بغيا، فكان يقول لها القائل: خطب، فتقول: نكح وتمضي معه. وحكى أن رجلاً كان عود رجلاً أن يجيئه في وقت من الزمان، فيمضي معه إلى موضع معروف، حتى ألفا ذلك وعرفاه فكان يأتيه فيقول "ألا تا" فيقول: "بلى فا" يريد ألا تمضي؟ فيقول: بلى فامضي. وهذا

كله إنما يجوز مع الإفهام والمعرفة.

وأنشدني الحسين بن عمر الكاتب قال: أنشدني علي بن الحسين الإسكافي عن أبي محلم للأحيمر السعدي في كلمة:

وحاذر جواب المصمتين إذا سمت  
من القول ما يكفي المصيب قليله  
عيون العدى فالقول تبدو شواكله  
ويذهب في التقصير منه تطاوله  
ومنه الذي لا يكتفي الدهر قائله  
عنيته به في خطب أمر تراوله  
يصد عن المعنى فينزل ما تحاً  
فلا تك مكثراً تزيد على الذي

وكلم رجل سقراط في أمر بكلام أطاله وزاد فيه على ما احتاج إليه فقال له سقراط: "أنساني أول كلامك بعد آخره، وطول عهده مع تقارب أقطاره".

وقال آخر: الكلام أوعية والمعاني أمتعة، وقد يجمع في الوعاء الواحد ضروب من الأمتعة. وقالوا: السؤال بغي والجواب نصير.

وقال آخر: البلاغة في الجواب أوحده وأظهر.

وقالوا: الأجوبة أمهات الفوائد، تلدها بتلقيح السؤال.

وقالوا: "الجوابات المستكة" ولم يقولوا: المسائل المستكة.

وقالوا: لكل كلام جواب.

وقال سهل بن هارون: من فضل الجواب على الابتداء أن الابتداء يوجد في الجواب ولا يوجد جواب في ابتداء.

وقال آخر: "إني أدع الكلام خوفاً من الجواب، أنه يقع ولم يذكر"، يريد قولهم: السكوت جواب.

قال الصولي: حدثنا يونس بن محمد الكديمي، قال: حدثنا عبد الله بن داود الحذيمي، قال: سمعت الأعمش يقول: "السكوت جواب"، وهذا إنما أخذه من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال الصولي: حدثني محمد بن يونس الكديمي قال: حدثنا أبو بكر الحنفي قال: حدثنا سفيان الثوري قال:

حدثنا مالك بن أنس عن عبد الله بن الفضل، عن نافع بن جبيرة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الأيام أحق بنفسها من وليها، والبكر تستأمر وإذنها صماتها". وحدثني إبراهيم بن عبد الله

قال: حدثنا مسلم بن إبراهيم قال: حدثنا شعبة قال: حدثنا مالك بن أنس وذكر مثله.

وقال آخر:



## يا من بنا يرتاب

## ترك الجواب جواب

وقال بشار وذكر أن السكوت يعني من لا ونعم:

## وإذا قلت لها جودي لنا

## خرجت بالصمت من لا ونعم

وأنشدني أحمد بن يزيد المهلي عن أبيه قال: أنشدني الحسين بن الضحاك لنفسه:

## وإبأي مفحم بعزته

## قلت له إذ خلوت مكتنما

## تحب بالله من يخصك بالحب

## فما قال لا ولا نعماً

## ثم تثنى بمقلتي خجل

## أراد رجع الجواب فاحتشما

## فكنت كالمبتغي بحيلته

## برءاً من السقم فابتداقسما

وقال بعض الكتاب: أكثر حيل الكاتب في بلاغته يقصد شيئاً فيأتي بغيره ويدرجه فيه.

قال محمد بن يحيى الصولي: ومن ذلك ما حدثنا الحسين بن فهم قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن يوسف عن أبيه قال: دخلت على المأمون وفي يده كتاب ورد من عمرو بن مسعدة وهو يردد النظر فيه مرات، ثم قال لي: أظنك قد أفكرت في تردادي النظر في هذا الكتاب. قلت: قد أفكرت في ذلك. قال: إني عجبت من بلاغته واحتياله لمراده كتب: كتابي إلى أمير المؤمنين، أعزه الله، ومن قبلي من قواده وأجناده، في الطاعة والانقياد على أحسن ما تكون عليه طاعة جند، تأخرت أرزاقهم واحتلت أحوالهم "ألا ترى يا أحمد إلى إدماجه الخلة في الأجناد وإعفاء سلطانه من الأكثر، ثم أمر لهم برزق ثمانية أشهر. ونحوه هذا ما حدثني به أبو علي السجزي قال: لما ولي عبد الله بن سليمان الوزارة أوصلت إليه كتاباً من عبيد الله بن عبد الله وفيه شعر له:

## أبى دهرنا إسعافنا في نفوسنا

## وأعفنا فيمن نحب ونكرم

## فقلت له: نعماك فيهم أتمها

## ودع أمرنا إن المهم المقدم

فلما قرأ عبد الله هذا الشعر قال: ما أحسن ما احتال في شكوى حاله، بين أضعاف مدحه، فأوصل رقاعه إلي ففضى كل حاجة كانت له.

وحدثني علي بن الصباح، عن حماد، عن الهيثم بن عدي، قال: كان الحجاج يستبطن المهلب في حرب الأزارقة والمهلب، محسن مجتهد يستحق مكان الدم الشكر. فكتب إليه المهلب: "إن من البلاء أن يكون الرأي لمن تملكه دون من تبصره" فلما قرأ الحجاج هذا أقصر عن مكاتبته بمثل ذلك.

وحدثني الحسين بن علي العنبري قال: حدثني محمد بن معاوية الأسدي، قال: لما ظفر المهلب بالخوارج وفرغ من أمرهم قال الحجاج: الآن يرد كتاب المهلب طويلاً بوصفه، جامعاً لوصف يشرح أحواله، وإنه

لحقيق بكل وصف، وأهل لكل مدح. قال فورد كتابه.

"بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الكافيء بالإسلام فقد ما سواه، المعجل النعمة لمن بغاه، الذي يزيد من شكره، ويرزق من كفره.

أما بعد فقد كان من أمرنا ما أغنت جملته عن تفصيله. وكنا نحن وعدونا في مدة هذا التنازع على حالتين مختلفتين: يسرنا منهم أكثر مما يسوؤنا ويسوؤهم منا أكثر مما يسرهم؛ على شدة شوكتهم، واجتماع كلمتهم، وانزعاج القلوب لمخافتهم؛ حتى نوم بذكرهم الرضيع، وأصم لخوفهم السميع. فانتهزت منهم الفرصة عند إمكانها، بعد أن تنظرت وقت إبانها؛ واستدعى النهل عله، وبلغ الكتاب أجله. فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين".

ونحو هذا، إلا أنه في التهديد، ما حدثني به عبد الواحد بن العباس الهاشمي، قال: سمعت الرياشي يقول: كتب ملك الروم إلى المعتصم كتاباً يتهدده فيه فأمر بجوابه. فلما قربت الأجوبة عليه لم يرضها وقال للكاتب: "اكتب" فأملى عليه: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد قرأت كتابك، وسمعت خطابك. والجواب ما ترى لا ما تسمع. وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار".

وكتب أحمد بن يوسف إلى إسحاق الموصلبي يدعوه ويعلمه أن عنده قلماً "المعنى أنا وقلم وأنت أعلم". وكتب عبد الملك إلى الحجاج: "أما بعد فقد بلغني سرفك في سفك الدماء، وتبذير الأموال في الباطل، ومنعك الحق؛ فلا يؤنسك بي إلا طاعتك، ولا يوحشك مني إلا معصيتك".

قال: فكتب إليه الحجاج: "أما بعد فقد وصل كتاب أمير المؤمنين، وما قتلت إلا فيه، ولا أعطيت إلا له. فإن رأى أمير المؤمنين أن يمضي لي سالف، ويأمر لي بما أحب في مستأنفي؛ فعل إن شاء الله".

قال الصولي: حدثني محمد بن يزيد المبرد قال: حدثني العتي قال: كتب عبد الملك بن مروان إلى بعض ولده، وقد خالفه في شيء: "أما بعد فإني أمرتك بأمر فأتيت غيره، ووصيتك بوصية فأبيت إلا عصته. وخفت أنك بمثلة الصبي الذي إذا أمر بشيء أباه، وإذا نهي عن شيء أتاه؛ فيحتال له فيما ينفعه بأن ينهي عنه، وفيما يضره بأن يؤمر به. ويا سواي لمن هذه حاله والسلام".

### مكاتبة الإخوان

قال الصولي: حدثني محمد بن موسى بن حماد قال: سمعت الحسن بن وهب يقول: كاتب رئيسك بما يستحق، ومن دونك بما يستوجب، واكتب إلى صديقك كما تكتب إلى حبيبك. وقال بعض الكتاب: غزل المودة أرق من غزل الصباية.

وقال غيره: إني لألذ للمؤانسة كلذتي للملامسة.  
وحدثنا أبو العيناء قال: حدثنا الأصمعي قال: قال هشام: قد مرت لذات الدنيا كلها على يدي وفعلي،  
فما رأيت ألد من محادثة صديق ألقى التحفظ بيبي وبينه.  
قال الصولي: أو ما ترى حذق أبي تمام في قوله لآل وهب:

كل شعب كنتهم به آل وهب  
إن قلبي لكم لكالكبد الحر  
فهو شعبي وشعب كل أديب  
ي وقلبي لغيركم كالقلوب  
وهو القائل:

واجد بالخليل من برحاء الشو  
وأنشدنا أحمد بن إسماعيل لنفسه:

صدود الحبيب دعاء الغلي  
صددت فاشمت بي حاسداً  
ل وأغظ منه صدود الخليل  
عليك وحقت قول العذول  
وقال أبو تمام إلى ابن الهيثم:

سلام الله عدة رمل خبت  
ذكرتك ذكرة جذبت ضلوعي  
على ابن الهيثم الملك اللباب  
إليك كأنها ذكرى تصابي  
وقال إبراهيم بن العاس الصولي:

أميل مع الذمام على ابن عمي  
وإما تلفني حراً وطاعاً  
وأقضي للصديق على الشقيق  
فإنك واجدي عبد الصديق  
وقالوا: طرف الصداقة أملح من طرف العلاقة.

### ذكر الحساب

قال الصولي: لم نرد بذكر الحساب أن نذكر الضرب والقسمة والمعاملة، إما أردنا أن نذكر اللغة فيه  
ووصف الكتاب به إذ كان الحساب قد عملت فيه كتب يزيد بعضها على جملة كتابنا هذا، ولئلا يخلو  
هذا الكتاب من ذكره إذ كان أصلاً لا يستغني عنه الكاتب ولا بد لكل أحد منه.  
يقال: حسب يحسب حساباً وحسباناً مثل بني يبي بناءً وبنياناً والفعالان في مصدر فعل وفعل قد جاء،  
وإن لم يكثرا قالوا: رفع رفعاً وخسر خسراً وغنى غنياً. قال الحارث بن خالد:

## أجد بعمره غنيانها

## فتهجر أم شاننا شانها

والحسبان العذاب، ومنه قول الله عز وجل: "ويرسل عليها حسباناً من السماء"، والحسبان الاتكال، ولم نسمعه إلا مع ذكر الله عز وجل: يقال على الله حسباني وتكلاني قال الشاعر:

## على الله حسباني إن النفس أشرفت على طمع أو خاف شيئاً ضميرها

وقال الله تعالى: "الشمس والقمر بحسبان" أي يطلعان ويغيبان بأوقات وقتها اله لا تزيد ولا تنقص، فكانت كصحة ما يحسب. قال الله عز وجل: "وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلاً". وأجمع الحساب من كل جنس وملة، بكل خط ولغة، على أن تراكيب الحساب لا تعدوا أربعة: عدد يضرب في عدد، أو قسمة عدد على عدد. أو إلقاء عدد من عدد. أو زيادة عدد على عدد، وتكلموا في أوائل العدد ونهاياتها بكلام كثير، أحسنه ما قال الهند: إن الأعداد تبتدئ من واحد وتنتهي إلى تسعة، ثم تكون العشرة راجعة إلى حال الواحد على الرتبة.

وعلى هذا وصفوا حروفهم التسعة وقالوا: الحساب الهندي أخرج لكثير العدد إلا أن الكتاب اجتنبهه لأن له آلة، ورأوا أن ما قلت آتته، وانفرد الإنسان فيه بآلة من جسمه، كان أذهب في السر وألحق بشأن الرياسة، وهو ما اقتصروا عليه من العقد والبنان وإخراج رؤوس الجمل في أواخر السطور، وحط التفصيلات عنها واحداً دون آخر، وفرعاً دون أصل. وعني بعض الكتاب بذلك، حتى خف عقده وصار يلحق بينانه، مثل ما يلحق ببصره، ولا يستبين الناظر مواقع أنامله. وقد شبه عبد الله بن أيوب بن محمد التيمي وميض البرق بخفة يد الحاسب فقال:

## أعني على بارق ناظر

## خفي كوحيك بالحاجب

## كأن تألقه في السما

## يدا كاتب أو يدا حاسب

وقال بعض الكتاب:

## وناطق تخبر ألفاظه

## عن نغمات العود بالزمر

## بيننا تراه عاقداً خمسة

## وستة صار إلى عشر

## وصار من بعد إلى واحد

## كحاسب أخطأ في كسر

ومن أحسن ما قيل في تشبيهه يد الحاسب بوميض البرق بعد قول التيمي قول عنترة من أبيات:

## وفرضت للناس الكتابة فاحتذوا

## فيها مثالك والعلوم فرائض

وإذا حسبت فأنت برق وامض

وإذا خططت فأنت غيث معشب

وإذا جلست فأنت ليث رابض

وإذا نهضت فأنت نجم ثاقب

وإليك يرجع حين يشكل غامض

فبك التمثل حين ينعت فاضل

وقد زعم قوم أن قول الله عز وجل: "فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة". إنما قصد به الإفادة إذ كانت العرب لا تعرف دقيق الأعداد وليست ممن يحسن الحساب واحتجوا بقول الفرزدق:

وواحدة تميل إلى سمام

ثلاث وانتنان فهن خمس

قالوا: فلولا أنه رأى ذلك فائدة ما قاله. واحتجوا بقول النبي حدثنا، حين أخبر أن الشهر قد يكون تسعاً وعشرين "الشهر هكذا" وفتح أصابع يديه العشر "وهكذا وهكذا" وثني إحدى أصابعه في الثالثة. وقيل: المعنى أنه لما فصل بين السبع والثلاثة بإفطار أخبر أنها كالمتصلة، إذ كان قد أتى بها كما أمر فقد كملت له. وقيل: بل أراد أنها كملت فدية حين وصل السبعة بالثلاثة.

وكان بعض العرب باع جوهرًا نفيساً، بألف درهم فقيل له: قد كان يساوي أكثر من هذا فقال: ما ظننت أن عدداً أكثر من ألف. وقال ابن الرومي:

زاد الحساب على المحسبة

وكنت حسبت فلما حسبت

وقال الخليل بن أحمد يهجو رجلاً كانت يده مقبوضتين عن البذل فقال:

ولم يك بخلهما بدعة

كفاك لم يخلقا للندی

وتسع مئبها لها شرعه

فكف ثلاثة آلافها

كما نقصت مائة سبعة

وكف عن الخير مقبوضة

وقال النابغة للنعمان في اعتذاره إليه: كن حكيماً في إنصافي، كما حكمت جارية كانت لها حمامة، فرأت قطاً محزرتة ستاً وستين فقالت:

إلى حمامتيه

ليت الحمام ليه

ثم الحمام مائه

أو نصفه قديه

قالوا: وكانت لها قطاة وجعلت القطا حماماً. وقيل: أراد النابغة: احكم علي بعدل، كما حكمت هذه في العدد فأصابته. والأول أجود وهو قول الأصمعي، أفلا ترى إلى النابغة كيف حكى هذا ونسب هذه الفتاة إلى حكمة وعدل حين أحسنت العدد فقال.

واحكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت

إلى حمام سراع و وارد التمد

التمد الماء القليل.

قال أبو عبيدة: وكان يقال للجارية: الزرقاء واسمها عتر، وكانت من حديس. وقال غيره: القائلة لهذا هند بنت الخس:

قالت: ألا ليتما هذا الحمام لنا

إلى حمامتنا أو نصفه فقد

قولها "فقد" أي حسبي وقدك حسبك.

فحسبوه فألفوه كما زعمت

تسعاً وتسعين لم ينقص ولم يزد

فكلمت مائة فيها حمامتها

وأسرعت حسبة في ذلك العدد

ومن المشهور الذي يتطارحه الناس أشعار:

لها الثلثان من قلبي

وثلاثا ثلثها الباقي

وثلاثا ثلث ما يبقى

وثلث الثلث للساقى

وتبقى حصص ست

لقسم بين عشاق

الأصل مائتان وثلاثة وأربعون، ذهب الثلثان مائة واثنان وستون، الباقي أحد وثلاثون، ذهب ثلثا ثلثه، يبقى سبعة وعشرون فيذهب ثمانية عشر وهو قوله: وثلاثا ثلث ما يبقى وتبقى تسعة ثلثها للساقى، وهو قوله: وثلث الثلث للساقى ويبقى ستة فصيرها حصصاً ليستوي له الشعر. فقال: ويبقى حصص ست لأنه لو قال: اسهم كانت ستة.

### نقصان الألف وإسقاطها

ألف الوصل لا يجوز إسقاطها من الخط إلا في ثلاثة مواضع: تحذف من بسم الله الرحمن الرحيم وقد ذكرنا ذلك.

وتسقط من ابن إذا جاء بعد اسم ظاهر في معنى فلان، وكان مضافاً إلى اسم ظاهر كالإسم الأول، وكان الابن نعتاً للإسم كقولك: مررت بزيد بن محمد، وجاز إسقاط الألف لأن الإسم الأول ولآخر قد دلا على الابن فعرف موضعهما فحذفت، وإنما فعلوا ذلك للإيجاز، فعلى هذا أجر الابن ما دام الابن واحداً، فإذا تبيت كتبت: جاءني زيد ومحمد ابنا عبد الله كان بالألف، وإذا كان الابن مبتدأ لم يجز إسقاط الألف منه لأنه لم يأت قبله ما يدل عليه، وكذلك إذا كان خبراً قبح إسقاط الألف كقولك: إن محمداً ابن زيد

لأنه كالمبتدأ، ولئلا يشبه الخبر النعت، وكذلك إذا أضيف إلى اسم ليس في معنى فلان كقولك: زيد ابن الرجل الصالح، وكذلك إذا أضيف إلى مكني عنه كقولك: زيد ابنك، أثبتت الألف في هذه كله، فإذا صرت إلى المؤنث كتبت فلانة ابنة فلان بالألف لا يجوز إسقاطها، لأن النسب بالنساء لم يكثر فيعرف موضعه، كما كثر في الرجال، ولأن في ابنة لغة أخرى يقال: بنت بالتاء، ومن العرب من يجعل الهاء في ابنة تاء لأنه يبيّن الكلام على الإضافة لأن الهاء تصير في ابنة تاء لئلا يلتبس فيقال: ابنت. والموضع الثالث أن تكون ألف الوصل مع لام، كقولك: "الرجل" فإن هذه الألف تسقط إذا كانت لام الصفة معها، وهي اللام الزائدة مكسورة أو مفتوحة، فالمكسورة مثل قولك: "للرجل" مال. والمفتوحة كقولك: "لثوب" خير من ثوبك وأشبه ذلك، وإنما فعل ذلك لأن الحرف علم مع إسقاطها فمالوا إلى التخفيف فهذه قصة ألف الوصل.

فأما حذف الألف إذا كانت حشواً نحو خالد ومالك وما يشبه ذلك فأكثر ما تحذف إذا كانت في الأسماء المستعملة لمعرفة الحرف فإذا كانت في اسم فهو نعت لم تحذف، مثل شاكر وصابر وظالم وصادق، وأشبه ذلك، لأن النعت لا يتكرر للإنسان فيتكرر الاسم فيعرف. وقد أسقطوها من صالح نعتاً ولا نعلمهم أسقطوها من غيره، وذلك أنهم شبهوها بالإسم لما كثر صالح في أسماءهم، وهو رديء في القياس. فإذا صرت إلى الجمع سهل إسقاط الألف لقلّة إشكاله، مثل الظالمين والكافرين وإثباتها أجود. فأما ما كان من بنات الباء والواو نحو: الراضين والساعين وفي الرفع: لراعون وأشبه ذلك فلا يجوز طرح الألف منه لأنه قد حذف منه موضع اللام من الفعل، وهو الباء، لأن الأصل الراعيون في الرفع والراعيين في النصب والخفض، فالباء الأولى تسكن لأنها معتلة وباء الجميع أو واوه ساكنة، فأسقطوا الباء الأولى للالتقاء الساكنين، واستقبحوا أن يحذف الألف، وقد حذفوا لام الفعل فيجحفوا بالحرف. فإذا أُلّف دراهم فإنما يجوز حذفها إذ تقدمها ما يدل على الجمع كقولك: ثلاثة دراهم وأشبه ذلك وإذا كانت مفردة لم يجوز إسقاطها وما كان مثل عمران ومروان وسفيان وسلطان فإثبات الألف فيه أجود، وإن أسقطتها من الاسم الذي يعرف بسقوطها فجائر. وفي الجملة إن إسقاطها يحسن فيما كثر استعماله من الأسماء.

وقد حذفوا ألف أولئك الثانية استغناء عنها لعلمهم بالحرف. وقد حذف قوم ألف النداء في المصحف فكتبوا: يداود ويعيسى بغير ألف، وإنما حملهم على ذلك علمهم بالنداء وإثبات الألف أجود وأقيس، والسلام عليك إذا أردت التسليم، فكلهم يكتبه بغير ألف. فإذا قلت كان برداً وسلاماً وهذا عباً السلام

فبالألف أجود، وإن كتبت بغير ألف جاز. ويكتبون: ثنية دراهم وثنى ليال، بغير ألف لمعرفةهم بالحرف فإذا قالوا: ثمان أثبتوا الألف كراهية حذفها مع حذف الياء، فيحذفوا بالحرف كما ذكرنا متقدماً.

### نقصان الألف

قال الصولي: لا يكادون يزيدون الألف إلا بعد واو الجمع، مثل آمنوا وكفروا. قال الفراء: وإنما فعلوا ذلك ليفرقوا بين واو الأصل واو الجمع، وواو الأصل التي تكون في مثل: يغزو ويدعوا وأشباه ذلك. وقال الأخفش: وإنما فعلوا ذلك لئلا يشبه واو الجمع وواو العطف، إذ كان يجيء في الكلام كفر وفعل وهذا القول يصح إذا كانت واو الجمع تنفرد وتنكسر إذا اتصلت مثل آمنوا وكفروا وظلموا لأنه لا يشبه أمر وفعل.

قال أبو بكر محمد بن يحيى الصولي. وحدثنا أحمد بن يحيى النحوي ثعلب قال: سألت محمد بن عبد الله عن إتيان الألف في: ضربوا وقاموا، فقلت له: قال الفراء: فرقوا بين الواو الأصلية في أرجو وأخو وحمو وبين التي ليست بأصلية في ضربوا.

قال الأخفش: كرهوا أن يظن أنها واو نسق إذا كتبوا كفر وفعل ثم بنوا على ذلك. وقال الخليل: الضمة تنقطع إلى همزة فاستوثقوا بالألف، فقال محمد: لا يقع مثل هذا إلا في طبع الخليل. قال أبو العباس: والذي عندي فيه أن اللف جعلت بدلاً من المكنى، وهو الهاء لأهم إذا قالوا: ضربه، سقطت الألف، فإذا قالوا: ضربوا، ثبتت، ليعلم أن الحرف قد انفرد، وأخو وأبو، لا تثبت الألف فيه لأن الواو أصلية فالحرف قائم بنفسه: أخو زيد وأبوه. والألف في: مائة زيدت فيما ذكر الأحمش لفصل بينها وبين منه، إذا قالوا: أخذت مائة، لم يشبه أخذت منه، وقالوا أيضاً: فعلوا لئلا يشبه مية. وهذا قول مردول لأن مية متى تذكر وتقع في كتاب. والناس من أهل البصرة والكوفة على ما قاله الأخفش.

### الهمز

الهمزة إذا كانت لام الفعل - ومعنى الفعل أن تكون آخر الحرف مثل قرأ ونبأ واستهزأ - فإنها تثبت في الحرف ولا تسقط كما تسقط الياء وتكتب على ما قبلها فإن كان الذي قبلها مفتوحاً، كتبت بالألف وإن كان مكسوراً بالياء، وإن كان مضموماً، كتبت بالواو؛ ومن ذلك أن تكتب، إذا أمرت من قرأت: إقرأ بالألف، ومن نبأت نبيء بالياء، ومن سؤت سؤ بالواو. فإن لم تكن في موضع جزم، وانضم ما قبلها، كتبت بالواو، كقولك: وهو يسوء زيداً فإذا انكسر ما قبلها، كتبت بالياء مثل يستهزئ.



وإذا انفتح ما قبلها فقد اختلف في كتابتها في الرفع، فكتب بعضهم: هو يقرأ ويخبأ، بالألف والواو للزومهم القياس، في كتابتهم الهمزة بالألف، إذا انفتح ما قبلها، فإذا انفتح ما قبلها زادوا الواو في الرفع، وقد كتب في المصحف على هذا المذهب بالياء نحو: "ولقد جاءك من نبيي المرسلين"، بالألف والياء بعدها، وهذا قبيح لأن فيها اشتباه المقصور بالمدود.

قال: وإذا قالوا: الهمزة لام الفعل فهي آخره، مثل الباء من ضرب واللام من فعل، فإذا قالوا: هو عين الفعل، وقعت موقع العين من قولهم فعل مثل الراء من ضرب والتاء من قتل، فإذا قالوا: هي فاء الفعل فإنما وقعت أولاً مثل الفاء من فعل وهي مثل الضاد من ضرب والقاف من قتل.

وإذا كانت الهمزة فاء الفعل، مثل: أتى وأبى وأذن فإنما تأتي مختلفة. تقول: إذا أمرت: إيت فلاناً وإيذن له فتصير الهمزة ياء، وذلك لأنهم يكرهون اجتماع الهمزتين فتصير الثانية ياء، لسكونها وانكسار ما قبلها.

فإذا أدخلت عليها حروف النسق، أسقطت الياء فلم تثبت في الكتاب فتقول: إيذن لفلان وأذن لفلان إيت فلاناً وآت فلاناً، وإنما فعلوا ذلك لأن الهمزة إذا انفتح ما قبلها صارت ألفاً فكرهوا اجتماع الألفين في الكتاب، فحذفوا إحداهما وهي ألف الأمر. وإنما حذفوا لأنها تذهب من اللفظ في الوصل والهمزة تثبت في اللفظ فالحقها كذلك.

وأما في ذوات الأربعة، وهو أن تضيف الحرف إلى نفسك، فتجده على أربعة أحرف مثل: أكلت وأمرت، فإن الهمزة تسقط في هذا الباب، في الأمر فتقول: مر فلاناً بكذا وكل طعامك وكان الأصل: أو كل أو مر، فلما سكنت الهمزة وانفتح ما قبلها، صارت واواً، وكل واو وقعت بين ضميتين أو كسرتين تسقط، فلما سقطت الواو، بقي أمر، فأسقطت الألف المجتلية للأمر، لأنها إنما تدخل لسكون أول الحرف، ذلك كان لا يتبدئ بالساكن فلما تحرك أول الحرف أسقطوها استغناء عنها فبقيت مر وكل. فإذا أدخلت حرف النسق، فالأجود أن يكون الحرف على حاله، وإن شئت رددت الهمزة، فأثبتت الألف.

وفي القرآن: "وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها" بإثبات الهمزة، وإنما ترد الهمزة لأن ألف الأمر التي أسقطتها تذهب في اللفظ فترجع الهمزة فتثبت الألف في الكتاب وترك الهمزة أكثر ولا نعلم جاء الهمز إلا في: "وأمر"، وكانت تجوز على القياس فإذا سكن ما قبل الهمز، فإن أكثر ما جاء عن العب إسقاطها من الكتاب إلا أن يكون أثر جاء فيه، من ذلك قول الله عز وجل: "لكم فيها دفء ومنافع" و"يخرج الخبء" و"يحول بين المرء وقلبه"، كتبوا بغير ألف هذه كلها من العرب من يكتبها على لفظها، إذا سكن ما قبلها فإن كانت مضمومة، كتبها بالواو وإذا كانت مفتوحة كتبها بالألف، وإذا كانت مكسورة كتبها بالياء، كتبوا: "هن نساؤ صدق"، بالواو و"رأيت نساء صدق" بالألف ومررت بنسائي

صدق. بالياء.

فإذا كانت الهمزة آخر الحروف، والحرف ممدود، كتب بألف واحدة في النصب والخفض والرفع، كقولك: رأيت عطاء وشربت ماء ومررت بعطاء وهذا عطاء. فأما في الخفض والرفع، فلم تثبت الواو ولا الياء لأنهم يستقلونهما طرفاً.

وأما في النصب فلأنهم يكرهون اجتماع شبيهين، فإذا اجتمعت في الحرف ألفان، كتبوه بألف واحدة كقولك: شربت ماء، ألا ترى أن ههنا ثلاث ألفات الأولى والهمزة المفتوحة وألف الإعراب. وكل ممدود منصوب فالصواب أن يكتب بألفين لأن فيه ثلاث ألفات. ومما يستحسن فيه الجمع بين ألفين: قولك: قد قرأ وجاء، وذلك ليكون فرقاً بين الواحد والمثنى، وكتبت لفلان برأت ليكون فرقاً بين الواحدة والجمع، ولأن من العرب من يقف على براءة بالتاء، فلو كتبت بألف واحدة لم تعرف الواحدة من الجمع.

### الهاء

كل ما كان من ذوات الياء، وكانت فاء الفعل فيه واواً مثل: وفيت ووعيت وأويت، فإنه يكون في الأمر حرفاً واحداً لأن الأصل "أوفى" بالياء، تذهب الياء للجزم وتسقط الواو، لأنها صارت بين كسرتين فبقي "أف" فتسقط ألف الأمر، لأنه قد استغني عنها لتحرك أول الحرف فتبقى الفاء وحدها، فإذا اتصل الكلام بعضه ببعض لم تثبت الهاء في اللفظ، فإذا وقفت وقفت بالهاء، كقولك: فه وقه من وفيت ووفيت، وشبه من وشيت الثوب، لأنه لا ينطق بحرف واحد استبقاء له، فإذا كتبت كتبت بالهاء، لأن الكتاب على الوقف ألا ترى ان اختيار العرب في كتابتهم رأيت محمد بن عبد الله أن يكون بالألف لأن القارئ ربما وقف على "محمدًا"، فإن لم يثبت فيه الألف أشبه ما لا يجري من الأسماء كقولك: رأيت عمر، وإن كان الكتاب قد استجازوا إسقاطها لكثرة استعمالهم، وذلك ممن لا يعرف أصل الكتاب فيقف على فساده. فإن جعلت قبل الحرف الذي وصلته بالهاء، حرفاً لا ينفصل منه، جاز أن تكتبه بغيرها، كقولك: اذهب، وف لزيد، وقالوا: لزيد، وإنما جاز لأن الواو والفاء لا ينفصلان وكان الكلمة قد صارت على حرفين وإثبات الهاء أجود.

فأما هاء التأنيث فأصلها إن تكتب بالهاء، إذا كانت مضافة إلى اسم ظاهر، لأن الوقف عليها بالهاء مثل: امرأة زيد، وفتاة عمرو، فإذا أضفتها إلى مكني عنه كانت بالتاء، لأنه لا يمكن الوقوف عليها بالهاء، كقولك: امرأتك وفتاتك، فهذا الوجه. وقد كتب في المصحف "رحمت الله" و"مریم ابنت عمران" ومثله "نعنت الله"، وذلك لكثرة اصطحابهما ليس ينفصلان في القراءة، فصار كالحرف الواحد الذي لا ينفصل

منه، والهاء في ذلك أجود لأنها تنفصل منه ويسكت عليها.  
فأما هيهات فمن وقف عليها بالتاء، كتبها بالتاء، ومن وقف عليها بالهاء، كتبها بالهاء لأن الكتاب على الوقف.

ويا أيها الرجل، ويا أيها القوم، تكتبه بالألف، وذلك الوجه. وقد كتب في المصحف "يايه المؤمنون" و "يايه الثقلان". و "يايه الساحر" بغير ألف. وفي جميع القرآن بالألف وهو الصواب.

### الواو

الواو تزداد في ثلاثة مواضع: فمن ذلك الواو في: "عمرو"، زيدت ليفصل فيها بينه وبين عمر فإذا كتبت عمراص بالنصب وجئت بالألف لم تحتج إلى الواو، لأن عمر لا ينصرف ولا تدخلع الألف.  
وزيدت في "أولئك" لتفصل بينها وبين إليك.  
وزيدت في "يا أوحى"، لتفصل بين التصغير وبين الاسم على جهته.  
فأما المواضع التي نقصت منها فواو "طاوس" و "داود" كتبوهما بواو واحدة، كراهية للشبهين والحرف معروف. ومن كتبه بواوين على الأصل فقد أصاب.  
فإذا صرت إلى ما قبلها واو، مثل "آووا ونصروا" و "لووا" و "جاووا" و "باووا بغضب". فيه ثلاثة أوجه: أجودهن أن يكتب بواو واحدة وألف وقد كتبها بعضهم بواوين وإسقاط ألف وكل قد كتب به.

### الياء

كل اسم كانت لام الفعل منه ياء فإنها تحذف في الخفض والرفع، فإذا نصبت لم يكن من إثباتها بد كقولك: رأيت قاضياً وغازياً، فإذا صرت إلى جمع المؤنث السالم من هذا الباب، مثل: جوار وقواض كتبت ذلك أيضاً في الرفع والخفض بغير الياء، وأثبت في النصب الياء ولم تثبت الألف، فنقول: هذه قواض، ومررت بقواض و بجوار، ولا تثبت الياء، فإذا أثبت قلت: جوارى ولم تثبت الألف لأنه حرف لا يجري فإذا أدخلت الألف واللام أثبت الياء في الواحد والجمع، كقولك: القاضى والجوارى.  
ومن العرب من يسقط الياء في الخفض والرفع، فيقول: هذا القاض ومررت بالغاز، وهؤلاء الجوار ومررت بالجوار، فإذا صاروا إلى النصب أثبتوا الياء كما كان قبل دخول الألف واللام والأول أجود. وإذا كان الجمع بالنون مثل القاضين والمصلين، كتبت ياء لأن الياء الأولى منهما قد سقطت لالتقاء الساكنين.

## ما يكتب بالياء والألف من الأفعال

قال الصولي: امتحن كل فعل ورد عليك من ذوات الواو والياء بأن تضيفه إلى نفسك، فإن ظهر بالياء، كان الأجود أن تكتبه بالياء وجاز كتابته بالألف على اللفظ مثل قضى ورمى، ألا ترى أنك إذا أضفته إلى نفسك قلت: قضيت ورميت. وإن ظهر الفعل بالواو، كتبه بالألف لا غير مثل دعا وعلا، ألا ترى أنك إذا أضفته إلى نفسك قلت: دعوت وعلوت. فقس على ذلك كل ما ورد عليك إن شاء الله تعالى تصب.

وكل ما كان من ذوات الواو والياء، رددته إلى ما لم يسم فاعله فاكتبه بالياء فيما كان ماضياً ومستقبلاً معاً، كقولك: دعى يدعى وغزى يغزى ورمى يرمى. وكل فعل من ذوات الياء والواو، زدت في أوله شيئاً، فاكتبه بالياء، فإنه أجود، وإن كتبه بالألف جاز على اللفظ مثل ادعى واستقصى واستدعى، لأنك إذا لفظت به كان بالياء، لأن ذوات الواو إذا زيد في أولها شيء ردت إلى الياء.

## المقصود والممدود

كل اسم ممدود فإنه يكتب بالألف، كان من ذوات الواو والياء لا اختلاف في ذلك. فأما المقصور فامتحنه بالثنوية، فإن كان بالياء، كتبه بالياء وجازت كتابته بالألف، وذلك نحو فتى ورحى لأن تثنيتهما بالياء نحو فتيان ورحيان، وإن كانت تثنيته بالواو كتبه بالألف لا غير، نحو قفا وعصا لأن تثنيتهما قفوان وعصوان.

وكل اسم في أوله ميم مفتوحة أو مكسورة فاكتبه بالياء مثل المثنى والمدعى والمرمي والمقضي. وإن كانت في أوله ميم مكسورة فاكتبه أيضاً بالياء ما كان اسماً مثل المقرى الذي يقرى فيه الماء أي يجمع والمهدى الذي يهدي عليه، فإن كان نعتاً، فاكتبه بالألف لأنه ممدود مثل معطاء ومهداء. فإذا كان الاسم على فعل أو فعل بكسر الفاء وضمها مع فتح العين فاكتبه بالياء من أي النوعين كان مثل هدى وسدى وحمى ورضى.

وكل مقصور كانت لام الفعل فاكتبه بالألف مثل الدنيا والعليا والحيا وروايا وخطايان، وإنما كتبها بالألف لأنهم كرهوا الجمع بين ياءين في الكتاب.

وأما القصوى والهوى وما أشبههما فإنها تكتب بالياء لأنه ليس من أسمائهم فأخرجوه مخرج عيسى وموسى ويحيى.

وأما قوله عز وجل: "ويجيا من حي عن بينة" فبالألف لا غير و "زكريا" كتبه بالألف لأن فيه لغتين بالمد والقصر كتبه بالألف لأن الألف كمعهما وكذلك "الزنا" و "الشرا" بالألف لأن فيه لغتين.

وذا كانت عين الفعل همزة. ومعنى عين الفعل أن تقع وسطاً من مثل فعل مثل نأى ينأى وشأى يشأى، كتبت بالياء، وإن كانت من بنات الواو، ألا ترى أنك تقول: نأوت قال: وإنما فعلوا ذلك كراهية ن يجمعوا بين ألفين فقس على ذلك.

### ما كتب على غير القياس

من ذلك الصلوة والزكوة والغدوة والحيوة والمشكوة والربو، كتب كل هذا في المصحف بالواو، وكان يجب أن يكتب بالألف للفظ، وإنما كتبت كذلك على مثل أهل الحجاز لأنهم تعلموا الكتاب من أهل الحيرة، وهذا إنما فعل بسبب قلة الكتاب في ذلك الزمان، وإن الذين كتبه أهل الحجاز، وأنت اليوم بالخيار، إن شئت كتبتهم بالألف وإن شئت أقررتهم على ما في المصحف.

### كتاب النون الخفيفة

النون الخفيفة تكون عند الوقف عليها في النصب ألفاً، وفي الخفض ياء، وفي الرفع واواً. وكذلك تكتب نحو: اضربن يا رجل، فإذا وقفت عليه قلت: اضرباً، ومنه قوله عز وجل: "لنسفعاً بالناصية"، كتبت في المصحف بالألف لانفتاح ما قبلها، معناه لنجذب بناصره والسفع الجذب بشدة، والناصية مقدم الرأس، يريد جل وعز لنذله بذلك. وتقول: اضربي يا امرأة بالياء لأن الوقف بالياء واضربوا يا رجال بالواو لأن الوقف عليها بالواو.

ومن العربي من يقف على النون، فمن كانت هذه لغتهم كتبت بالنون. وتقول: اضربن يا رجل نصبت الباء، وموضعها جزم للأمر لسكون النون كراهية اجتماع ساكنين، وتثنى اضربان يا رجلان واضربن يا رجال. وفي المؤنث اضربن يا امرأة واضربان مثل الذكر. وفي الجميع اضربن يا نسوة، فتشدد النون ضرورة لأنهما نونان نون جمع المؤنث والنون الخفيفة.

والنون الخفيفة والثقيلة، تقع كل واحدة منهما موقع الأخرى، وتقول في النون الثقيلة: اضربن يا رجل واضربان واضربن يا رجال. وفي المؤنث اضربن يا امرأة والتثنية كالذكرين، وفي الجميع اضربنان، استثقلوا ثلاث نونات نون الجمع والنون الشديدة وهي نونان فأبدلوا الوسطى ألفاً. والدعاء كالأمر والنهي كقولك: اللهم ارزقنا فلاناً وفي الاستفهام أتقومن يا رجل.

## الإدغام

الإدغام في الحرفين إذا كانا من جنس واحد، يتلو أحدهما صاحبه، وتحركا كتبا حرفاً واحداً، مثل: غض ومد، لأن الأول منهما يسكن ويدغم في الثاني. وإذا كانا من حرفين كتبا حرفين، وفي اللفظ كانا واحداً مشدداً نحو: لم يفتق قاسم، ولم ينصف فرعون، فإذا سكن الثاني أثبتا حرفين مثل: لم يمدد ولم يعرض، فإذا كانا من حرفين وهما متحركان، أحدهما ساكن كتبا حرفين، مثل: لم يترك كبيرهم لصغيرهم شيئاً، إن افترقا أو اتصل أحدهما بصاحبه وإنما يكون الاتصال إذا كان الثاني حرف كناية كقوله تعالى: "أينما تكونوا يدرككم الموت". وكقول زهير:

### فتعركم عرك الرحي بثقالها

وكذلك هو مذهبهم في الفتح ليس في ذلك اختلاف. فإذا كان الحرفان نونين، فإن من العرب من يدغمهما، ومن من يظهرهما: فيقول الذي يدغم: أنتم تضربوني، ويقول الذي لا يدغم أنتم تضربوني فيكتب في الإدغام بنون واحدة ليكون فرقاً بين المدغم وغير المدغم. وإن كان الحرفان المدغمان من جنسين أظهرهما على جنسيهما، كقولك اتخذت ووعدت، فإذا كان المدغمان يتولد منهما حرف غيرهما كتب ذلك المتولد مثل مدكر ومظلم قال زهير:

### عفوا ويظلم أحياناً فيظلم

### هو الجواد الذي يعطيك نائله

وأما اللامان اللتان تكتبان في أول الحرف، إحداهما فاء الفعل والأخرى تجيء مع الألف للتعريف، فإنك تكتبها حرفين نحو اللحن والليل. وإنما كتبوا الذي بلام واحدة لأنها لا تنفرد عن الأخرى وكذلك الذين. فأما اللذان في الثنية فإنها كتبت على الأصل لتفرق بين الثنية والجمع.

## ما يقطع ويوصل

يكتبون: أحب "أن لا" تفعل كذا بألف ونون، وتكون "لا" مقطوعة منها وهو أجود، لأن القارئ ربما احتاج أن يقف على النون. والكتاب على الوقف، فمنهم من يكتب بألف ولام موصولة لأن النون تدغم في اللام إذا نطق بها، وكتبت على اللفظ. و "كلما" إذا أردت بها الجزاء كقولك: كلما فعلت فعلت، كتبتها حرفاً واحداً لأنها أداة، وإذا أردت بها معنى الذي كقولك: كل ما فعلت فصواب، فاقطع "كل" من "ما" وكذلك: إنما وكأنا ولكنما إذا أردت بمن الأدوات فاجعلها حرفاً واحداً. وإذا أردت بمعنى "ما" الذي فاقطع، وذلك أن الوقف في الأولى لا يستقيم على بعض الحروف دون بعض. وإذا كانت بمعنى

الذي وقفت على ما قبلها. فقس عليه تصب إن شاء الله تعالى. وكتبوا: "لثلا" موصولة وهي "لأن لا"، فجعلوها كالشيء الواحد وكتبوا: "هأنتم، هأنا" بألف واحدة، ولم يكتب بألفين جعلاً كالشيء الواحد.

### **تم الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه**

في يوم الخميس المبارك سادس عشري شهر الحجة الحرام ختام سنة 1107 ألف ومائة وسبع من الهجرة النبوية على مهاجرها أفضل الصلاة والسلام. على يد كاتبه يوسف بن محمد الشهير بابن الوكيل الملوي غفر الله له ولوالديه ومشائخه والمسلمين.

## الفهرس

2	الجزء الأول
2	فضل الكتابة
5	ما روي في أول من كتب الكتاب بالعربي
6	أصل كتاب بسم الله الرحمن الرحيم وابتدأؤه
6	كيف يفتتحون كلامهم ليبارك لهم فيما يحاولون ويؤجروا عليه
8	حذف الألف من بسم الله وما ذكر من حذف السين
9	رسوم الكتاب في كتابتهم بسم الله الرحمن الرحيم
9	"أما بعد" وما جاء فيها
10	تصدير الكتب وما يقع فيها
11	مقال الخط
14	ما قيل في حسن الخط من المنظوم
18	ما قيل في قبح الخط
20	ما قيل في النقط والشكل والخط الدقيق
23	الحروف التي شبهت الشعراء بها
27	ما جاء في وصف القلم من الكلام المنشور
31	ذكر ما قيل في القلم من الشعر
38	ما قيل في القلم وبريه
40	ومن وصف الكتاب
42	الجزء الثاني
42	ما قيل في الدواة
46	إلاقة الدواة
47	الكرسف وما قيل فيه
47	ما قيل في المداد
49	الحبر واشتقاقه



50	القرطاس وما يكتب فيه
52	قط القلم
52	المقط
53	المرفع
54	محراك الدواة
55	الكتب في اللغة
56	السكين
57	الإنشاء
58	السطور
59	المقابلة بالكتاب ونسخه
59	الخطأ في الكتاب
60	المشق في الكتاب
60	الزلف
60	فض الكتاب
61	السحاة
61	تتريب الكتاب وتطيينه
62	المحو في الكتاب
62	عرض الكتاب
63	اللحن في الكتاب
66	التوقيع والإيجاز
66	التعليم في الكتاب
67	الإملاء
67	طي الكتاب ودرجه
68	درس الكتاب وسرده
69	الخاتم وسببه وما قيل فيه
71	العنوان
74	المقادير التي يكتب فيها من القراطيس

75	الدعاء في المكاتبة وترتيبه والزيادة والنقص فيه
78	تحرير الكتاب
80	من زيد في دعاء المكاتبة له فشكر
83	ما يتكاتب به الناس اليوم
84	قراءة الكتاب بعد كتبه وما جاء في ذلك
84	ما جاء في رد جواب الكتاب والحض على التكاتب
88	من تعاطي الكتابة وادعاها وهو لا يحسنها
89	دعاء المكاتبات وأصوله وما حمد منه وذم
91	اللغة في دعاء المكاتبة
92	التاريخ وما قيل في معناه
96	الترجمة في المكاتبة
97	الديوان
99	تحويل الديوان من الفارسي إلى العربي
102	الجزء الثالث
102	وجوه الأموال التي تحمل إلى بي المال وأصنافها ولمن تجب الأموال ثلاثة
105	اللغة في أسنان الإبل وتعريفها
106	أسنان الغنم
106	أسنان البقر
106	أسنان الخيل
107	أحكام الأرضين
108	القطائع
110	حزبة رؤوس أهل الذمة
111	مبلغ ما كان يرتفع من الخوارج
111	ذكر مصر
112	ذكر السواد
114	القبالات
115	ما يفضل من المال

116.....	مكاتبة المسلم وغيره
116.....	ما في الإنسان وغيره
117.....	الأطعمة
118.....	مدح الإيجاز في ابتداء المكاتبة والجواب
122.....	مكاتبة الإخوان
123.....	ذكر الحساب
126.....	نقصان الألف وإسقاطها
128.....	نقصان الألف
128.....	الهمز
130.....	الهاء
131.....	الواو
131.....	الياء
132.....	ما يكتب بالياء والألف من الأفعال
132.....	المقصور والممدود
133.....	ما كتب على غير القياس
133.....	كتاب النون الخفيفة
134.....	الإدغام
134.....	ما يقطع ويوصل
135.....	تم الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه
136.....	الفهرس

To PDF: [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)